الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التربية الوطنية

جامعة الأمير عبد القادر
للعلوم الإسلامية
قسنطينة

معهد الدعوة وأصول الدين

قسم الدراسات العليا

عنوان البحث

أثر الإسرائيليات في الفكر العقدي الإسلامي

بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في مقارنة الأديان

إعداد الطالب :
كمال معزي

إشراف الدكتور :
بشير بوجنانة

السنة الجامعية : 1413 هـ 1993 م

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الإهداء

إلى الوالدين الكريمين ، وكل
الإخوة ، أهدي هذا البحث

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

مقدمة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على من بعث رحمة للعالمين أما بعد :

فقد شغل بنو إسرائيل حيزا كبيرا من القرآن الكريم ، إذ ذكروا في خمسين سورة ، ولم يكن معهم القرآن شديدا في العهد المكي ، وعندما هاجر الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى المدينة ـ وقوى بها أمر الدعوة ، خاف اليهود على ضياع مركزهم الديني والسياسي والإقتصادي ، فجاهروا بعدائهم للرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ودعوته ، فاقتضت حكمة التنزيل أن يتبدل الأسلوب القرآني فيهم . (1)

وبرزت هذه العداوة في مظهرين ، المهاجمة العلنية للمسلمين والكيد الخفي من أجل تحريف الإسلام عن أصوله كما حرفوا النصرانية من قبل ، والسبيل الذي سلكوه من أجل تحقيق هدفهم تمثل في نشر الإسرائيليات بين المسلمين . خاصة من اليهود الذين اندفعوا من اليمن حتى وصلوا إلى الكوفة ، كما تسربت الإسرائيليات أيضا عن طريق بعض من أسلموا ككعب الأحبار ، ووهب بن منبه .

وتظاهر بعض اليهود بالإسلام ، وقلوبهم منه خاوية ، وادعوا التشييع لآل البيت ، وبلغ بهم الغلو إلى رفعهم إلى مراتب النبوة أو يزيد وطعنوا في الخلفاء الثلاث : أبي بكر ، وعمر ، وعثمان ، ولعبوا في ذلك على عواطف المسلمين . (2)

وقد لعبوا دورا بارزا في إثارة الفتنة بين المسلمين ، فكانت لهم آثار بليغة على الفكر العقدي : « أن اليهود أقاموا بدء الفتنة بين المسلمين حول الذات الإلاهية بما أدخلوه من عقائد وأحاديث في التشبيه والتجسيم ، واكتوى المسلمون بنار اليهود ، فقاموا للدفاع عن عقائد القرآن والسنة ، وميتافيزيقا الإسلام الحقيقي واصطنع المسلمون النظر واكتشفوا المنهج ،

---

(1) محمد عزة دروزة ، تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم ، (بيروت ـ صيدا ـ : المكتبة العصرية ـ 1989هـ 1968م) ، ص : 397 ، 403.404

(2) محمد حسين الذهبي ، الإسرائيليات في التفسير والحديث ، (مجمع البحوث الأزهرية ـ 1391هـ ـ 1971م) ، ص : 42

فظهرت الفلسفة الإسلامية » . (3)

كما قاموا بنقل ما في التوراة وشروحها والأخبار التي رويت حولها إلى تفسير الآيات القرآنية ، ويروون ذلك عن وهب بن منبه تارة وأخرى عن إسرائيل عن أسباط عن السدى ، وذلك في مجال القصص الواردة في القران والتوراة . (4)

ويعد هذا البحث « أثر الإسرائيليات في الفكر العقدي الإسلامي » مساهمة متواضعة في تخليص التراث الفكري من العناصر الدخلية المتسربة إليه خلال العصور السابقة ، ذلك أن التراث يمثل عمق الفكر الإسلامي ، وكان له أثر التوجيه في تشكيل العقل المسلم ، وفي عملية البعث الحضاري ، فهو يحتل مكانة مرموقة في الحياة العلمية للأمة ، لذلك وجب الإهتمام به .

ويمكنني أن أحدد الأسباب الرئيسية التي دفعتني لاختيار هذا الموضوع فيما يلي :

أولا : المساهمة في تخليص التراث العقدي الإسلامي من الإسرائيليات المتسربة ، وذلك ببيان الأفكار اليهودية والنصرانية وأثرها في الفكر العقدي الإسلامي ، حيث تبنتها بعض الفرق ، وطورت حولها مفاهيم جديدة ، وترتبت عليها خلافات كثيرة في البيئة الإسلامية ، وساهمت بقدر كبير و وبقسط وافر في تصدع بنيان الأمة الفكري، فانقسمت جماعات المسلمين بين مؤيد لتلك المقالات وبين رافض لها .

ثانيا : المساهمة في تخفيف حدة الخلافات التي برزت في التاريخ الإسلامي ، ودعوة من بقي من تلك الفرق إلى التفكير الإسلامي الصحيح ، والتخلص بذلك من آثار المقالات الدخلية .

ثالثا : محاولة ترشيد الفكر الإسلامي المعاصر إلى الطريق الصحيح في كيفية

---

(3) علي سامي النشار ، الفكر اليهودي وتأثيره بالفلسفة الإسلامية . الطبعة الأولى ، (الإسكندرية : منشأة المعارف ، 1392هـ ـ 1972م) ، ص : 32 .

(4) أحمد أمين ـ ضحى الإسلام ـ 3ج ـ الطبعة السابعة . (مكتبة النهضة المصرية) ، ج : 1 ، ص : 333

التعامل مع الثقافات الأجنبية عموما ، والثقافة اليهودية والنصرانية على وجه الخصوص ، لا سيما ونحن في عصر وفر فيه العلم ووسائل إعلامية تقوم بنقل الأفكار وبثها في ديارنا بسهولة ويسر ، فتحدث عملية الغزو الفكري ، وهذا الترشيد يتم أساسا ببيان العلاقة الصحيحة باليهودية والنصرانية .

رابعا : مقاومة الدراسات الإستشراقية التي تعتمد أساسا على الأفكار الدخيلة في التراث الإسلامي ، وتبذل الجهد لتشويه التاريخ الناصع للفكر الإسلامي الأصيل من خلال تعميم تلك النتائج الجزئية على التراث عامة ، والخلوص إلى نتيجة كلية مفادها أن المسلمين استقوا معارفهم وعلومهم من تلك الثقافات بعينها .

خامسا : الرغبة الشديدة في الإهتمام بالدراسات التراثية خاصة ما يتعلق بالمجال العقدي ، وبيان مسألة التأثر والتأثير بين الثقافات

ويعتبر هذا البحث محاولة أولى لفتح المجال أمام بحوث مستقبلية لتخليص العلوم الإسلامية من الأفكار الدخيلة ، والرجوع بها إلى المنهج الإسلامي الأصيل الذي يستقي معارفه من القرآن والسنة مباشرة ، وفي مقدمة هذه العلوم الإسلامية علم العقيدة ، ليسترجع دوره في تكوين الشخصية الإسلامية السوية .

والمنهج الذي سلكناه في هذا البحث منهج نقدي تاريخي تحليلي مقارن ، لأنه يصعب على الباحث في موضوع كهذا أن يتقيد بمنهج واحد في بحثه ، فقد تعرضت إلى ذكر مضمون أسفار الكتاب المقدس ، مع التعرض إلى حركة نقد المصادر ، ثم قمت بتحديد الإسرائيليات أولا ، مع بيان الجهة التي صدرت عنها ، وأثرها بعد ذلك في الفكر العقدي الإسلامي .

وقد قسمت بحثي إلى خمسة فصول :

الفصل الأول : مفهوم الإسرائيليات ومصادرها ، وكان الغرض من ذلك ، بيان المصادر الأساسية للإسرائيليات التي استقى منها أولئك مقالتهم وقاموا ببثها في الفكر العقدي الإسلامي ، فيمكنني بذلك أن أرجع المقالات إلى أصولها ، وقد قسمت الفصل إلى ثلاثة مباحث ، الأول مفهوم الإسرائيليات والثاني للمصادر اليهودية وجعلت القسم الأكبر لأسفار التوراة للمكانة الكبيرة التي تحتلها عند اليهود من جانب ولاحتوائها على معظم المقالات اليهودية من جانب آخر ، فبينت محتوى كل سفر من الأسفار ، وكيف توصل علماء نقد الكتاب المقدس إلى أن مؤلفها ليس موسى ـ عليه السلام ـ من خلال نظرية تعدد المصادر التي استقى منها كاتبوا أسفار التوراة مادتهم ، ثم تعرضت إلى بقية أسفار العهد القديم وأشرت بإيجاز إلى التلمود ، والثالث للمصادر النصرانية .

الفصل الثاني : الألوهية ، الذات والصفات ، وتعرضت إلى مقالة التشبيه والتجسيم ، والغرض منه بيان الجهة التي صدر منها التشبيه والتجسيم ، ثم التركيز على أثر تلك المقالة في الفكر العقدي الإسلامي ، وقسمت هذا الفصل إلى خمسة مباحث ، خصصت الأول للحديث عن التشبيه والتجسيم في العهد القديم ، والثاني : للمشبهة والمجسمة في الفكر العقدي الإسلامي ، والثالث : للذين حاولوا التصدي لحملة التشبيه والتجسيم فأوغلوا في التجريد حتى وقعوا في التعطيل ، والرابع : لصفة كلام الله تعالى هل هو حادث أم قديم ، وهو أثر لمقالة التشبيه والتجسيم ، واخترت هذه الصفة دون غيرها من الصفات ، للأهمية التاريخية التي احتلتها في الفكر العقدي الإسلامي ، فثارت حولها خلافات شديدة ، جلد فيها بعض علماء الأمة ، والخامس لآراء أهل السنة الجماعة في الذات والصفات .

الفصل الثالث : النبوة ، عصمة الأنبياء ، والغرض منه بيان الأثر السلبي للإسرائيليات في مجال النبوة ، ولو أنها لم يتجرأ أحد على وصف أنبياء الله تعالى في الفكر العقدي

الإسلامي بما لا يليق بمقامهم وقد قسمت هذا الفصل إلى ثلاثة مباحث الأول مفهوم العصمة في الفكر العقدي الإسلامي والثاني : عصمة الأنبياء من الشيطان .

الفصل الرابع : الإمامة ، والغرض منه بيان أن الاختلافات حول الإمامة ، وما نتج عنها من نشأة الفرق ، وتصورات حول الأئمة كالرجعة ، كانت أثرا للإسرائيليات ، وقد قسمت الفصل إلى مبحثين : الأول : رأي الفرق في الإمامة ، والثاني : لرجعة الأئمة .

الفصل الخامس : دراسات إسرائيلية معاصرة ، والغرض منه بيان المنهج الحديث للدراسات اليهودية النصرانية ، حيث انتقلوا إلى دراسات كلية يوظفون من خلالها المقالات الإسرائيلية القديمة للوصول إلى نتيجة كلية مفادها أن الإسلام استقى معارفه وعلومه من اليهودية والنصرانية ، وقد قسمت الفصل إلى مبحثين ، الأول : القران الكريم ، والثاني العقيدة .

ويمكنني أن أقسم المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها إلى :

أولا : كتب الديانات والعقائد :

فهذه الكتب كانت المحور الرئيسي في بحثي ، حيث وجدت في طياتها كنوزا ثمينة ، دلت على حقيقة العقل الذي شكله القرآن الكريم ، فهو يترصد الإنتاج الفكري بنظرات ثاقبة ، ترجع المسائل إلى أصولها ولا أنكر استفادتي الكبيرة من هذه الكتب حيث فتحت أمامي مجالات فسيحة للبحث المستقبلي ، وذلك بتوسيع الدائرة إلى الثقافات الأخرى كالمنوية والمزدكية ، والبرهمية ، والبوذية ، والفلسفة اليونانية وغيرها .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ثانيا : كتب التفسير

وكتب التفسير لا تقل أهمية عن كتب الديانات والعقائد ، ولا يستغني عنها باحث ، سيما وأنها ضمت كل ألوان العلوم والمعارف الإسلامية ، وقد تسربت إلى طياتها الكثير من الإسرائيليات خاصة في محور القصص ، حيث ركز القرآن على موطن العبر والدروس ، بينما اهتمت أسفار العهد القديم بشروح واستفاضات كثيرة تحمل في طياتها افتراءات ما أنزل الله بها من سلطان ، فأخذت وجعلت شروحا لآيات الذكر الحكيم .

ثالثا : كتب متفرقة :

منها ماهر فلسفي كنشأة التفكير الفلسفي في الإسلام لعلي سامي النشار ، والفلسفة الإسلامية لدي بور . ومنها ماهر خاص بالإسرائيليات كالإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير لمحمد بن محمد أبو شهبة ، والإسرائيليات في التفسير والحديث لمحمد السيد حسين الذهبي وغيرها

وقد واجهتني أثناء هذا البحث صعوبات جمة ، سواء في الحصول على بعض المراجع ، أو في عملية استخراج مادة البحث من طياتها .

وأخيرا أتوجه بالشكر الجزيل إلى المشرف على هذا البحث الدكتور "بشير بوجنانة" الذي لم يدخر جهدا في مساعدتي ، وتوجيهي بإرشاداته القيمة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الأول

مفهوم الإسرائيليات ومصادرها

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول

مفهوم الإسرائيليات :

الإسرائيليات جمع مفرده إسرائيلية ، وقد اشتقت هذه التسمية من كلمة «إسرائيل» ، والتي ورد ذكرها في القرآن مرتين :

أولا : قوله تعالى : (كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلاًّ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلاَّ مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ » . (1)

ثانيا : وفي قوله أيضا : (أُوْلَئِكَ الَّذِينَ أَنعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِن النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا) . (2)

والسؤال : من هو إسرائيل ؟ قال جل المفسرين بأنه يعقوب - عليه السلام - ، غير أن محمد عبده ذهب إلى أن المقصود بإسرائيل « شعب إسرائيل » : « فالمراد بإسرائيل شعب إسرائيل ، كما هو مستعمل عندهم ، لا يعقوب نفسه » . (3)

---

1) آل عمران : 93

2) مريم :58

3) محمد رشيد رضا ، تفسير القرآن الحكيم الشهير بالمنار، ج. الطبعة الثانية . (بيروت - لبنان - : دار المعرفة للطباعة والنشر) ، ج : 4 - ص : 3 .

أما العهد القديم فقد أوضح بأن إسرائيل اسم ثان ليعقوب ـ عليه السلام ـ أطلقه عليه ملك الرب : « فَقَالَ لاَ يُدْعَى اسْمُكَ فِي مَا بَعْدُ يَعْقُوبَ بَلْ إِسْرَائِيلَ ، لأَنَّكَ جَاهَدْتَ مَعَ اللهِ وَالنَّاسِ وَقَدَرْتَ ، وَسَأَلَ يَعْقُوبُ وَقَالَ أَخْبِرْنِي بِاسْمِكَ ، فَقَالَ لِمَاذَا تَسْأَلُ عَنِ اسْمِي ، وَبَارَكَهُ هُنَاكَ ، فَدَعَا يَعْقُوبُ اسْمَ الْمَكَانِ فَنِيئِيلَ قَائِلاً لأَنِّي نَظَرْتُ اللهَ وَجْهًا لِوَجْهٍ وَنُجِّيَتْ نَفْسِي » . (4)

ويؤكد العهد القديم بأن يعقوب هو إسرائيل في موضع آخر ، وقد سكن وبنوه أرض مصر : « وَسَكَنَ إِسْرَائِيلُ فِي أَرْضِ مِصْرَ فِي أَرْضِ جَاسَانَ ، وَتَمَلَّكُوا فِيهَا وَأَثْمَرُوا وَكَثُرُوا جِدًّا ، وَعَاشَ يَعْقُوبُ فِي أَرْضِ مِصْرَ سَبْعَ عَشْرَةَ سَنَةٍ ، فَكَانَتْ أَيَّامُ يَعْقُوبَ سِنِي حَيَاتِهِ مِئَةً وَسَبْعَةً وَأَرْبَعِينَ سَنَةً ، وَلَمَّا قَرُبَتْ أَيَّامُ إِسْرَائِيلَ أَنْ يَمُوتَ دَعَا ابْنَهُ وَقَالَ لَهُ إِنْ كُنْتُ وَجَدْتُ نِعْمَةً فِي عَيْنَيْكَ فَضَعْ يَدَكَ تَحْتَ فَخِذِي وَاصْنَعْ مَعِي مَعْرُوفًا وَأَمَانَةً ، لاَ تَدْفِنِّي فِي مِصْرَ » . (5)

وقد كشفت الدراسات الأثرية على وجود إسم اسرائيل ضمن قصيدة نقشت على جدران الكارناك خلال إنتصارات مرنبتاخ أحد ملوك الأسرة التاسعه عشرة (1225 ـ 1215 ق.م) .

ويوضح محمد عزة دروزة بأن القبيلة التي انتصر عليها مرنبتاخ هي التي فرت من اضطهاد أبيه رعمسيس الثاني ، واستقرت بفلسطين ، وقد نكل بها مرنبتاخ لأنها تمردت على الحكم المصري ، وفي هذا توفيق على وجود جماعة من بني إسرائيل في فلسطين قبل خروجهم مع موسى ـ عليه السلام ـ ومهما يكن الأمر فالذي يهمنا هو ورود اسم إسرائيل في القصيدة . (6)

---

4) تكوين : 32 : 28 ـ 30.29 .

5) تكوين : 47 : 28 ـ 29 ـ 30 ـ 31 .

6) تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم . ص : 35

وأنجب يعقوب - عليه السلام - اثني عشر ابنا - فمن ليئة روبين شمعون لاوي - يساكر - زبولون : "فَحَبِلَتْ لَيْئَةُ وَوَلَدَتْ ابْنًا وَدَعَتْ اسْمَهُ رَأُوبِينَ ، لأَنَّهَا قَالَتْ إِنَّ الرَّبَّ قَدْ نَظَرَ إِلَى مَذَلَّتِي ، إِنَّهُ الآنَ يُحِبُّنِي رَجُلِي ، وَحَبِلَتْ أَيْضًا وَوَلَدَتِ ابْنًا وَقَالَتْ إِنَّ الرَّبَّ قَدْ سَمِعَ أَنِّي مَكْرُوهَةٌ فَأَعْطَانِي هَذَا أَيْضًا ، فَدَعَتْ اسْمَهُ شِمْعُونَ ، وَحَبِلَتْ أَيْضًا وَوَلَدَتِ ابْنًا ، وَقَالَتِ الآنَ هَذِهِ المَرَّةَ يَقْتَرِنُ بِي رَجُلِي ، لأَنِّي وَلَدْتُ ثَلاَثَةَ بَنِينَ . لِذَلِكَ دُعِيَ اسْمُهُ لاَوِي ، وَحَبِلَتْ أَيْضًا وَوَلَدَتِ ابْنًا وَقَالَتْ هَذِهِ المَرَّةَ أَحْمَدُ الرَّبَّ ، لِذَلِكَ دَعَتِ اسْمَهُ يَهُوذَا ، ثُمَّ تَوَقَّفَتْ عَنِ الوِلاَدَةِ » . (7)

وولدت ليئة بعد ذلك الإبن الخامس فقالت قد أعطاني الله أجرتي ، وأطلقت عليه يساكر ، ثم الإبن السادس واسمته زبولون ومن بلهة جارية راحيل أنجبت ليعقوب دان ونفتالي : « فَأَعْطَتْهُ بِلْهَةَ جَارِيَتَهَا زَوْجَةً ، فَدَخَلَ عَلَيْهَا يَعْقُوبُ ، فَحَبِلَتْ بِلْهَةُ وَوَلَدَتْ لِيَعْقُوبَ ابْنًا ، فَقَالَتْ رَاحِيلُ قَدْ قَضَى لِيَ اللهُ وَسَمِعَ أَيْضًا لِصَوْتِي وَأَعْطَانِي ابْنًا ، لِذَلِكَ دَعَتِ اسْمَهُ دَانًا ، وَحَبِلَتْ أَيْضًا بِلْهَةُ جَارِيَةُ رَاحِيلَ وَوَلَدَتِ ابْنًا ثَانِيًا لِيَعْقُوبَ ، فَقَالَتْ رَاحِيلُ مُصَارَعَاتِ اللهِ قَدْ صَارَعْتُ أُخْتِي وَغَلَبْتُ ، فَدَعَتِ اسْمَهُ نَفْتَالِي » . (8)

وأنجب من زلفة جارية ليئة جاد وأشير : « فَوَلَدَتْ زِلْفَةُ جَارِيَةُ لَيْئَةَ لِيَعْقُوبَ ابْنًا ، فَقَالَتْ لَيْئَةُ بِسَعْدٍ ، فَدَعَتِ اسْمَهُ جَادًا ، وَوَلَدَتْ زِلْفَةُ جَارِيَةُ لَيْئَةَ ابْنًا لِيَعْقُوبَ ، فَقَالَتْ لَيْئَةُ بِغِبْطَتِي لأَنَّهُ تَغْبِطُنِي بَنَاتٌ ، فَدَعَتِ اسْمَهُ أَشِيرَ » . (9)

(7) تكوين : 29 : 32 ـ 33 ـ 34 ـ 35 .
(8) تكوين : 30 : 4 ـ 5 ـ 6 ـ 7 ـ 8 .
(9) تكوين : 30 : 10 ـ 11 ـ 12 ـ 13 .

ومن راحيل يوسف وبنيامين : « وَذَكَرَ اللَّهُ رَاحِيلَ وَسَمِعَ لَهَا اللَّهُ وَفَتَحَ رَحِمَهَا ، فَحَبِلَتْ وَوَلَدَتْ ابْنًا . فَقَالَتْ قَدْ نَزَعَ اللَّهُ عَارِي وَدَعَتْ اسْمَهُ يُوسُفَ قَائِلَةً يَزِيدُنِي الرَّبُّ ابْنًا آخَرَ » . (10)

فكان هؤلاء الإثنا عشر أصولا لقبائل إسرائيل ، ويبدو أن هؤلاء هم الأسباط في التعبير القرآني .

وقد أطلق على ما تسرب من تراث بني إسرائيل إلى الفكر الإسلامي اسم الإسرائيليات التي : « هي قصة أو حادثة تروى عن مصدر إسرائيلي ، والنسبة فيها إلى إسرائيل .. ولفظ الإسرائيليات وإن كان يدل بظاهره على القصص الذي روى أصلا عن مصادر يهودية ، يستعمله علماء التفسير والحديث ويطلقونه على ماهو أوسع وأشمل من القصص اليهودية ، فهو في اصطلاحهم يدل على كل ما تطرق إلى التفسير والحديث من أساطير منشؤها في أصل روايتها إلى مصدر يهودي أو نصراني أو غيرها » . (11)

وقد علل الدكتور مساعد مسلم عبد الله آل جعفر بأن التغليب جاء من أن اليهود ابتدؤوا دسهم في الأيام الأولى التي دخل الإسلام فيها إلى المدينة المنورة ، ثم يضيف بأنه في تلك الأيام الأولى لم يكن هناك أثر نصراني أو غير يهودي في الثقافة العربية الإسلامية ، ثم بعد دخول الثقافات الغير يهودية وظهور أثرها في البيئة الإسلامية بقيت المعلومات اليهودية هي الغالبة على جميع المعلومات بشتى مصادرها » . (12)

---

(10) تكوين : 30 : 22 ـ 23 ـ 24 .

(11) محمد السيد حسين الذهبي،الإسرائيليات في التفسير والحديث . ص : 19 ـ 20 .

(12) أثر التطور الفكري في التفسير والأحاديث في العصر العباسي ، الطبعة الأولى . (بيروت : مؤسسة الرسالة ، 1405هـ ـ 1984م) . ص : 121

والإسرائيليات ليست وقفا على ما دس في التفسير والحديث ، بل تشمل كل ما تسلل إلى الفنون والعلوم الإسلامية كعلم الكلام والتاريخ وغيرهما : « وعلوم الجدل والكلام تأثرت بالإسرائيليات أيضا ، نتصفح ما بين أيدينا من كتب الجدل ، والمذاهب الكلامية فنجد بعض ما فيها من معتقدات قد تسربت لها عن طريق اليهود » . (13)

وذكر محمد السيد حسين الذهبي نماذج لتأثر علم الكلام بالإسرائيليات فذكر القول بخلق القرآن ، وعقيدة الرجعة .

وتنقسم مصادر الإسرائيليات إلى المصادر اليهودية ، والمصادر النصرانية ، غير أن المصادر اليهودية تأتي في الدرجة الأولى من حيث الأهمية ، فأغلب المقالات الإسرائيلية المتسربة إلى الفكر العقدي الإسلامي ترجع إلى اليهودية ، لذلك جعلت المصادر اليهودية موضوع المبحث التالي .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(13) محمد السيد حسين الذهبي ، الإسرائيليات في التفسير والحديث . ص : 27

المبحث الثاني

المصادر اليهودية

1ـ العهد القديم :

يطلق العهد القديم على كتاب اليهود المقدس ، والتوراة جزء منه وتسمى أيضا أسفار موسى الخمس ، وقد تطلق التوراة على الجميع من باب إطلاق الجزء على الكل ، أو للمكانة التي يحتلها موسى ـ عليه السلام ـ فهو في منظورهم من أبرز زعمائهم ، وعنده يبدأ تاريخهم السقيقي » . (14)

وبولس هو الذي أطلق عبارة العهد القديم في رسالته الثانية إلى أهل كورنثوس حيث قال : « وَلَيْسَ كَمَا كَانَ مُوسَى يَضَعُ بُرْقُعًا عَلَى وَجْهِهِ لِكَيْ لاَ يَنْظُرَ بَنُو إِسْرَائِيلَ إِلَى نِهَايَةِ الزَّائِلِ ، بَلْ أَغْلَظَتْ أَذْهَانُهُمْ لأَنَّهُ حَتَّى الْيَوْمَ ذَلِكَ الْبُرْقُعُ نَفْسُهُ عِنْدَ قِرَاءَةِ الْعَهْدِ الْعَتِيقِ بَاقٍ غَيْرُ مُنْكَشِفٍ الَّذِي يُبْطَلُ فِي الْمَسِيحِ لَكِنْ حَتَّى الْيَوْمَ حِينَ يُقْرَأُ مُوسَى الْبُرْقُعُ مَوْضُوعٌ عَلَى قَلْبِهِمْ ، وَلَكِنْ حِينَمَا يَرْجِعُ إِلَى الرَّبِّ يُرْفَعُ الْبُرْقُعُ » . (15)

مع الخلاف بين أحبار اليهود في عدد أسفار العهد القديم ، وإن كان أغلبهم يذهب إلى أنها أربعة وعشرون سفرا وهي كما يلي : تكوين ، خروج ، لاويون ، عدد ، تثنية ، وتسمى أسفار موسى الخمس أو التوراة ، ثم تأتي بعدها : يشوع ، قضاة ، صموئيل الأول والثاني ، ملوك ، وتسمى بأسفار الأنبياء المتقدمين ، وتليها أسفار ، أشعيا ، ارميا ، حزقئيل ، فأسفار الأنبياء الإثني عشر ، ويطلق عليها أسفار

---

(14) أحمد شلبي ، اليهودية ، الطبعة الثامنة ، (مكتبة النهضة المصرية ، 1988م) ، ص : 230 .

(15) 3 : 13 ـ 14 ـ 15 ـ 16 .

الأنبياء المتأخرين ، ثم المزامير والأمثال وأيوب وتسمى أسفار الأسفار ، ونشيد الأناشيد وروث والمراثي والجامعة واستير وهي المجلات الخمس ، وهي أسفار تستعمل في الأعياد ، وتأتي بعدها أسفار دانيال ، عزرا ، نحميا ، أخبار الأيام الأول والثاني ، ويطلق على جميع هذه الأسفار المزامير حتى أخبار الأيام الكتابات » .(16)

ويذهب الفريق الثاني من أحبار اليهود إلى أن أسفار العهد القديم لابد أن توافق عدد حروف الأبجدية العبرية ، فتالوا بناء على ذلك أن عدد الأسفار اثنا وعشرون سفرا وذلك بضم روث ، والقضاة والمراثي إلى ارميا ، أما الفريق الثالث فيجعل منها تسعة وثلاثين سفرا ، وذلك باعتبار صموئيل والملوك وأخبار الأيام ستة أسفار بدلا من ثلاثة ، والأنبياء الإثني عشر سفرا ، وعزرا ونحميا سفرين . (17)

أما الفرقة السامرية . (18) فتسلم بسبعة أسفار فقط وترد الباقي والأسفار التي تعترف بها هي : التوراة أي أسفار موسى الخمس ، ويشوع والقضاة ، ويذهبون إلى أن يشوع ، والقضاة ، سفران تاريخيان هذا من ناحية الاختلاف في عدد الأسفار ، أما من حيث النص فالأسفار السامرية تخالف النسخة العبرية مخالفة بينة ، وكل

(16) فؤاد حسنين علي ، التوراة الهيروغليفية . (القاهرة : دار الكتاب العربي للطباعة والنشر) ، ص : 13 ـ 14 .

(17) نفس المرجع . ص : 13 ـ 14 .

(18) وهم يقولون إن مدينة القدس هي نابلس ، وهي من بيت المقدس على ثمانية عشر ميلا ، ولا يعرفون حرمة لبيت المقدس ، ولا يعظمونه ولهم توراة غير التوراة التي بايدي سائر اليهود ، ويبطلون كل نبوة كانت في بني إسرائيل بعد موسى ـ عليه السلام ـ ، وبعد يوشع ـ عليه السلام ـ فيكذبون بنبوة شمعون وداود ، وسليمان وإشعيا ، ابن حزم ، الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ج : 1 ، ص 177 .

فريق يتهم الآخر بالتحريف أو الوضع » . (19)

أما فيما يخص عدد الأسفار عند النصارى فإن الكنيسة البروتستانتية تقول بتسع وثلاثين سفرا ، بخلاف الكنيسة الكاثوليكية التي تضيف سبعة أسفار هي طوبيا ، يهوديت ، الحكمة ، يسوع بن سيراخ ، باروخ ، المكابيين الأول والثاني ، وتذهب إلى أن أسفار الملوك عبارة عن أربعة أسفار ، يأتي اثنان منهما مكان صموئيل الأول والثاني . (20)

التوراة :

التوراة كتاب منزل من الله تعالى على موسى - عليه السلام - فيه هدى ونور ، قال تعالى : (وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِن بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ) . (21)

وبين القرآن الكريم أن التوراة حرفت وبدلت ، فقد ذكر بأن اليهود حرفوا الكلم عن مواضعه ، ونسوا حظا مما ذكروا به ، قال تعالى : (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِن بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَن يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَن

---

19) محمد عبد الله الشرقاوي ، في مقارنة الأديان بحوث ودراسات ، الطبعة الأولى ، (دار الهداية ، 1406هـ - 986م) ص : 28 .

20) أحمد شلبي ، اليهودية ، ص : 231 .

21) المائدة : 43 - 44 .

تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ) . (22)

ويقسم اليهود التوراة إلى خمسة أسفار وتسمى أسفار موسى الخمس وهي :

1 ـ سفر التكوين :

وهو ترجمة للكلمة اليونانية « جينيزيز » أي خلق أو تكوين ، أما في العبرية فيسمى « براشيت » أي في البدء وهي الكلمة الأولى التي بدأ بها السفر : « في البدء خلق الله السموات والأرض » (23) ، ويتكون هذا السفر من خمسين اصحاحا ، تحدث الإصحاح الأول عن بدء الخليقة : « وَكَانَتِ الأَرْضُ خَرِبَةً وَخَالِيَةً وَعَلَى وَجْهِ الْغَمْرِ ظُلْمَةٌ وَرُوحُ اللهِ يَرِفُّ عَلَى وَجْهِ الْمِيَاهِ ، وَقَالَ اللهُ لِيَكُنْ نُورٌ فَكَانَ نُورٌ ، وَرَأَى اللهُ النُّورَ أَنَّهُ حَسَنٌ ، وَفَصَلَ اللهُ بَيْنَ النُّورِ وَالظُّلْمَةِ ، وَدَعَا اللهُ النُّورَ نَهَارًا وَالظُّلْمَةَ دَعَاهَا لَيْلاً ، وَكَانَ مَسَاءٌ وَكَانَ صَبَاحٌ يَوْمًا وَاحِدًا » . (24)

ويبين الإصحاح الثاني أن الله تعالى فرغ في اليوم السابع من عمله الذي عمل ، بحيث استراح في ذلك اليوم ، ومن أجل ذلك بارك الله اليوم السابع وقدسه ، وفي الفقرة السابعة ينتقل للحديث عن خلق آدم ، ثم وضعه بعد ذلك في جنة عدن شرقا ، وفي وسطها شجرة الحياة ، وشجرة ممزقة الخير والشر ، وأوصاه قائلا : « مِنْ جَمِيعِ شَجَرِ الْجَنَّةِ تَأْكُلُ أَكْلاً ، وَأَمَّا شَجَرَةُ مَعْرِفَةِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ فَلاَ تَأْكُلْ مِنْهَا ، لأَنَّكَ

22) نفس السورة : 41 .
23) تكوين : 1 : 1 .
24) تكوين 1 : 2 ـ 3 ـ 4 ـ 5 ..

يَوْمَ تَأْكُلُ مِنْهَا مَوْتًا تَمُوتُ » . (25)

ولم يترك الله آدم وحيدا ، بل خلق إلى جانبه حواء ، التي وقعت في سبائل الحية التي كانت أحيل جميع حيوانات البرية التي عملها الرب ، حيث أخبرت هذه الحية حواء بأنها وآدم إذا أكلا من الشجرة فلن يموتا : « بَلِ اللهُ عَالِمٌ أَنَّهُ يَوْمَ تَأْكُلاَنِ مِنْهُ تَنْفَتِحُ أَعْيُنُكُمَا وَتَكُونَانِ كَاللهِ عَارِفَيْنِ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ ، فَرَأَتِ الْمَرْأَةُ أَنَّ الشَّجَرَةَ جَيِّدَةٌ لِلأَكْلِ وَأَنَّهَا بَهْجَةٌ لِلْعُيُونِ وَأَنَّ الشَّجَرَةَ شَهِيَّةٌ لِلنَّظَرِ ، فَأَخَذَتْ مِنْ ثَمَرِهَا وَأَكَلَتْ وَأَعْطَتْ رَجُلَهَا أَيْضًا مَعَهَا فَأَكَلَ . فَانْفَتَحَتْ أَعْيُنُهُمَا وَعَلِمَا أَنَّهُمَا عُرْيَانَانِ ، فَخَاطَا أَوْرَاقَ تِينٍ وَصَنَعَا لأَنْفُسِهِمَا مَآزِرَ » . (26)

وطرد الله آدم وحواء من الجنة ، والسبب في نظر السفر ينحصر في خوف الرب من أن تمتد يد هذا الإنسان إلى شجرة الحياة فيحيا إلى الأبد ، بعد أن أكل من الشجرة الأولى فصار عارفا للخير والشر ، وأعيد الإنسان هكذا إلى الأرض التي أخذ منها ليعلمها ، وأقام الرب شرقي جنة عدن الكروبيم ولهيب سيف متقلب من أجل حراسة شجرة الحياة .

وندق آدم بأبنا ، منقرأ في الإصحاح الرابع ما حدث بين ابنيه ما هابيل وقابيل ، وكيف قتل قابيل أخاه هابيل : « وَكَلَّمَ قَايِينُ أَخَاهُ هَابِيلَ ، وَحَدَثَ إِذْ كَانَا فِي الْحَقْلِ أَنَّ قَايِينَ قَامَ عَلَى هَابِيلَ أَخِيهِ وَقَتَلَهُ ، فَقَالَ الرَّبُّ لِقَايِينَ أَيْنَ هَابِيلُ أَخُوكَ ، فَقَالَ لاَ أَعْلَمُ ، أَحَارِسٌ أَنَا لأَخِي ، فَقَالَ مَاذَا فَعَلْتَ . صَوْتُ دَمِ أَخِيكَ صَارِخٌ إِلَيَّ مِنَ الأَرْضِ . فَالآنَ مَلْعُونٌ أَنْتَ مِنَ الأَرْضِ الَّتِي فَتَحَتْ فَاهَا لِتَقْبَلَ دَمَ أَخِيكَ مِنْ يَدِكَ » . (27)

25) تكوين : 2 : 16 ـ 17 .
26) تكوين : 3 : 5 ـ 6 ـ 7 .
27) تكوين : 4 : 8 ـ 9 ـ 10 ـ 11 .

وولد لقابيل بعد ذلك ولد سماه حنوك ، ولآدم شيث ، وكان عمر آدم آنذاك مائة وثلاثين سنة .

وهنا نشير إلى الاختلاف الموجود في التوراة التي بيد اليهود ، والتي بيد النصارى أي بين التوراة العبرانية والسبعينية ، فهذه الأخيرة تذكر أنه لما أتى على آدم مائتان وثلاثون سنة ولد له شيث . (28)

وعاش شيث بعد ذلك مائة وخمس سنين وولد له أنوش ، وهنا نلاحظ في هذا السفر تسلسل في ذكر تاريخ المواليد ، وفي هذه التواريخ وجد التناقض بين التوراة العبرية ، والتوراة السبعينية ، « وفي التوراة التي بيد اليهود ، أن أنوش حين مضى عليه تسعون سنة ولد قينان وفي التي بيد النصارى : أن قينان ولد حين مضى على أنوش مائة وتسعون سنة ، وفي التوراة التي بيد اليهود: أن قينان حين مضى عليه سبعون سنة ولد له مهللئيل ، وفي التي بيد النصارى حين مضى عليه مائة وسبعون سنة ولد له مهللئيل : وفي التوراة التي بيد اليهود : أن مهللئيل حين عاش خمسا وستين سنة والد له : يارد ، وفي التي بيد النصارى : أن يارد ولد له حين أتى على مهللئيل مائة وستون سنة . (29)

ويذكر كاتب السفر في نهايته أن نوحا ولد له سام وحام ويافث وهو ابن خمس مائة سنة .

وعندما بلغ نوح ست مائة سنة حدث الطوفان : « فَقَالَ اللَّهُ لِنُوحٍ نِهَايَةُ كُلِّ بَشَرٍ قَدْ أَتَتْ أَمَامِي ، لأَنَّ الأَرْضَ امْتَلأَتْ ظُلْمًا مِنْهُمْ ، فَهَا أَنَا مُهْلِكُهُمْ مَعَ الأَرْضِ . اصْنَعْ

28) الجويني ، شفاء الغليل في بيان ما وقع في التوراة والإنجيل من التبديل . الطبعة الأولى . تحقيق : أحمد حجازي السقا . (مصر : مكتبة الكليات الأزهرية . 1398هـ - 1978م) ، ص : 33 .

29) نفس المرجع ، ص : 33 - 34 .

لِنَفْسِكَ فُلْكًا مِنْ خَشَبِ جُفْرٍ ، تَجْعَلُ الْفُلْكَ مَسَاكِنَ ، وَتُطْلِيهِ مِنْ دَاخِلٍ وَمِنْ خَارِجٍ بِالْقَارِ ، وَهٰكَذَا تَصْنَعُهُ ، ثَلاَثَ مِئَةَ ذِرَاعٍ يَكُونُ طُولُ الْفُلْكِ وَخَمْسِينَ ذِرَاعًا عَرْضُهُ وَثَلاَثِينَ ذِرَاعًا ارْتِفَاعُهُ . (30)

ودخل نوح وامرأته ونساء بنيه إلى الفلك من وجه الطوفان ، ومن البهائم الطاهرة والبهائم التي ليست بطاهرة ، ومن الطير وكل ما يدب على الأرض دخل اثنان إلى الفلك ذكرا وأنثى ، كما أمر الله نوحا .

ونلاحظ أن التركيز في السفر على تاريخ مواليد سام وبنيه ، مع الإشارة الطفيفة إلى تاريخ مواليد يافث وحام وأبنائهم .

فنقرأ أن سام عندما بلغ مائة سنة ولد له أرفكشاد ، وعاش أرفكشاد خمسا وثلاثين سنه وولد له شالح ، وأن شالح حين عاش ثلاثين سنه ولد له عابر ، وقد أوضح الجويني الاختلافات والتناقضات الموجودة بين التوراة العبرية ، والتوراة السبعينية في هذه التواريخ حتى يصل إلى تارح حيث قال : « وفي التوراة التي بيد اليهود : أن عابر لما بلغ أربعا وثلاثين سنة ولد له فالج ، وفي التي بيد النصارى أن فالج ولد له حين مضى من عمره مائة وأربع وثلاثين سنة ، وفي التوراة التي بيد اليهود : أن فالج لما بلغ ثلاثين سنة ولد له : رعو ، وفي التي بيد النصارى : أن فالج لما بلغ مائة وثلاثين سنة ولد له رعو . وفي التوراة التي بيد اليهود أن رعو حين بلغ اثنين وثلاثين سنة ولد له سروج ، وفي التي بيد النصارى : أن رعو حين عاش مائة سنة ولد له سروج ، وفي التوراة التي بيد اليهود : أن سروج حين بلغ ثلاثين سنة ولد له : ناحور ، وفي التي بيد النصارى : أن سروج حين بلغ مائة وثلاثين سنة ولد له ناحور ، وفي التوراة التي بيد اليهود : أن ناحور حين عاش تسعا وعشرين سنة

30) تكوين : 6 . 13 ـ 14 ـ 15 .

ولد له تارح ، وفي التوراة التي بيد النصارى : أن ناحور حين بلغ تسعا و تسعين سنة ولد له تارح » . (31)

وفي الإصحاح الثاني عشر تبدأ قصة إبراهيم : « وَقَالَ الرَّبُّ لِأَبْرَامَ اذْهَبْ مِنْ أَرْضِكَ وَمِنْ عَشِيرَتِكَ وَمِنْ بَيْتِ أَبِيكَ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أُرِيكَ ، فَأَجْعَلَكَ أُمَّةً عَظِيمَةً وَأُبَارِكَكَ وَأُعَظِّمَ اسْمَكَ ، وَتَكُونَ بَرَكَةً ، وَأُبَارِكَ مُبَارِكِيكَ ، وَلاَعِنَكَ أَلْعَنُهُ ، وَتَتَبَارَكَ فِيكَ جَمِيعُ قَبَائِلِ الأَرْضِ » . (32)

وبعد تفصيل في قصة إبراهيم ، وذكر قصة لوط ، كانت إشارة سريعة وعابرة إلى مولد إسماعيل من هاجر ، وادعى كاتب السفر أن إسحاق هو الذبيح وليس إسماعيل وهكذا يبدو تحيز بني إسرائيل جليا إلى شجرة نسبهم ، حتى في قضية البكورية بين السفر أن يعقوب اشترى البكورية من أخيه ، وأخذ البركة من أبيه بخدعة لا تليق بمقام الأنبياء : « فَقَالَ يَعْقُوبُ بِعَيْنِي الْيَوْمَ بَكُورِيَّتَكَ فَقَالَ عِيسُو هَا أَنَا مَاضٍ إِلَى الْمَوْتِ ، فَلِمَاذَا لِي بَكُورِيَّةٌ . فَقَالَ يَعْقُوبُ احْلِفْ لِي الْيَوْمَ ، فَحَلَفَ لَهُ ، فَبَاعَ بَكُورِيَّتَهُ لِيَعْقُوبَ . فَأَعْطَى يَعْقُوبُ عِيسُو خُبْزًا وَطَبِيخَ عَدَسٍ ، فَأَكَلَ وَشَرِبَ وَقَامَ وَمَضَى فَاسْتَقَلَّ عِيسُو الْبَكُورِيَّةَ » . (33)

ويستمر السفر بعد ذلك في ذكر يعقوب وأولاده ، مع تفصيل في قصة يوسف : "وَأَمَّا يُوسُفُ فَأُنْزِلَ إِلَى مِصْرَ وَاشْتَرَاهُ فُوطِيفَارُ خَصِيُّ فِرْعَوْنَ رَئِيسُ الشُّرَطِ رَجُلٌ مِصْرِيٌّ مِنْ يَدِ الإِسْمَاعِيلِيِّينَ الَّذِينَ أَنْزَلُوهُ إِلَى هُنَاكَ .

وَكَانَ الرَّبُّ مَعَ يُوسُفَ فَكَانَ رَجُلاً نَاجِحًا ، وَكَانَ فِي بَيْتِ سَيِّدِهِ الْمِصْرِيِّ ". (34)

---

31) شفاء الغليل في بيان ما وقع في التوراة والإنجيل من التبديل : 36 .

32) تكوين : 12 : 1 ـ 2 ـ 3 .

33) تكوين : 25 : 31 ـ 32 ـ 33 ـ 34 .

34) تكوين : 39 : 1 ـ 2 .

وكيف استقر يعقوب وأولاده في أرض مصر ، ويختم السفر بالإصحاح الخمسين ويذكر في نهايته موت يوسف ـ عليه السلام ـ وهو ابن مائة وعشرين سنة ، فتناسله بنو إسرائيل ووضع في تابوت في مصر .

2 ـ سفر الخروج :

يسمى الخروج ترجمة للكلمة اليونانية « أكسودوس » بمعنى خروج وفي العبرية يطلق عليه « واله شموت » أي : أسماء ، وهي الكلمة الأولى التي يبدأ بها السفر: "وَهَذِهِ أَسْمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ جَاؤُوا إِلَى مِصْرَ . مَعَ يَعْقُوبَ جَاءَ كُلُّ إِنْسَانٍ وَبَيْتِهِ رَأُوبِينَ وَشِمْعُونُ وَلاَوِي وَيَهُوذَا وَيَسَّاكَرُ وَزَبُلُونُ وَبِنْيَامِينُ وَدَانُ وَنَفْتَالِي وَجَادُ وَأَشِيرُ ، وَكَانَتْ جَمِيعُ نَفُوسِ الْخَارِجِينَ مِنْ صُلْبِ يَعْقُوبَ سَبْعِينَ نَفْسًا » . (35)

وكثر بنو إسرائيل وأشروا بعد يوسف ـ عليه السلام ـ وقام على مصر ملك جديد نكل بني إسرائيل ، وعمل على تقليل عددهم بقتل أبنائهم ، واستحياء نسائهم وكان موسى ـ عليه السلام ـ من مواليد تلك الفترة : « وَذَهَبَ رَجُلٌ مِنْ بَيْتِ لاَوِي وَأَخَذَ بِنْتَ لاَوِي فَحَبِلَتِ الْمَرْأَةُ وَوَلَدَتِ ابْنًا ، وَلَمَّا رَأَتْهُ أَنَّهُ حَسَنٌ خَبَّأَتْهُ ثَلاَثَةَ أَشْهُرٍ ، وَلَمَّا لَمْ يُمْكِنْهَا أَنْ تُخَبِّئَهُ بَعْدُ أَخَذَتْ لَهُ سَفَطًا مِنَ الْبَرْدِيِّ وَطَلَتْهُ بِالْحَمَرِ وَالزِّفْتِ وَوَضَعَتِ الْوَلَدَ فِيهِ وَوَضَعَتْهُ بَيْنَ الْحَلْفَاءِ عَلَى حَافَةِ النَّهْرِ ، وَوَقَفَتْ أُخْتُهُ مِنْ بَعِيدٍ لِتَعْرِفَ مَاذَا يُفْعَلُ بِهِ » . (36)

35) خروج : 1 : 1 ـ 2 ـ 3 ـ 4 ـ 5 .
36) خروج : 2 : 1 ـ 2 ـ 3 ـ 4 .

وعندما نزلت ابنة فرعون للإغتسال في النهر عثرت عليه ، واستأجرت أم الولد لترضعه ، وأعادته لها عندما كبر . وحدث أن رأى موسى ذات مرة شجارا بين مصري وعبراني : « فَالْتَفَتَ إِلَى هُنَا وَهُنَاكَ وَرَأَى أَنْ لَيْسَ أَحَدٌ فَقَتَلَ الْمِصْرِيَّ وَطَمَرَهُ فِي الرَّمْلِ ، ثُمَّ خَرَجَ فِي الْيَوْمِ الثَّانِي وَإِذَا رَجُلاَنِ عِبْرَانِيَّانِ يَتَخَاصَمَانِ ، فَقَالَ لِلْمُذْنِبِ لِمَاذَا تَضْرِبُ صَاحِبَكَ ، فَقَالَ مَنْ جَعَلَكَ رَئِيسًا وَقَاضِيًا عَلَيْنَا ، أَمُفْتَكِرٌ أَنْتَ بِقَتْلِي كَمَا قَتَلْتَ الْمِصْرِيَّ ، فَخَافَ مُوسَى وَقَالَ حَقًّا قَدْ عُرِفَ الأَمْرُ ، فَسَمِعَ فِرْعَوْنُ هَذَا الأَمْرَ فَطَلَبَ أَنْ يَقْتُلَ مُوسَى ، فَهَرَبَ مُوسَى مِنْ وَجْهِ فِرْعَوْنَ وَسَكَنَ فِي أَرْضِ مِدْيَانَ » (37).

وفي أرض مدين تزوج موسى بابنة كاهن مدين ، وعند مجيء موسى إلى جبل حوريب ، كلمه الله ، وأمره أن يخرج بني إسرائيل من أرض مصر : « بل وتطلب كل امرأة من جارتها ومن نزيلة بيتها أمتعة فضة وأمتعة ذهب وثيابا وتضعونها على بنيكم وبناتكم فتسلبون المصريين » . (38)

وهذا من افتراءات اليهود . فمن يعقل أن يأمرهم الله تعالى بالسرقة .

ثم يذكر السفر عودة موسى إلى مصر ، وكان في استقباله هارون عند جبل الله وأعلم موسى أخاه بما أرسل به ، فكلم هارون شيوخ بني إسرائيل ، وصنع الآيات أمام عيون الشعب فآمنوا بذلك .

ويستمر السفر في ذكر مادار بين موسى وهارون من جهة ، وفرعون من جهة ثانية من حديث تمحور حول السماح لبني إسرائيل بالخروج من مصر ، فرفض فرعون ذلك . « وَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى لاَ يَسْتَمِعُ لَكُمَا فِرْعَوْنُ لِكَيْ تَكْثُرَ عَجَائِبِي فِي أَرْضِ مِصْرَ . وَكَانَ مُوسَى وَهَارُونُ يَفْعَلاَنِ كُلَّ الْعَجَائِبِ أَمَامَ فِرْعَوْنَ ، وَلَكِنْ شَدَّدَ الرَّبُّ

37) خروج : 2 : 12 ، 13 ، 14 ، 15 .
38) خروج 3 : 22 .

قَلْبَ فِرْعَوْنَ فَلَمْ يُطْلِقْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ أَرْضِهِ » . (39)

ومن الآيات التي أرسلها الله على بني إسرائيل : الدم ، الضفادع ، البعوض ، الجراد ، موت مواشي المصريين ، الظلام الدامس في كل أرض مصر ثلاث أيام ، إرسال الرعود والبرد والمطر الشديد ، الرماد الذي يصير على الناس والبهائم دمامل وغيرها .

وعندما وصل الخبر إلى فرعون بهروب بني إسرائيل ، أخذ جنوده من أجل اللحاق لهم ، فكان مصيره وجنوده الغرق ، بعد أن رجع الماء وغطى مراكبهم : "فَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى مُدَّ يَدَكَ عَلَى الْبَحْرِ لِيَرْجِعَ الْمَاءُ عَلَى مَرْكَبَاتِهِمْ وَفُرْسَانِهِمْ . فَمَدَّ مُوسَى يَدَهُ عَلَى الْبَحْرِ فَرَجَعَ الْبَحْرُ عِنْدَ إِقْبَالِ الصُّبْحِ إِلَى حَالِهِ الدَّائِمَةِ وَالْمِصْرِيُّونَ هَارِبُونَ إِلَى لِقَائِهِ ، فَدَفَعَ الرَّبُّ الْمِصْرِيِّينَ فِي وَسَطِ الْبَحْرِ فَرَجَعَ الْمَاءُ وَغَطَّى مَرْكَبَاتِ وَفُرْسَانِ جَمِيعِ جَيْشِ فِرْعَوْنَ الَّذِي دَخَلَ وَرَاءَهُمْ فِي الْبَحْرِ . لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ وَلاَ وَاحِدٌ ، وَأَمَّا بَنُو إِسْرَائِيلَ فَمَشَوْا عَلَى الْيَابِسَةِ فِي وَسَطِ وَالْمَاءُ سُورٌ لَهُمْ عَنْ يَمِينِهِمْ وَعَنْ يَسَارِهِمْ .

فَخَلَّصَ الرَّبُّ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ إِسْرَائِيلَ مِنْ يَدِ الْمِصْرِيِّينَ ، وَنَظَرَ إِسْرَائِيلُ الْمِصْرِيِّينَ أَمْوَاتًا عَلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ ، وَرَأَى إِسْرَائِيلُ الْفِعْلَ الْعَظِيمَ الَّذِي صَنَعَهُ الرَّبُّ بِالْمِصْرِيِّينَ فَخَافَ الشَّعْبُ الرَّبَّ وَآمَنُوا بِالرَّبِّ وَبِعَبْدِهِ مُوسَى » . (40)

وخرج بنو إسرائيل من البحر إلى برية شور ، ثم إلى إيليم ومنها ارتحلوا إلى برية سين التي تقع بين إيليم وسيناء ، ذهبوا بعدها إلى رفيديم وهناك حارب العماليق بني إسرائيل ، فطلب موسى ـ عليه السلام ـ من يشوع أن يختار الرجال لمحاربة العماليق .

---

39) خروج : 11 : 9 ـ 10 .

40) خروج : 14 . 26 ـ 27 ـ 28 ـ 29 ـ 30 ـ 31 .

وفي بداية الإصحاح التاسع عشر نقرأ ان بني إسرائيل بعد ثلاثة أشهر من خروجهم من مصر ، انتقلوا إلى برية سيناء قادمين إليها من رفيديم ، ثم تلقى موسى الوصايا العشر : « أَنَا الرَّبَّ إِلَهُكَ الَّذِي أَخْرَجْتُكَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ مِنْ بَيْتِ الْعُبُودِيَةِ ، لاَ يَكُنْ لَكَ آلِهَةٌ أُخْرَى أَمَامِي .

لاَ تَصْنَعْ لَكَ تِمْثَالاً مَنْحُوتًا وَلاَ سُورَةً مِمَّا فِي السَّمَاءِ مِنْ فَوْقُ وَمَا فِي الأَرْضِ مِنْ تَحْتُ وَمَا فِي الْمَاءِ مِنْ تَحْتِ الأَرْضِ ،لاَ تَسْجُدْ لَهُنَّ وَلاَ تَعْبُدْهُنَّ لأَنِّي أَنَا الرَّبَّ إِلهُكَ إِلهٌ غَيُورٌ أَفْتَقِدُ ذَنْبَ الآبَاءِ فِي الأَبْنَاءِ فِي الْجِيلِ الثَّالِثِ وَالرَّابِعِ مِنْ مُبْغِضَيَّ » . (41)

وتستمر الوصايا العشر إلى نهاية الفقرة السابعة عشر من الإصحاح العشرين ، وهناك في هذا السفر مجموعة هامة من الشرائع والقوانين يطلق عليها قانون العهد ثم الحديث عن التابوت وخيمة الإجتماع . وجعل الكهانة في هارون وأبنائه .

3 ـ سفر اللاويين :

اللاويون هم نسل « لاوي » أحد أبناء يعقوب عليه السلام ـ ومن نسله كان موسى وهارون ـ عليهما السلام ـ ووظيفة اللاويين تتمثل في سدنة الهيكل ، والإشراف على شئون الذبح والقرابين ، وهم يمثلون أحبار الشريعة اليهودية وكهنتها ، وقد أسندت إليهم التوراة القيام بمهام دينيه ، ومن ثم سمي السفر باسمهم » . (42)

وهذه التسمية مترجمة من الكلمة اليونانية « لفيتيكوس » أي : لاويين ، أما في العبرية فيطلق عليه : « ويقرأ » أي : « ودعا » وهذه الكلمة الأولى التي يبدأ بها السفر .

41) خروج : 20 : 1 ـ 2 ـ 3 ـ 4 ـ 5 .

42) محمد عبد الله الشرقاوي ، في مقارنة الأديان بحوث ودراسات ، ص : 16

ويحتوي هذا السفر على سبعة وعشرين اصحاحا . وهو يشمل على شرائع القرابين أولا : وذلك ابتداء من الإصحاح الأول إلى نهايته : « وَدَعَا الرَّبُّ مُوسَى وَكَلَّمَهُ مِنْ خَيْمَةِ الإِجْتِمَاعِ قَائِلاً كَلِّمْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَقُلْ لَهُمْ ، إِذَا قَرَّبَ إِنْسَانٌ مِنْكُمْ قُرْبَانًا لِلرَّبِّ مِنَ الْبَهَائِمِ فَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ تُقَرِّبُونَ قُرْبَانَكُمْ ، إِنْ كَانَ قُرْبَانُهُ مُحْرَقَةً مِنَ الْبَقَرِ فَذَكَرًا صَحِيحًا يُقَرِّبُهُ إِلَى خَيْمَةِ الإِجْتِمَاعِ يُقَدِّمُهُ لِلرِّضَا عَنْهُ أَمَامَ الرَّبِّ ، وَيَضَعُ يَدَهُ عَلَى رَأْسِ الْمُحْرَقَةِ فَيُرْضَى عَلَيْهِ لِلتَّكْفِيرِ عَنْهُ وَيَذْبَحُ الْعِجْلَ أَمَامَ الرَّبِّ وَيُقَرِّبُ بَنُو هَارُونَ الْكَهَنَةُ الدَّمَ وَيَرُشُّونَ الدَّمَ مُسْتَدِيرًا عَلَى الْمَذْبَحِ الَّذِي لَدَى بَابِ خَيْمَةِ الإِجْتِمَاعِ » . (43)

ثم يتحدث السفر عن شرائع الإثم فإذا أخطأ واحد من بني إسرائيل في شيء من جميع مناهي الرب سهوا ترتب على ذلك تقديم قربان للرب ، لكن هذا القربان يختلف باختلاف المخطئ ، فإذا كان هذا المخطئ هو الكاهن يقدم للرب ثورا ، وإذا كان من جماعة بني إسرائيل سهم المجمع ثورا ، ويأتي به قدام خيمة الإجتماع ، وإذا صدر الخطأ سهوا من رئيس يقدم تيسا من المعز ذكرا صحيحا ، وإن كان من عامة الأرض يأتي بقربانه عنزا من المعز أنثى .

ويبين السفر . سائل الحلال و الحرام من المأكولات ، فالحيوانات المباح أكلها كل ما شق ظلفا وقسمة ظلفين ، ويجتر من البهائم إلا الجمل لأنه يجتر لكنه لا يشق ظلفا ، فهو نجس ، ونفس الشيء بالنسبة للوبر والأرنب والخنزير ، وأباح لهم جميع حيوانات المياه من ما لها زعانف وحرشف في البحار والأنهار ، وكل ما ليس له زعانف وحرشف فهو مكروه لهم ، ويكره من الطيور فلا يؤكل : النسر ، والأنوق ، والعقاب ، والحدأة ، والباشق وغيرها .

43) لاويين : 1 : 1 ـ 2 ـ 3 ـ 4 ـ 5 .

ولا يأكل كل دبيب يدب على الأرض ، وكل ما يمشي على بطنه : « وَهٰذَا هُوَ النَّجِسُ لَكُمْ مِنَ الدَّبِيبِ الَّذِي يَدِبُّ عَلَى الأَرْضِ ، ابْنُ عِرْسٍ وَالفَارُ وَالضَّبُّ عَلَى أَجْنَاسِهِ وَالجِرْذَوْنُ وَالوَزَلُ وَالوَزَغَةُ وَاليَطَاءَةُ وَالحِرْبَاءُ ، هٰذِهِ هِيَ النَّجِسَةُ لَكُمْ مِنْ كُلِّ الدَّبِيبِ ، كُلُّ مَنْ مَسَّهَا بَعْدَ مَوْتِهَا يَكُونُ نَجِسًا إِلَى المَسَاءِ وَكُلُّ مَا وَقَعَ شَيْءٌ وَاحِدٌ مِنْهَا بَعْدَ مَوْتِهَا يَكُونُ نَجِسًا ، مِنْ كُلِّ مَتَاعٍ خَشَبٍ أَوْ ثَوْبٍ أَوْ جِلْدٍ أَوْ بَلاَسٍ » . (44)

يتحدث السفر بعد ذلك على أن المرأة تكون نجسة لمدة سبعة أيام إذا ولدت ذكرا وتبقى في دم حيضها ثلاثة وثلاثين يوما ، ولا تمس خلال هذه المدة أي شيء مقدس أو تجيء إليه ، وإن ولدت أنثى فتكون نجسة لمدة أسبوعين ، وتتنقل ستة وستين يوما في دم حيضها . وعندما تكمل أيام تطهيرها تقدم خروف وفرخ حمامة إلى باب خيمة الإجتماع ، إلى الكاهن ليقدمها أمام الرب تكفيرا عنها .

وذكر السفر مجموعة من الأمور تجعل الإنسان نجسا منها مرض البرص ، ثم بين الشرائع الخلقية ، فتناول أحكام جرائم الزنى والعقوبات المترتبة عليها ، والمحرمات من النساء ، فقد حرم الله نكاح الأم وزوجة الأب والأخت ، وابنة الابن ، وابنة البنت ، وبنت امرأة الأب المولودة من الأب ، والعمة والخالة ، وزوجة العم ، وزوجة الابن ، وزوجة الأخ ، وحرم الجمع بين الأختين ، ووطء المرأة في الحيض ، ويختم السفر بهذه العبارة : « هٰذِهِ هِيَ الوَصَايَا الَّتِي أَوْصَى الرَّبُّ بِهَا مُوسَى إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي جَبَلِ سِينَاءَ » . (45)

44) لاويين 11 : 29 ـ 30 ـ 31 ـ 32 .
45) لاويين : 27 : 34 .

٤ ـ سفر العدد :

يسمى العدد ترجمة للكلمة اليونانية واللاتينية « نومرى » ، ويطلق عليه في اللغة العبرية « بمدبر » ويتكون من ستة وثلاثين اصحاحا ، وقد شغل معظمه بإحصائيات عن قبائل بني إسرائيل ، وجيوشهم ، وكل ما يمكن احصاؤه من شؤونهم : « وَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى فِي بَرِّيَّةِ سِينَاءَ فِي خَيْمَةِ الاِجْتِمَاعِ فِي أَوَّلِ الشَّهْرِ الثَّانِي فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ لِخُرُوجِهِمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ قَائِلاً أَحْصُوا كُلَّ جَمَاعَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِعَشَائِرِهِمْ وَبُيُوتِ آبَائِهِمْ بِعَدَدِ الأَسْمَاءِ كُلَّ ذَكَرٍ بِرَأْسِهِ مِنِ ابْنِ عِشْرِينَ سَنَةً فَصَاعِدًا كُلَّ خَارِجٍ لِلْحَرْبِ فِي إِسْرَائِيلَ ، تَحْسِبُهُمْ أَنْتَ وَهَارُونَ حَسَبَ أَجْنَادِهِمْ ، وَيَكُونَ مَعَكُمَا رَجُلٌ لِكُلِّ سِبْطٍ » . (46)

فبنو رأوبين ستة وأربعون ألفا وخمس مائة ، وبنو شمعون ستة وخمسون ألفا وثلاث مائة ، وبنو جاد خمسة وأربعون ألفا وست مائة وخمسون ، وبنو يهوذا أربعة وسبعون ألفا وست مائة،وبنو يساكر أربعة وخمسون ألفا أربع مائة ، وبنو زبولون سبعة وخمسون ألفا وأربع مائة ، وبنو يوسف بنو افرايم أربعون ألفا وخمس مائة وبنو منسى اثنان وثلاثون ألفا ومائتان ، وبنو بنيامين خمسة وثلاثون ألفا وأربعمائة ، وبنو دان اثنان وستون ألفا وسبع مائة ، وبنو أشير أربعون ألفا وخمس مائة ، وبنو نفتالي ثلاثة وخمسون ألفا وأربع مائة ، فهذا التعداد من غير أبناء اللاوي الذين أعدوا للكهانة ، فيقدر العدد الإجمالي بسمائة ألف وخمس مائة وخمسين وهم بطبيعة الحال ابن عشرين فصاعدا ، والتساؤل الذي يطرح كم كان عدد شعب إسرائيل بذراريهم ونسائهم وشيوخهم ، فلا شك أن هذا العدد مبالغ فيه ، ويرد رحمة الله خليل الرحمن الهندي على هذا الغلط في السفر ، بأننا لو ضممنا جميع

46) العدد : 1 : 1 ـ 2 ـ 3 ـ 4 .

المتروكين من الاحصاء لا يكون عدد الجميع أقل من ألفي ألف وخمس مائة ألف 2.500.000، من جهة إذا راجعنا عدد بني إسرائيل الذين دخلوا مصر مع يعقوب - عليه السلام - كانوا سبعين نفسا ، وان مدة إقامتهم في مصر كانت مائتين وخمس عشرة سنة ، وتمرضوا أثناء ربوعهم في مصر إلى قتل أبنائهم ، فيقرر رحمه الله خليل الرحمن الهندي أنه بغض النظر عن قتل أبنائهم ، وعلى افتراض أنهم كانوا يضاعفون في كل خمس وعشرين سنة فلا يبلغ عددهم إلى ستة وثلاثين ألفا في المدة المذكورة فضلا عن أن يبلغ ألفي ألف وخمسمائة ألف ولو لوحظ القيد فامتناع العقل أظهر » . (47)

وقد تعرض السفر بعد ذلك إلى بعض الشعائر الكهنوتية ، وتحديد ونظام اللاويين بحيث يقوم اللاوي بالخدمة في خيمة الاجتماع وقد ذكر عدد اللاويين .

في الإصحاح الرابع ، فعددهم بشعائرهم كل ذكر ابن شهر فصاعداً بلغ اثنين وعشرين ألفا ، والذين يقومون بالخدمة في الهيكل عددهم ثمانية آلاف وخمس مائة وثمانين ، وأن اللاوي يتأهل للخدمة في الهيكل عند بلوغه الخامسة والعشرين ، ويداوم على ذلك العمل إلى سن الخمسين « وَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى قَائِلاً هَذَا لِلاَّوِيِّينَ . مِنِ ابْنِ خَمْسٍ وَعِشْرِينَ سَنَةٍ فَصَاعِدًا يَأْتُونَ لِيَتَجَنَّدُوا أَجْنَادًا فِي خِدْمَةِ خَيْمَةِ الإِجْتِمَاعِ ، وَمِنِ ابْنِ خَمْسِينَ سَنَةً يَرْجِعُونَ مِنْ جُنْدِ الْخِدْمَةِ وَلاَ يَخْدُمُونَ بَعْدُ ، يُوَازِرُونَ إِخْوَتَهُمْ فِي خَيْمَةِ الإِجْتِمَاعِ لِحَرْسِ حِرَاسَةٍ لَكِنْ خِدْمَةً لاَ يَخْدُمُونَ . هَكَذَا تَعْمَلُ لِلاَّوِيِّينَ فِي حِرَاسَتِهِمْ » . (48)

ويحتفل بنو إسرائيل بعيد الفصح في الرابع عشر من شهر نيسان (ابريل) ومن كان مسافرا لا يحل له الإحتفال به ، فيؤخر ذلك إلى الرابع من الشهر الذي يليه .

---

47) إظهار الحق 2 ج . (مكتبة الثقافة الدينية) ، ج : 1 . ص : 68 ـ 69 .
48) العدد : 8 : 23 ـ 24 ـ 25 ـ 26 .

يرتحل بنو إسرائيل عندما ترتفع السحابة عن خيمة الاجتماع ، ونزولهم في المكان الذي تحل فيه « وَفِي يَوْمِ إِقَامَةِ الْمَسْكَنِ غَطَّتِ السَّحَابَةُ خَيْمَةَ الشَّهَادَةِ ، وَفِي الْمَسَاءِ كَانَ عَلَى الْمَسْكَنِ كَمَنْظَرِ نَارٍ إِلَى الصَّبَاحِ ، وَهَكَذَا كَانَ دَائِمًا ، السَّحَابَةُ تُغَطِّيهِ وَمَنْظَرُ النَّارِ لَيْلاً ، وَمَتَى ارْتَفَعَتِ السَّحَابَةُ عَلَى الْخَيْمَةِ كَانَ بَعْدَ ذَلِكَ بَنُو إِسْرَائِيلَ يَرْتَحِلُونَ ، وَفِي الْمَكَانِ حَيْثُ حَلَّتِ السَّحَابَةُ هُنَاكَ كَانَ بَنُو إِسْرَائِيلَ يَنْزِلُونَ » . (49)

وأمر الرب موسى أن يرسل رجالا من بني إسرائيل لكي يتجسسوا أرض كنعان ووعد بإعطائهم هذه الأرض ، فصعدوا وتجسسوا الأرض من برية صين إلى رحوب في مدخل حماة ، بعد ذلك يذكر الإصحاح المذكورين أنهم انتقلوا إلى برية صين وأقام بنو إسرائيل في قادش ، وهناك ماتت مريم ثم ارتحل بنو إسرائيل إلى جبل هور ، وظلوا في ترحال مستمر حتى نزلوا عربات موآب : « وكلم الرب موسى قائلا ، كلم بني إسرائيل وقل لهم إنكم عابرون الأردن إلى أرض كنعان ، فتعينوا لأنفسكم مدنا تكون مدن ملجأ لكم ليهرب إليها القاتل الذي قتل نفسا سهوا ، فتكون لكم المدن ملجأ من الولي لكيلا يموت القاتل حتى يقف أمام الجماعة للقضاء » . (50)

ثم فصل السفر في الأحكام المتعلقة بالقتل ، ويختتم بهذه العبارة « هَذِهِ هِيَ الْوَصَايَا وَالأَحْكَامُ الَّتِي أَوْصَى بِهَا الرَّبُّ إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْ يَدِ مُوسَى فِي عَرَبَاتِ مُوآبَ عَلَى أَرْدُنِّ أَرِيحَا » . (51)

---

49) العدد : 9 : 15 ـ 16 ـ 17 .
50) العدد : 35 : 9 ـ 10 ـ 11 ـ 12 .
51) العدد : 36 : 13 .

سفر التثنية :

يطلق عليه في اللغة اليونانية واللاتينية « دويترونوميوم » أما في اللغة العبرية فيسمى « هدبريم » وهي أول كلمة يبدأ بها السفر « هَذَا هُوَ الْكَلاَمُ الَّذِي كَلَّمَ بِهِ مُوسَى جَمِيعَ إِسْرَائِيلَ فِي عَبْرِ الأُرْدُنِّ فِي الْبَرِّيَّةِ فِي الْعَرَبَةِ قُبَالَةَ سُوفٍ بَيْنَ فَارَانَ وَتوفَلَ وَلاَبَانَ وَحَضَيْرُوتَ وَذِي ذَهَبٍ أَحَدَ عَشَرَ يَوْمًا مِنْ حُورِيبَ عَلَى طَرِيقِ جَبَلِ سَعِيرَ إِلَى قَادِشَ بَرْنِيعَ » . (52)

وسمي بالتثنية لأنه يعيد الشرائع اليهودية ، ويحتوي على أربعة وثلاثين إصحاحا ويعود زمن اكتشاف هذا السفر إلى الملك يوشياه : « وَفِي السَّنَةِ الثَّامِنَةَ عَشْرَةَ لِلْمَلِكِ يُوشِيَّا أَرْسَلَ الْمَلِكُ شَافَانَ بْنَ أَصَلْيَا بْنِ مَشُلاَّمَ الْكَاتِبَ إِلَى بَيْتِ الرَّبِّ قَائِلاً ، اصْعَدْ إِلَى حِلْقِيَّا الْكَاهِنِ الْعَظِيمِ فَيُحْسَبَ الْفِضَّةُ الْمَدْخَلَةُ إِلَى بَيْتِ الرَّبِّ الَّتِي جَمَعَهَا حَارِسُوا الْبَابِ مِنَ الشَّعْبِ » (53) ، فعندما ذهب شافان إلى حلقيا أخبره بأنه قد وجد سفر الشريعة : « فَقَالَ حِلْقِيَّا الْكَاهِنُ الْعَظِيمُ لِشَافَانَ الْكَاتِبِ قَدْ وَجَدْتُ سِفْرَ الشَّرِيعَةِ فِي بَيْتِ الرَّبِّ ، وَسَلَّمَ حِلْقِيَّا السِّفْرَ لِشَافَانَ فَقَرَأَهُ » . (54)

ويبدأ السفر في سرد الفترة التاريخية من خروج بني إسرائيل من مصر إلى فترة التيه ، حيث أخبر موسى بني إسرائيل بأنه لا يعبر معهم الأردن لأنه يموت في أرض التيه « وَغَضِبَ الرَّبُّ عَلَيَّ بِسَبَبِكُمْ وَأَقْسَمَ إِنِّي لاَ أَعْبُرُ الأُرْدُنَّ وَلاَ أَدْخُلُ الأَرْضَ الْجَيِّدَةَ الَّتِي الرَّبُّ إِلَهُكَ يُعْطِيكَ نَصِيبًا ، فَأَمُوتُ أَنَا فِي هَذِهِ الأَرْضِ ، لاَ أَعْبُرُ الأُرْدُنَ وَأَمَّا أَنْتُمْ فَتَعْبُرُونَ وَتَمْتَلِكُونَ تِلْكَ الأَرْضَ الْجَيِّدَةَ » . (55)

---

52) التثنية : 1 : 1 ـ 2 .
53) الملوك الثاني : 22 : 3 ـ 4 .
54) الملوك الثاني : 22 : 8 .
55) التثنية 4 : 21 ـ 22 .

ثم يعيد السفر بعد ذلك الوصايا ، والتشريعات التي سبق ذكرها ، والحديث عن عيد الفصح ، وعيد الأسابيع ، وعيد المظال .

ويتعرض السفر إلى شريعة القسامة : « إِذَا وُجِدَ قَتِيلٌ فِي الأَرْضِ الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلاَهُكَ لِتَمْتَلِكَهَا وَاقِعًا فِي الْحَقْلِ لاَ يَعْلَمُ مَنْ قَتَلَهُ يَخْرُجُ شُيُوخُكَ وَقُضَاتُكَ وَيَقِيسُونَ إِلَى الْمُدُنِ الَّتِي حَوْلَ الْقَتِيلِ ، فَالْمَدِينَةُ الْقُرْبَى مِنَ الْقَتِيلِ يَأْخُذُ شُيُوخُ تِلْكَ الْمَدِينَةِ عِجْلَةً مِنَ الْبَقَرِ لَمْ يُسْتَرْ فِيهِ وَلَمْ يَرْتَعْ وَيُكَسِّرُونَ عُنُقَ الْعِجْلَةِ فِي الْوَادِي ، ثُمَّ يَتَقَدَّمُ الْكَهَنَةُ بَنُو لاَوِي ، لأَنَّهُ إِيَّاهُمُ اخْتَارَ الرَّبُّ إِلَهُكَ لِيَخْدُمُوهُ وَيُبَارِكُوا بِاسْمِ الرَّبِّ وَحَسَبَ قَوْلِهِمْ تَكُونُ كُلُّ خُصُومَةٍ وَكُلُّ ضَرْبَةٍ وَيَغْسِلُ جَمِيعُ شُيُوخِ تِلْكَ الْمَدِينَةِ الْقَرِيبِينَ مِنَ الْقَتِيلِ أَيْدِيَهُمْ عَلَى الْعِجْلَةِ الْمَكْسُورَةِ الْعُنُقِ فِي الْوَادِي . وَيُصَرِّحُونَ وَيَقُولُونَ أَيْدِينَا لَمْ تَسْفِكْ هذَا الدَّمَ وَأَعْيُنُنَا لَمْ تُبْصِرْ ، اغْفِرْ لِشَعْبِكَ إِسْرَائِيلَ الَّذِي فَدَيْتَ يَا رَبُّ وَلاَ تَجْعَلْ دَمَ بَرِيءٍ فِي وَسَطِ شَعْبِكَ إِسْرَائِيلَ . فَيُغْفَرُ لَهُمُ الدَّمُ ، فَتَنْزِعُ الدَّمَ الْبَرِيءَ مِنْ وَسَطِكَ إِذَا عَمِلْتَ الصَّالِحَ فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ » . (56)

وفي الإصحاح الحادي والثلاثين يذكر لهم موسى ـ عليه السلام ـ أنه بلغ مائة وعشرين سنة ، وهو لا يعبر معهم الأردن حسب قول الرب ، وقال لهم : « الرب إلهك هو عابر قدامك ، هو يبيد هؤلاء الأمم من قدامك فترثهم ، يشوع عابر قدامك كما قال الرب » . (57)

وعندما أتم موسى ـ عليه السلام ـ كتابة التوراة ، سلمها لبني لاوي وأمرهم بوضعها بجانب تابوت عهد الرب ، وبعد أن أوصى موسى شعب بني إسرائيل قال : « جَاءَ الرَّبُّ مِنْ سِينَاءَ وَأَشْرَقَ لَهُمْ مِنْ سَعِيرَ

56) التثنية : 21 1 ـ 2 ـ 3 ـ 4 ـ 5 ـ 6 ـ 7 ـ 8 ـ 9 .
57) التثنية : 31 . 3

وَتَلَأْلَأَ مِنْ جَبَلِ فَارَانَ وَأَتَى مِنْ رِبْوَاتِ الْقُدْسِ وَعَنْ يَمِينِهِ نَارُ شَرِيعَةٍ لَهُمْ » . (58)

فهذه العبارة تشير صراحة إلى نبوة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ التي ينكرها اليهود : « وسعير جبال بيت المقدس التي كانت مظهر عيسى ـ عليه السلام ـ وفاران: جبال مكة التي كانت مظهر المصطفى ـ صلى الله عليه وسلم ـ » . (59)

ويختتم السفر بذكر موسى ـ عليه السلام ـ ودفنه في أرض موآب ويذكر كاتب السفر بأنه لم يعرف إنسان قبره وبناء على ذلك لا يمكن بحال أن يكون هذا الكلام من الوحي الذي نزل على موسى عليه السلام ـ .

مؤلف التوراة :

التساؤل الذي يطرح بعد أن عرفنا بأسفار التوراة ، هل موسى ـ عليه السلام ـ هو المؤلف الحقيقي لهذه الأسفار كما يزعم اليهود ؟ الجواب : أننا إذا تأملنا آخر عبارة وردت في هذه الأسفار التي ذكرت موسى ـ عليه السلام ـ ، ودفنه في أرض موآب مقابل بيت فاعور ، بحيث لم يعرف لإنسان قبره إلى اليوم على حد تعبير الكاتب تبين يقينا أن كاتب هذه العبارة جاء بعد موسى ـ عليه السلام ـ بزمن طويل بحيث نسي الناس موضع قبره ، هذا دليل كاف على أن الكاتب ليس موسى ، وحاول التلمود سد هذه الفجوة ، وادعى بأن الفقرات الخاصة بموت موسى من وضع يشوع ، وكما نعلم أن يشوع هو وصي موسى ، حيث دخل ببني إسرائيل إلى أرض كنعان بعد موت موسى . فلا يعقل أن ينسى الناس قبر موسى في

58) التثنية : 33 : 2 .

59) محمد بن عبد الكريم الشهرستاني ، الملل والنحل ، 2ج ، الطبعة الثالثة . (بيروت ـ لبنان ـ : دار المعرفة للطباعة والنشر ، 1395 هـ ـ 1975م) ، ج ، 1 ، ص : 213 .

عهده ، إلى جانب هذا هناك عبارات أخرى لا يمكن بحال أن تصدر عن موسى ـ عليه السلام ـ ، بل كاتبها إنسان آخر منها : « وَأَمَّا الرَّجُلُ مُوسَى فَكَانَ حَلِيمًا جِدًّا أَكْثَرَ مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ الَّذِينَ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ » . (60)

فلا يصح بحال أن يكون هذا الكلام لموسى ـ عليه السلام ـ ، بل هو لكاتب آخر أعطى وصفا لموسى ـ عليه السلام ـ .

وكذلك هذه العبارة في سفر الخروج : « وَأَعْطَى الرَّبُّ نِعْمَةً لِلشَّعْبِ فِي عُيُونِ الْمِصْرِيِّينَ ، وَأَيْضًا الرَّجُلَ مُوسَى كَانَ عَظِيمًا جِدًّا فِي أَرْضِ مِصْرَ فِي عُيُونِ عَبِيدِ فِرْعَوْنَ وَعُيُونِ الشَّعْبِ » . (61) . وهناك شواهد تاريخيه تبين أن المؤلف أو المؤلفين جاؤوا بعد موسى بزمن طويل ، فاسم مدينة دان لم يكن معروفا في عهد موسى ، والقرى المعروفة باسم لوز ظهرت في عهد القضاة بعد الدخول إلى أرض كنعان . ونفس الشيء يقال عن العبارة القائلة : « وَهَؤُلاَءِ هُمُ الْمُلُوكُ الَّذِينَ مَلَكُوا فِي أَرْضِ أَدُومَ قَبْلَمَا مَلَكَ مَلِكٌ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ » . (62) ، ومعلوم أن العصر الملكي في بني إسرائيل بدأ بشاؤول بعد موسى ـ عليه السلام ـ بمدة طويلة » . (63)

ندرك من هذه الشواهد وغيرها كثير أن التوراة ليست من تأليف موسى ـ عليه السلام ـ ، فهل هي من تأليف رجل واحد أم أن التأليف مر على عدة أشخاص ، وبعدة أدوار تاريخية ؟

يذهب الجويني إلى أن التوراة التي بيد اليهود كاتبها هو عزرا الوراق وذلك بعد فتنة نبوخذ ناصر، وقتله الجموع والطوائف من بني إسرائيل، وجعله الأموال غنيمة ،

60) العدد : 12 : 3 .
61) الخروج : 11 : 3 .
62) تكوين : 36 : 31 .
63) فؤاد حسنين علي ، التوراة اليهودية ، ص : 42 ـ 43 .

وقيامه بإتلاف الكتب المقدسة ، ومنعه بني إسرائيل من التنوه بذكرها ، في ام المال على هذه السورة حتى انقرض جيل منهم ، ومن ظفر منهم بأوراق من التوراة قرأها خفية . وهذه النسخة كتبها عزار قبل بعثه المسيح ـ عليه السلام ـ بخمس مائة وخمس وأربعين سنة ، ولم يكن على وجه الأرض نصراني » . (64)

والحقيقة أن هناك إشارات في العهد القديم يفهم منها أن عزرا هو الكاتب : «عَزْرَا هَذَا صَعِدَ مِنْ بَابِلَ وَهُوَ كَاتِبٌ مَاهِرٌ فِي شَرِيعَةِ مُوسَى الَّتِي أَعْطَاهَا الرَّبُّ إِلَهُ إِسْرَائِيلَ ، وَأَعْطَاهُ الْمَلِكُ حَسَبَ يَدِ الرَّبِّ إِلَهِهِ عَلَيْهِ كُلَّ سُؤْلِهِ ، وَصَعِدَ مَعَهُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَالْكَهَنَةِ وَاللاَّوِيِّينَ وَالْمُغَنِّينَ وَالْبَوَّابِينَ وَالنَّثِينِيمِ إِلَى أُورُشَلِيمَ فِي السَّنَةِ السَّابِعَةِ لأَرْتَحْشَسْتَا الْمَلِكِ ، وَجَاءَ إِلَى أُورُشَلِيمَ فِي الشَّهْرِ الْخَامِسِ فِي السَّنَةِ السَّابِعَةِ لِلْمَلِكِ . لأَنَّهُ فِي الشَّهْرِ الأَوَّلِ ابْتَدَأَ يَصْعَدُ مِنْ بَابِلَ وَفِي أَوَّلِ الشَّهْرِ الْخَامِسِ جَاءَ إِلَى أُورُشَلِيمَ حَسَبَ يَدِ اللهِ الصَّالِحَةِ عَلَيْهِ . لأَنَّ عَزْرَا هَيَّأَ قَلْبَهُ لِطَلَبِ شَرِيعَةِ الرَّبِّ وَالْعَمَلِ بِهَا وَلِيُعَلِّمَ إِسْرَائِيلَ فَرِيضَةً وَقَضَاءً . وَهَذِهِ صُورَةُ الرِّسَالَةِ الَّتِي أَعْطَاهَا الْمَلِكُ أَرْتَحْشَسْتَا لِعَزْرَا الْكَاهِنِ الْكَاتِبِ كَاتِبِ كَلاَمِ وَصَايَا الرَّبِّ وَفَرَائِضِهِ عَلَى إِسْرَائِيلَ ، مِنْ أَرْتَحْشَسْتَا مَلِكِ الْمُلُوكِ إِلَى عَزْرَا الْكَاهِنِ كَاتِبِ شَرِيعَةِ إِلَهِ السَّمَاءِ الْكَامِلِ إِلَى آخِرِهِ » . (65)

ومادام عزرا هو كاتب التوراة ، فلماذا سميت أسفارا التوراة بأسفار موسى الخمس ؟ فلقد حاول أسد حجازي السقا الإجابة على هذه الإشكالية : بأن موسى ـ عليه السلام ـ هو أول مشرع لبني إسرائيل عن أمر الله تعالى ، وبالتالي ما طرأ

---

64) شفاء العليل في بيان ما وقع في التوراة والإنجيل من التبديل ، ص : 31 .

65) عزرا : 7 : 6 ـ 7 ـ 8 ـ 9 ـ 10 ـ 11 ـ 12 .

من زيادات على كتابه ، فهي زيادات على الأصل ، وقد احترس الربانيون والأحبار من التصريح بها حرصا على عقائد العوام » . (66)

وبعد الدراسات النقدية لأسفار التوراة ، توصل الباحثون إلى تعدد المؤلفين ، فنجد المؤرخ اليهودي « سيمون دبنوف » ويتعبر من أكبر المؤرخين المعاصرين يذكر في ثقة : أن في الكتاب المقدس فصولا كثيرة مأخوذة من الثقافة البابلية كما يظهر ذلك من المقارنة بين الكتابة المسمارية وما ورد في التوراة » (67)

وقد توصل علماء الأديان إلى تعدد مصادر التوراة ، فالعالم الكاثوليكي استروك 1753م ، كان أول من أشار إلى مسألة تعدد المصادر استنادا إلى اختلاف اسم الألوهية ، فالإسم « الوهيم » يمثل مصدرا ، و« يهوه » يمثل مصدرا ثانيا » . (68)

ونجد مصدرا ثالثا يطلق عليه التثنية ، وهي كتابات تعني بالطقوس والتعهدات ، ومجالها الزمني يمتد من بدء الخليقة حتى وفاة موسى ـ عليه السلام ـ . (69)

أما المصدر الرابع فيطلق عليه المصدر التثنوي وهو أساس سفر التثنية . (70)

وسأتعرض بإيجاز إلى هذه المصادر حتى يتبين لنا أن كاتب التوراة ليس موسى ـ عليه السلام ـ .

---

66) نقد التوراة . (مكتبة الكليات الأزهرية) ، ص : 82 .

67) عبد الغفور عطار ، الديانات والعقائد ، ج ، الطبعة الأولى (مكة المكرمة ، 1401هـ ـ 1981م) ، ج 3 ، ص : 339 .

68) محمد خليفة حسن أحمد ، علاقة الإسلام باليهودية . (القاهرة : دار الثقافة ، 1988م) ص : 18 .

69) فؤاد حسنين علي ، التوراة الهيروغليفية ، ص : 47 .

70) محمد خليفة حسن أحمد ، علاقة الإسلام باليهودية ، ص : 31 .

أولا المصدر الالوهيمي :

هذا المصدر يعبر عن الالوهية باسم « الوهيم » ، ويؤكد على مسألة الوحدانية ، ويرفض الوثنية ، واعتبر حوريب في سيناء مسكنا للرب ، وليس كنعان ، ولا يهتم بما يسمى أرض إسرائيل ، كما يوبخ بني إسرائيل على عدم الوفاء بالعهد ، وذلك عندما عبدوا العجل الذهبي بعد غياب موسى - عليه السلام - لتلقي الوحي الإلاهي ، ويتم التركيز فيه على الجانب الأخلاقي ، ويمتد حتى إلى الحياة المستقبلية ، ويهتم أيضا بأمر النبوة والأنبياء ، وينفرد بنسبة النبوة لإبراهيم ويوسف وموسى - عليهم السلام - : « فالآنَ رُدَّ امْرَأَةَ الرَّجُلِ فَإِنَّهُ نَبِيٌّ فَيُصَلِّيَ لأَجْلِكَ فَتَحْيَا ، وَإِنْ كُنْتَ لَسْتَ تَرُدُّهَا فَاعْلَمْ أَنَّكَ مَوْتًا تَمُوتُ أَنْتَ وَكُلُّ مَنْ لَكَ » . (71)

وفي شأن يوسف - عليه السلام - وردت هذه العبارة : « فَقَالَ فِرْعَوْنُ لِعَبِيدِهِ هَلْ نَجِدُ مِثْلَ هَذَا رَجُلاً فِيهِ رُوحُ اللهِ ، ثُمَّ قَالَ فِرْعَوْنُ لِيُوسُفَ بَعْدَمَا أَعْلَمَكَ اللهُ كُلَّ لَيْسَ بَصِيرٌ وَحَكِيمٌ مِثْلَكَ ، أَنْتَ تَكُونُ عَلَى بَيْتِي وَعَلَى فَمِكَ يُقَبِّلُ جَمِيعُ شَعْبِي » . (72)

وينكر هذا المصدر فكرة المسيح المخلص ويرى بأن طريق الخلاص هو الندم والتوبة

ويتميز هذا المصدر بروح التسامحية مع المصريين ، فيقر بأن لجوء موسى - عليه السلام - إلى مدين لم يكن سببه راجعا إلى المصريين ، إنما يرجع في حقيقة الأمر إلى سوء التفاهم بين الإسرائيليين أنفسهم ، كما أن بني إسرائيل خرجوا من مصر وعلاقتهم طيبة بالمصريين » (73)

---

71) تكوين : 20 : 7 .

72) تكوين . 41 : 38 - 39 - 40 .

73) محمد خليفة حسن أحمد : علاقة الإسلام باليهودية . ص : 23 - 24 - 25 - 26 - 27 .

ثانيا : المصدر اليهوي :

يستعمل هذا المصدر اسم « يهوه » للدلالة على الألوهية ، ويركز على مسألة القومية بحيث يربط بينها وبين الدين ، ويعتبر عصر داود بالعصر الذهبي ، ففيه جسد الربط بين الرب والشعب والأرض ، فذلك العصر فيه فسرت وعود الرب مع آباء شعب إسرائيل تفسيرا جديدا ركز على البعد القومي ، وظهرت في هذا المصدر أرض إسرائيل كمصطلح مفضل لديهم ، وإن يهوه « إلا مهم القومي » . (74)

ولهذا نجد أن المصدر يبدي اهتماما كبيرا بتاريخ الآباء الأولين ، فتحدث عن وعد الله لإبراهيم ثم رحيله إلى كنعان وزيشيم وبيت إيل ، ورحلته إلى مصر ، ثم انفصاله عن لوط ، لكن في قصة يوسف ـ عليه السلام ـ نلاحظ خلطا كبيرا بين المصدر اليهوي والمصدر الألوهيمي ، ثم تعرض إلى قصة موسى ـ عليه السلام ـ وتنسية الخروج ، والتسلل إلى شرق الأردن ، غير أن هذه القصص فيها الكثير من التناقض الذي جعل الباحثين يميلون إلى تقسيم هذا المصدر إلى ستة أقسام » . (75)

ثالثا : المصدر الكهنوتي

اهتم بالطقوس والكهنوت ، وذكر أنساب الكثير من آباء شعب بني إسرائيل الاولين ، واهتم بقصة موسى ـ عليه السلام ـ وما جرى في مصر وسيناء ، وركز على العدد حيث يبدو للوهلة الأولى أنه دقيق جدا ، غير أن الحقيقة أنه قام بتوزيعها تدريجيا ، فمن آدم حتى نوح عدا هنوخ تتراوح الأعمار بين 700 و600 سنة للفرد الواحد ، ومن نوح حتى إبراهيم عدا ناحوربين 200 و600 سنة ، وأعمار الآباء الأولين بين 100 و200 سنة ، أما العهد الذي يلي ذلك تتراوح الأعمار بين 70 و80 سنة ، والسؤال الذي يطرح مامو هدف الكاتب من وراء هذا التوزيع العددي ؟ قد

---

74) نفس المرجع ، ص : 27 ـ 28 .

75) فؤاد حسنين علي ، التوراة الهيروغليفية ، ص : 49 ـ 50 .

يكون الدافع إلى ذلك فكرة الخطيئة التي اقترفها الإنسان الأول » . (76)

ويتعرض المصدر إلى الأعياد ، والوصايا ، والختان ، والتشريعات الخاصة بالعبادة والكهنوت ، ويوظف المصدر الأحداث التاريخية في الإستدلال على التشريعات الكهنوتية ، ومحاولة تبريرها ، وأخيرا يعتبر آخر مصدر من حيث الترتيب الزمني » . (77)

رابعا : المصدر التثنوي

عليه اعتمد سفر التثنية ، ومنه أخذ اسمه ، وهو يحاول التوفيق بين المصدرين الألوهيمي واليهوي ، والتوفيق كذلك بين المملكة الشمالية والجنوبية أي مملكتي إسرائيل ويهوذا ، لكن يبدو أن تأثير المصدر الألوهيمي عليه أكبر من اليهوي فهو يستخدم اسم الوهيم غير أنه لا يهتم بالآباء الأولين ، بل يركز على موسى ـ عليه السلام ـ أما تأثير المصدر اليهوي فيه فيظهر ذلك في مسألة الربط بين الإله والشعب واعتبار بني إسرائيل شعب الله ، وحب الإله وتعصبه لشعب بني إسرائيل » . (78)

أسفار صموئيل والملوك :

تشمل أربعة أسفار صموئيل الأول والثاني ، والملوك الأول والثاني : ويتحدث السفر الأول عن صموئيل : « وَكَبُرَ صَمُوئِيلُ وَكَانَ الرَّبُّ مَعَهُ وَلَمْ يَدَعْ شَيْئًا مِنْ جَمِيعِ كَلاَمِهِ يَسْقُطُ إِلَى الأَرْضِ ، وَعَرَفَ جَمِيعُ إِسْرَائِيلُ مِنْ دَانٍ إِلَى بِئْرِ سَبْعٍ أَنَّهُ

---

76) نفس المرجع ، ص : 47 ـ 48 .

77) محمد خليفة حسن أحمد ، علاقة الإسلام باليهودية ، ص : 30 ـ 31 .

78) نفس المرجع ، ص : 31 ـ 32 .

قَدِ ائْتَمَنَ صَمُوئِيلَ نَبِيًّا لِلرَّبِّ وَعَادَ الرَّبَّ يَتَرَاءَى فِي شِيلُوهَ لِأَنَّ الرَّبَّ اسْتَعْلَنَ لِصَمُوئِيلَ فِي شِيلُوهَ بِكَلِمَةِ الرَّبِّ » . (79)

وعندما شاخ صموئيل جعل أبناءه قضاة لإسرائيل ، ومال أبناؤه إلى أخذ الرشوة فجاء شيوخ بني إسرائيل إلى صموئيل ، وقالوا له بأنه قد شاخ ، وأبناؤه لم يسلكوا طريقه ، فطلبوا منه أن يجعل لهم ملكا وقد اختار الرب شاؤول : « وَالرَّبُّ كَشَفَ أُذُنَ صَمُوئِيلَ قَبْلَ مَجِيءِ شَاوُلَ بِيَوْمٍ قَائِلاً غَدًا فِي مِثْلِ الآنَ أُرْسِلُ إِلَيْكَ رَجُلاً مِنْ أَرْضِ بِنْيَامِينَ فَامْسَحْهُ رَئِيسًا لِشَعْبِي إِسْرَائِيلَ فَيُخَلِّصَ شَعْبِي مِنْ يَدِ الْفِلِسْطِينِيِّينَ لأَنِّي نَظَرْتُ إِلَى شَعْبِي لأَنَّ صُرَاخَهُمْ قَدْ جَاءَ إِلَيَّ ، فَلَمَّا رَأَى صَمُوئِيلُ شَاوُلَ أَجَابَهُ الرَّبُّ هُوَ ذَا الرَّجُلُ الَّذِي كَلَّمْتُكَ عَنْهُ ، هَذَا يَنْسِبُطُ شَعْبِي » . (80)

ومن شاؤول يبدأ عهد جديد في شعب بني إسرائيل ، وهو عهد الملوك وبروز داود كمقاتل شجاع استطاع أن يقتل جليات ، وكذلك نال شهرة وسط شعب بني إسرائيل ، فحاول شاؤول لذلك أن يتخلص منه ، ونقرأ في الإصحاح الأخير من سفر صموئيل الأول بأن الفلسطينيين شنوا الحرب على شاؤول وقتلوا أبناءه الثلاثة يوناثان وأبينا داب وملكيشوع ، وأصاب الرماة شاؤول ، فطلب من أحد جنده أن يقضي عليه لكنه رفض ، فأخذ شاؤول السيف وسقط عليه : « وَفِي النَّدِ لَمَّا جَاءَ الْفِلِسْطِينِيُّونَ لِيَعْرُوا الْقَتْلَى وَجَدُوا شَاوُلَ وَبَنِيهِ الثَّلاَثَةَ سَاقِطِينَ فِي جَبَلِ جِلْبُوعَ ، فَقَطَعُوا رَأْسَهُ وَنَزَعُوا سِلاَحَهُ وَأَرْسَلُوا إِلَى أَرْضِ الْفِلِسْطِينِيِّينَ فِي كُلِّ جِهَةٍ لأَجْلِ التَّبْشِيرِ فِي بَيْتِ أَصْنَامِهِمْ وَفِي الشَّعْبِ ، وَوَضَعُوا سِلاَحَهُ فِي بَيْتِ عِشْتَارُوتَ وَسَمَّرُوا

79) صموئيل الأول : 3 : 19 ـ 20 ـ 21 .
80) صموئيل الأول : 9 : 15 ـ 16 ـ 17 .

جَسَدَهُ عَلَى سُورِ بَيْتِ شَانَ » . (81)

وتولى الملك على بني إسرائيل بعد شاؤول ابنه إشبوشث ، وشمل ملكه جلعاد ، والأشوريين ، ويزرعيل وأفرايم وبنيامين وكل بيت يهوذا في حبرون سبع سنين وستة أشهر ، ووقعت حرب شديدة بين بيت شاؤول ، وبيت داود ،ثم ملك بعد ذلك داود على جميع إسرائيل ويهوذا لمدة ثلاث وثلاثين سنة ، فكانت بذلك مدة ملك داود أربعين سنة : « وَكَانَ دَاوُدُ ابْنَ ثَلاثِينَ سَنَةٍ حِينَ مَلَكَ وَمَلَكَ أَرْبَعِينَ سَنَةٍ ، فِي حَبْرُونَ مَلَكَ عَلَى يَهُوذَا سَبْعَ سِنِينَ وَسِتَّةَ أَشْهُرٍ ، وَفِي أُورُشَلِيمَ ثَلاثًا وَثَلاثِينَ سَنَةً عَلَى جَمِيعِ إِسْرَائِيلَ وَيَهُوذَا » . (82)

ويتعرض سفر صموئيل الثاني بعد ذلك إلى تاريخ داود ، ويمكن تقسيمه إلى :

« الأول :يتضمن ذكر انتصار داود وتفوقه على بيت شاؤول (الإصحاحات من1 إلى10)

الثاني : فيه نبأ الإضطرابات التي حدثت لداود على خليفته أمام الله ، ثورة أبشالوم وهرب داود ، موت أبشالوم وعودة داود (الإصحاحات من 11 إلى 19) .

الثالث : يتضمن تثبيت داود على كرسي الملك بعد توبته الصادقة ، وأناشيد النصر وإحصاء الشعب والطاعون ، وأخبار السنين الأخيرة من ملك داود (الإحصاءات من 20 إلى 24) . (83)

---

81) صموئيل الأول : 31 : 8 ـ 9 ـ 10 .

82) صموئيل الثاني : 5 : 4 ـ 5 .

83) مراد كامل ، الكتب التاريخية في العهد القديم ، (جامعة الدول العربية معهد البحوث والدراسات) ، ص : 69 .

ويذكر سفر الملوك الأول أن سليمان هو الذي خلف أباه داود في الملك ، « وَلَمَّا قَرُبَتْ أَيَّامُ وَفَاةِ دَاوُدَ أَوْصَى سُلَيْمَانَ ابْنَهُ قَائِلاً أَنَا ذَاهِبٌ فِي طَرِيقِ الأَرْضِ كُلِّهَا ، فَتَشَدَّدْ وَكُنْ رَجُلاً ، احْفَظْ شَعَائِرَ الرَّبِّ إِلَهِكَ إِذْ تَسِيرُ فِي طُرُقِهِ وَتَحْفَظَ فَرَائِضَهُ وَأَحْكَامَهُ وَشَهَادَاتِهِ كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ فِي شَرِيعَةِ مُوسَى لِكَيْ تُفْلِحَ فِي كُلِّ مَا تَفْعَلُ وَحَيْثُمَا تَوَجَّهْتَ » . (84)

وقد بنى سليمان بيتا للرب في السنة الثانية من ملكه طوله ستون ذراعا ، وعرضه عشرون ذراعا وسمكه ثلاثون ذراعا ، ونقل الكهنة واللاويون التابوت إلى محراب البيت في قدس الاقداس ، وينتهي الإصحاح الحادي عشر من سفر الملوك الأول بموت سليمان : "وَكَانَتِ الأَيَّامُ الَّتِي مَلَكَ فِيهَا سُلَيْمَانُ فِي أُورُشَلِيمَ عَلَى كُلِّ إِسْرَائِيلَ أَرْبَعِينَ سَنَةً ثُمَّ اضْطَجَعَ سُلَيْمَانُ مَعَ آبَائِهِ وَدُفِنَ فِي مَدِينَةِ دَاوُدَ أَبِيهِ وَمَلَكَ رَحَبْعَامُ ابْنُهُ عِوَضًا عَنْهُ » . (85)

وانقسم ملك سليمان بعد وفاته إلى مملكتين احداهما ليربعام والأخرى لرحبعام .

وقد ظهر في هذا السفر الدور الكبير الذي لعبه الأنبياء في حفظ الدين ، ومقاومة عبادة الأوثان .

عزرا ونحميا :

نقرأ في سفر عزرا رجوع اليهود من السبي ، وإعادة بناء الهيكل : « فَقَامَ زَرُبَّابِلُ بْنُ شَأَلْتِئِيلَ وَيَشُوعُ بْنُ يُوصَادَاقَ وَإِخْوَتُهُمَا الْكَهَنَةُ وَاللاَّوِيُّونَ وَكُلُّ الَّذِينَ جَاءُوا مِنَ السَّبْيِ إِلَى أُورُشَلِيمَ وَابْتَدَأُوا فِي بَيْتِ اللهِ فِي أُورُشَلِيمَ وَشَرَعُوا فِي بِنَاءِ بَيْتِ اللهِ عَلَى مَكَانِهِ حَسَبَ طَاقَتِهِمْ إِلَى الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْحِجَارَةِ الْكَرِيمَةِ وَالْخَشَبِ وَالْبَرْسِ وَالأُرْجُوَانِ وَالْقِرْمِزِ وَالْبُوصِ وَالْكَتَّانِ وَالْمُغَنِّينَ وَالْبَوَّابِينَ وَالنَّاتِينِيمِ وَكُلِّ الَّذِينَ قَدْ نَذَرُوا نَذْرًا مِنْ كُلِّ الشَّعْبِ لِبِنَاءِ بَيْتِ اللهِ فِي أُورُشَلِيمَ وَكَانَ الْكُلُّ يَصْعَدُونَ إِلَى بَيْتِ اللهِ فِي أُورُشَلِيمَ وَكُلُّ الَّذِينَ حَوْلَهُمْ أَعَانُوهُمْ بِآنِيَةِ فِضَّةٍ وَذَهَبٍ وَبِأَمْتِعَةٍ

84) الملوك الأول : 2 : 1 ـ 2 ـ 3 .

85) الملوك الأول : 11 : 42 ـ 43 .

وَبَهَائِم وَبِتُحَف فَضْلاً عَنْ كُلِّ مَا تَبرعَ بِهِ » . (86)

وعاد بعد هؤلاء فوج من السبي بقيادة عزرا الذي كان كاتبا ماهرا في شريعة موسى وأصدر الملك أرتحشستا أمرا يسمح بموجبه لكل من أراد من شعب إسرائيل وكهنته واللاويين أن يرجع إلى أوشليم مع عزرا فليرجع ، وأقام لهم عزرا الشريعة ، وأمرهم بمفارقة النساء الأجنبيات لأن ذلك يخالف تعاليم الشريعة .

أما سفر نحميا فيتعرض إلى عودة نحميا بعد أن يسمح له الملك أرتحشستا بالرجوع ، ويروى ذلك نحميا في سفره : « فَقَالَ لِي المَلِكُ لِمَاذَا وَجْهُكَ مُكَمَّدٌ وَأَنْتَ غَيْرُ مَرِيضٍ ، مَا هَذَا إِلاَّ كَآبَةُ قَلْبٍ ، فَخِفْتُ كَثِيرًا جِدًّا وَقُلْتُ لِلْمَلِكِ لِيَحْيَ المَلِكُ إِلَى الأَبَدِ ، فَكَيْفَ لاَ يُكَمَّدُ وَجْهِي وَالمَدِينَةُ بَيْتُ مَقَابِرِ آبَائِي خَرَابٌ وَأَبْوَابُهَا قَدْ أَكَلَتْهَا النَّارُ فَقَالَ لِي المَلِكُ مَاذَا تَطْلُبُ أَنْتَ ، فَصَلَّيْتُ إِلَى إِلَهِ السَّمَاءِ ، وَقُلْتُ لِلْمَلِكِ إِذَا سَرَّ المَلِكَ وَإِذَا أَحْسَنَ عَبْدُكَ أَمَامَكَ تُرْسِلَنِي إِلَى يَهُوذَا إِلَى مَدِينَةِ قُبُورِ آبَائِنَا فَأَبْنِيهَا » (87)

و أشرف نحميا على بناء سور المدينة ، والقيام بإصلاحات دينية ، رجع بعدها إلى بلاد فارس ، لكن اليهود تركوا من جديد عهد الرب ، وعملوا الشر، فاستأذن نحميا ثانية من الملك أرتحشستا ، وعاد ليجدد إصلاحاته .

أستير :

هو اسم امرأة من بني إسرائيل تزوجت بملك الفرس أحشويروش :

(86) عزرا : 1 : 5 ـ 6 .

(7) نحميا : 2 : 2 ـ 3 ـ 4 ـ 5 .

فَأَحَبَّ الْمَلِكُ أَسْتِيرَ أَكْثَرَ مِنْ جَمِيعِ النِّسَاءِ وَوَجَدَتْ نِعْمَةً وَإِحْسَانًا قُدَّامَهُ أَكْثَرَ مِنْ جَمِيعِ الْعَذَارَى فَوَضَعَ تَاجَ الْمُلْكِ عَلَى رَأْسِهَا وَمَلَّكَهَا مَكَانَ وَشْتِي » . (88)

وكان مردخاي عم أستير في القصر ، فرفض السجود كما أوصى الملك ، فأخبر الجنود هامان بذلك ، وقرر هامان القضاء على مردخاي وقومه ، لكن استير استطاعت أن تنقذ شعبها . وأمكنتهم من هامان وبيته : « فَضَرَبَ الْيَهُودُ جَمِيعَ أَعْدَائِهِمْ ضَرْبَةَ سَيْفٍ ، وَقَتْلٍ وَهَلاَكٍ وَعَمِلُوا بِمُبْغِضِيهِمْ مَا أَرَادُوا ، وَقَتَلَ الْيَهُودُ فِي شُوشَنَ الْقَصْرِ وَأَهْلَكُوا خَمْسَ مِئَةِ رَجُلٍ » . (89)

الأسفار الشعرية :

وهي عبارة عن أناشيد ومواعظ معظمها ديني ، عددها خمسة وهي سفر أيوب ، مزامير داود ، أمثال سليمان ، الجامعة من كلام سليمان ، ونشيد الأناشيد لسليمان» . (90)

أسفار الأنبياء :

ويتعرض كل منها إلى تاريخ نبي من أنبياء بني إسرائيل الذين أرسلوا بعد موسى وهارون ، وهي أسفار أشعياء ، وارميا ومراثي أرميا وحزقيال ودانيال وهوشع ويوئيل وعاموس ، وعوبديا ، ويونس ميخا وناحوم و حبقوق ، صفنيا ،

---

88) استير : 2 : 17 .

89) أستير : 9 : 5 ـ 6 .

90) علي عبد الواحد وافي ، الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام ، الطبعة الأولى ، (مصر : مكتبة النهضة ، 1384هـ ـ 1964م) ، ص : 15 ـ 16 .

وحجي،زكريا، وملاخي ... (91)

فالعهد القديم هو المصدر الرئيسي للإسرائيليات ، نوجز إلى جانبه التلمود .

١١ ـ التلمود :

كانت هناك روايات تناقلها علماء اليهود مشافهة من جيل إلى آخر ، وفي سنة مائة وخمسين للميلاد، خاف أحد علماء اليهود واسمه « يوضاس » من ضياع هذه الروايات ، فقام بجمعها في كتاب أطلق عليه "المشنا" ومعناه الشريعة المكررة ، فهي تكرار لما جاء في أسفار موسى ، وأضيفت إلى المشنا التي كتبها "يوضاس" والذي أتم تدوين المشنا بتلك الزيادات هو الربي يهوذا سنة مائتين وستين للميلاد ، ومنذ ذلك العهد أصبحت المشنا تطلق على ما دون في عهد يوضاس إلى الربي يهوذا،ثم كتبت عليها حواش وشروح منفصلة سميت بالجمارا ، ومن المشنا و الجمارا يتكون التلمود ، والمشنا الذي به زيادات لحاخامات فلسطين يسمى هو وشروحه « تلمود أورشليم » أما المشنا الذي به زيادات حاخامات بابل فيسمى هو وشروحه « تلمود بابل » وهو المتداول بين اليهود والمراد عند الإطلاق » . (92)

ويتكون التلمود من ست مباحث تسمى « سيدراريم » أي أحكام وهي كما يلي :

---

91) نفس المرجع : 16 .

92) الكنز المرصود . ص : 29 ـ 30 ،التلمود شريعة إسرائيل . ص : 10 ـ 11 نقلا عن أحمد شلبي : اليهودية . ص : 265 ـ 266 .

أولا : زيرائيم أي البذور ، يتكون من أحد عشر رسالة ، ويتضـــن اللوائح الزراعية.

ثانيا : موئيد أي الأيام المقررة ، ويتكون من اثني عشر رسالة ، ويـــتوي على لوائح الأعياد والصيام .

ثالثا : نشيم أي المرأة ويتكون من سبع رسائل ، ويتضمن قوانين الزواج والطلاق والنذور ، ورسالة منهم تتناول علاقة الوثنيين باليهود .

رابعا : نيزيكين أي : الأضرار ويتكون من عشر رسائل ، ويتضمن القوانين المدنية والجنائية .

خامسا : كوداشيم أي الأشياء المقدسة ، ويتكون من أحد عشر رسالة ويتضمن قوانين الصلاة .

سادسا : توهاروت أي الطهارة ، ويتكون من اثني عشر رسالة ، ويتضمن قوانين الطهارة والنجاسة .

ويبلغ عدد رسائله ثلاثا وستين رسالة . وكل واحدة مقسمة إلى فصول . (93)

والتلمود عند اليهود أقدس من أسفار موسى ، وهناك زعم عند اليهود يذهب إلى أن التلمود أقدم الخليقة ، مع أنه أقوال متأخرة أي بعد أسفار موسى ، ومن مظاهر القدسية عندهم ، أن فيه أحكاما من يخالفها فجزاؤه القتل بينما هناك أحكام في التوراة لا يعاقب تاركها بالموت ، بل بلغ عقاب من يهزأ بكلمة من التلمود ما لا

93) ظفر الإسلام خان ، التلمود تاريخه ورجاله ، الطبعة السادسة ، (بيروت : دار النفائس ، 1405هـ - 1985م) ص : 13 .

يخطر ببال ، بأن يغمس في الغائط ، ويساق فيه حيا إلى الموت ، بل ورد فيه بأن الحاخام أعظم من الله ، وإذا كان هناك خلاف بين الله والحاخام فالحق مع الحاخام والله عزوجل في منظور التلمود خاضع للحاخام ، لأن عليه إجراء ما يراه الحاخام » .(94)

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

94) عبد الغفور عطار ، اليهود واليهودية ، ج : 2 ، ص : 361 ـ 362 .

المبحث الثالث

المصادر النصرانية

تتمثل المصادر النصرانية في العهد الجديد وهو يتكون من ثلاثة أقسام : الأناجيل ورسائل الرسل ، ورؤيا يوحنا اللاهوتي .

1 ـ **الأناجيل** : والمقصود بها الأناجيل المعتمدة لدى الكنيسة وعددها أربعة : متى ، مرقس : لوقا : يوحنا .

أولا : إنجيل متى :

مؤلفه أحد الحواريين الإثني عشر ، وكان عمله الأصلي يتمثل في جباية الضرائب للرومان في كفر ناحوم من أعمال الجليل ، وكانت نظرة اليهود للجباة تقوم أساسا على الإزدراء لأنهم كانوا من ناحية مسخرون من قبل الرومان الذين يحتلون أرض اليهود ، ويسومون أهلها سوء العذاب ، ومن ناحية أخرى كانت مهنتهم تقوم علي كثير من الظلم وبعد ذلك اتصل متى بالمسيح ـ عليه السلام ـ وأصبح تلميذا له وبعد صلب المسيح قام بواجب الدعوة إلى النصرانية وتوفي بها سنة سبعين للميلاد . (95)

95) عبد الواحد وفي ، الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام ، ص : 56 ـ 57 .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وقد كتب هذا الإنجيل باللغة العبرية ، والنسخة الشائعة كانت باللغة اليونانية ، لكن يجهل تاريخ الترجمة والتدوين ، والدليل على أنه كتب باللغة العبرية أنه موجه خصيصا لليهود لأنه يقوم بالدعوة بينهم . (96)

ويبدأ هذا الإنجيل بذكر نسب المسيح ، وهو في حقيقته نسب يوسف النجار ، أما المسيح فقد ولد من غير أب ، ثم يتعرض الإنجيل لولادة المسيح في بيت لحم اليهودية في أيام الملك هيرودس ، ومجئ المجوس ليسجدوا للمسيح بعد أن رأوا نجمه في المشرق ، والحوار الذي دار بينهم وبين هيروديس وذكر يوحنا وقضية المعمودية :

« وَلَمَّا اعْتَمَدَ يَسُوعُ صَعِدَ لِلْوَقْتِ مِنَ الْمَاءِ ، وَإِذَا السَّمَاوَاتُ قَدِ انْفَتَحَتْ لَهُ فَرَأَى رُوحَ اللهِ نَازِلاً مِثْلَ حَمَامَةٍ وَآتِيًا عَلَيْهِ ، وَصَوْتٌ مِنَ السَّمَاوَاتِ قَائِلاً هَذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ الَّذِي بِهِ سُرِرْتُ » . (97)

ويعلن المسيح بأنه جاء ليكمل شريعة موسى ـ عليه السلام ـ وهنا نلاحظ السلبية في تعاليم النصرانية حيث ورد في الإنجيل : « وقيل من طلق امرأته فليعطها كتاب طلاق ، وأما أنا فأقول لكم إن من طلق امرأته إلا لعلة الزنى يصيرها تزني ، ومن يتزوج مطلقة فإنه يزني » . (98) ، كذلك ورد : « سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ عَيْنٌ بِعَيْنٍ وَسِنٌّ بِسِنٍّ ، وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ لاَ تُقَاوِمُوا الشَّرَّ ، بَلْ مَنْ لَطَمَكَ عَلَى خَدِّكَ الأَيْمَنِ فَحَوِّلْ لَهُ الآخَرَ » . (99) ، وبين الإنجيل جملة من مواعظ المسيح ، وبعض الخوارق التي جرت على يديه ، والغريب في الأمر أن هذا الإنجيل ينسب إلى متى ، لكنه عند تحدث كاتب الإنجيل عنه ، استعمل ضمير الغائب وأسلوب الكتابة يوضح أن

---

96) محمد أبو زهرة ، محاضرات في النصرانية ، الطبعة الرابعة ، (دار الفكر العربي ، 1392هـ ـ 1972م) ، ص 46 ـ 47 .

97) متى : 3 : 16 ـ 17

98) متى : 5 : 31 ـ 32 .

99) متى 5 : 38 ـ 39 .

الكاتب غير متى وإليك العبارة كما وردت : « وَفِيمَا يَسُوعُ مُجْتَازٌ مِنْ هُنَاكَ رَأَى إِنْسَانًا جَالِسًا عِنْدَ مَكَانِ الْجِبَايَةِ اسْمُهُ مَتَّى ، فَقَالَ لَهُ اتْبَعْنِي ، فَقَامَ وَتَبِعَهُ ، وَبَيْنَمَا هُوَ مُتَّكِئٌ فِي الْبَيْتِ إِذَا عَشَّارُونَ وَخَطَاةٌ كَثِيرُونَ قَدْ جَاءُوا وَاتَّكَأُوا مَعَ يَسُوعَ وَتَلاَمِيذِهِ » . (100)

وفيه مادار بينه وبين اليهود ، وكيف أسسك رؤساء الكهنة وشيوخ إسرائيل بخيانة من يهوذا ، أحد الإثني عشر ، ودفعه رؤساء الكهنة وشيوخ إسرائيل للوالي بيلاطس وكانت من عادة الوالي أن يطلق في العيد أسيرا واحدا ، فخيرهم بين باراباس ويسوع ، لكن الكهنة والشيوخ حرضوا أفراد الشعب على اختيارباراباس ، فقالوا جميعا ليصلب المسيح ، وقدم للصلب ، ثم قام بعد ذلك من قبره .

ثانيا : إنجيل مرقس :

أصله من اليهود ، واسمه الأصلي يوحنا ، ويلقب بمرقس ، وهو أحد التلاميذ السبعين ، وبعد المسيح ـ عليه السلام ـ قام برحلات تبشيرية مع خاله برنابا ، وبولس الرسول إلى كل من قبرص ، وآسيا الصغرى كما رافق بطرس كذلك ، ومرقس هو المنشئ لبطريركة الإسكندرية التي يتولاها بابوات الأقباط الأرثذوكس الذين اعتبروا أنفسهم خلفاء مرقس ، وكانت نهايته في مصر سنة سبعة وستين للميلاد . (101)

---

100) متى : 9 ـ 10 .

101) عبد الواحد وافي ، الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام ، ص 56 ـ 57 .

ويبدأ هذا الإنجيل بذكر أن المسيح ـ عليه السلام ـ ابن الله : « بَدْءُ إِنْجِيلِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ ابْنِ اللهِ كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ فِي الأَنْبِيَاءِ ، هَا أَنَا أُرْسِلُ أَمَامَ وَجْهِكَ مَلاَكِي الَّذِي يُهَيِّئُ طَرِيقَكَ قُدَّامَكَ ، صَوْتُ صَارِخٍ فِي الْبَرِّيَّةِ : أَعِدُّوا طَرِيقَ الرَّبِّ اصْنَعُوا سُبُلَهُ مُسْتَقِيمَةً » . (102)

ولم يذكر هذا الإنجيل قصة مولد المسيح ـ عليه السلام ـ بل انتقل مباشرة إلى يوحنا ومسألة المعمودية ، ودعوة المسيح ـ عليه السلام ـ واختياره لاثني عشر يكونون معه لهم سلطان في إخراج الشياطين وشفاء الأمراض ، وما أجرى على يديه من خوارق كإحياء الموتى ، وإزالة العمى ، وإخراجه للذين يبيعون ويشترون في الهيكل ، وقلبه موائد الصيارفة ، وبائع الحمام ، وأخيرا مكيدة اليهود وقضية الصلب ، والقيام بعد ذلك : « ثُمَّ إِنَّ الرَّبَّ بَعْدَمَا كَلَّمَهُمْ ارْتَفَعَ إِلَى السَّمَاءِ وَجَلَسَ عَنْ يَمِينِ اللهِ ، وَأَمَّا هُمْ فَخَرَجُوا وَكَرَزُوا فِي كُلِّ مَكَانٍ وَالرَّبُّ يَعْمَلُ مَعَهُمْ وَيُثْبِتُ الْكَلاَمَ بِالآيَاتِ التَّابِعَةِ » . (103)

وقد كتب هذا الإنجيل باللغة اليونانية ، ومكان الكتابة هي روما ، غير أن هناك من علماء النصارى من يذهب إلى أن بطرس هو كاتب الإنجيل ، وفي مقابل ذلك يقول آخرون بأن مرقس كتب إنجيله بعد وفاة بطرس ، وهو في حقيقة الأمر خلاف جوهري ، لأن هذا الإختلاف يبين بوضوح الشك الموجود فيمن كتبه » . (104)

ثالثا : إنجيل لوقا :

لوقا من مواليد إنطاكيا ، وقد اهتم بدراسة الطب ، وكان من دعاة النصرانية الكبار ، وبعد المسيح ـ عليه السلام ـ قام برحلات تبشيرية برفقة بولس ، وقد أشار

---

102) مرقس : 1 ـ 2 ـ 3 ـ .

103) مرقس ك 16 : 19 ـ 20 .

104) محمد أبو زهرة ، محاضرات في النصرانية ، ص 51 ـ 52 .

بولس الرسول إلى هذه الحسبة في رسالته إلى تلميذة تيموثاوس ، ورسالته إلى تلميذه فيليمون ، وفي ثالثة إلى أهل كولوس ، وهناك من يذهب إلى أنه لم يكن طبيبا بل كان مصورا ، توفي سنة سبعين للميلاد . (105)

وقد بين لوقا في بداية إنجيله بأنه كتب ما علمه إلى ثاوفيلس ، وقد انطلق من زكريا وكيف رزق بولد بعد أن بلغ الكبر ، وامرأته متقدمة في أيامها ، وجبريل - عليه السلام - هو الذي بشره بذلك ، وعندما خرج زكريا من الهيكل لم يستطع أن يكلم الشعب المنتظرين له فكان يومئ إليهم ثم إعلام جبريل - عليه السلام - لمريم أنها ستحمل وتلد ابنا تسميه يسوع ، وتعجبها من ذلك ، لأنها لم تعرف رجلا قبل ذلك : « فَقَالَتْ مَرْيَمُ لِلْمَلاَكِ كَيْفَ يَكُونُ هَذَا وَأَنَا لَسْتُ أَعْرِفُ رَجُلاً ، فَأَجَابَ الْمَلاَكُ وَقَالَ لَهَا : الرُّوحُ الْقُدُسُ يَحِلُّ عَلَيْكِ وَقُوَّةُ الْعَلِيِّ تُظَلِّلُكِ فَلِذَلِكَ أَيْضًا الْقُدُّوسُ الْمَوْلُودُ مِنْكِ يُدْعَى ابْنَ اللهِ » . (106)

ونقرأ في هذا الإنجيل تفصيلات كثيرة في قصة الميلاد وما تبعها ، ويذكر بأن المسيح رجع من الأردن ممتلئا من الروح القدس وعمره ثلاثون سنة أي أن بعثته كانت في الثلاثين من عمره ، ودعوته لليهود وإبراء الأبرص ، وإحياء الموتى ، وإرساله سبعين تلميذا إلي كل مدينة وموضع ، ويختتم الإنجيل بقصة الصلب .

وقد ألف لوقا إنجيله باللغة اليونانية ، وكتابه كان إلى ثيوفيلوس وقد وقع الاختلاف فيه ، فمنهم من قال بأنه مصري وهناك من قال بأنه من

---

105) عبد الواحد وافي ، الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام ، ص : 62 - 63 .

106) لوقا ، 1 : 34 - 35 .

عظماء اليونان أو أحد علمائهم . (107)

رابعا : يوحنا :

أحد الاثني عشر الذين اختارهم المسيح ـ عليه السلام ـ وكان أبوه من كبار دعاة النصرانية وله قديسة شهيرة ، وكان أحب الحواريين إلى المسيح ، لذلك كان يطلق عليه اسم الحواري الحبيب ، توفي ما بين سنتي تسعين ومائة للميلاد . (108)

وقد تفرد الإنجيل بمقدمته : « فِي الْبَدْءِ كَانَ الْكَلِمَةُ وَالْكَلِمَةُ كَانَ عِنْدَ اللهِ وَكَانَ الْكَلِمَةُ اللهَ . هَذَا كَانَ فِي الْبَدْءِ عِنْدَ اللهِ . كُلُّ شَيْءٍ بِهِ كَانَ وَبِغَيْرِهِ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِمَّا كَانَ . فِيهِ كَانَتِ الْحَيَاةُ وَالْحَيَاةُ كَانَتْ نُورَ النَّاسِ . وَالنُّورُ يَضِيءُ فِي الظُّلْمَةِ وَالظُّلْمَةُ لَمْ تُدْرِكْهُ » . (109)

وفي هذا الإنجيل تم التركيز على ألوهية عيسى ـ عليه السلام ـ وكأنه ألف لأجل هذا الغرض وهو مرجع النصرانية في مسألة التثليث :

« وَقَالَ لَهُ تَلاَمِيذُهُ هُوَ ذَا الآنَ تَتَكَلَّمُ عَلاَنِيَةً وَلَسْتَ تَقُولُ مَثَلاً وَاحِدًا . الآنَ نَعْلَمُ أَنَّكَ عَالِمٌ بِكُلِّ شَيْءٍ وَلَسْتَ تَحْتَاجُ أَنْ يَسْأَلَكَ أَحَدٌ . لِهَذَا نُؤْمِنُ أَنَّكَ مِنَ اللهِ خَرَجْتَ ، أَجَابَهُمْ يَسُوعُ الآنَ تُؤْمِنُونَ » . (110)

---

107) عبد الوهاب وافي ، الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام ، ص : 66 .

108) نفس المرجع ، ص : 56 .

109) يوحنا : 1 : 1 ـ 2 ـ 3 ـ 4 ـ 56 .

110) : 16 : 29 : 29 ـ 30 .

القسم الثاني الرسائل :

عددها اثنان وعشرون رسالة ، الأولى يطلق عليها أعمال الرسل وكاتبها لوقا صاحب الإنجيل ، وأربع عشرة رسالة لبولس وهي كما يلي :

الأولى لأهل روما ، ويليها إلى أهل كورنثوس الأولى والثانية وغلاطية وأفسس ، وفيلبي ، وكولوسي ، وتسالونيكي الأولى والثانية ، وتيموثاوس الأولى والثانية ، وتيطس ، وفيلمون والعبرانيين ، وبعد ذلك رسالة ليعقوب ، ورسالتان لبطرس ، وثلاث رسائل ليوحنا ، ورسالة ليهوذا .

القسم الثالث رؤيا يوحنا .

وهذه الرسائل تعنى بألوهية المسيح - عليه السلام - وسلطانه في السماء ، وكذلك علمه بالقوامين على النصرانية من بعده . (111)

إلى جانب هذا هناك أناجيل كثيرة مثل انجيل عيسى الذي ذكره مرقس في انجيله ، وبولس الرسول في رسالته إلى أهل رومية وغيره كثير ، قد ألغاها مجمع نيقية . (112)

وأشير أن القرآن الكريم هو المهيمن على الكتب السابقة له فقد احتوى أصولها الصحيحة ، قال تعالى : « وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ » . (113) ، فالقرآن الكريم هو الشاهد على تعرض الكتب السابقة له إلى التحريف والتبديل ، ومعني مهيمن في الآية الكريمة : « أنه رقيب عليها وشهيد

111) محمد أبو زهرة ، محاضرات في النصرانية ، ص : 76 .

112) أحمد شلبي ، المسيحية ، الطبعة الثالثة ، (مكتبة النهضة المصرية ، 1967) ، ص : 172 - 173 .

113) المائدة : 44

بما بينه من حقيقة حالها ، في أصل إنزالها ، وما كان من شأن من خوطبوا بها ، من نسيان حظ عظيم منها وإضاعته ، وتحريف كثير مما بقي منها وتأويله ، والاعراض عن الحكم والعمل بها فهو يحكم على ماكان قبله من الكتب » . (114)

أذكر أخيرا أن الكتاب المقدس خاصة العهد القديم قد احتوى على مجموعة كبيرة من الفقرات المشبهة لله عزوجل بخلقه ، والمجسمة للذات الإلهية ، وسنتين هذه الحقيقة في هذا الفصل .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

114) رشيد رضا . المنار . ج : 6 . ص : 401 .

الفصل الثاني

الألوهيةّ "الذات والصفات"

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تمهيد :

نزل القرآن الكريم في بيئة عربية تدين بالوثنية ، فكان من الطبيعي أن يفيض القرآن في بيان حقيقة الألوهية ، وقد أكد على مسألة الوحدانية ، ونفى الشريك عن الله عزوجل ، وأنه سبحانه ليس كمثله شيء والذين عاصروا الوحي من الصحابة - رضوان الله عليهم - لم يتشابه عليهم الأمر في الآيات التي تحدثت عن التوحيد ، ولم يقع منهم السؤال رغم كونهم يسألون الرسول - صلى الله عليه وسلم - عن جلي الأمور ودقيقها ، مما سجلته الكتب الحديثية والتاريخية ، وقد ذكر المقريزي في هذا الصدد ، (1)

« واعلم أن الله تعالى لما بعث من العرب نبيه محمدا - صلى الله عليه وسلم - رسولا إلى الناس جميعا وصف لهم ربهم سبحانه وتعالى بما وصف به نفسه الكريمة في كتابه العزيز الذي نزل به على قلبه - صلى الله عليه وسلم - الروح الأمين وبما أوحي إليه من ربه تعالى ، فلم يسأله - صلى الله عليه وسلم - أحد من العرب بأسرهم قرويهم وبدويهم عن معنى شيء من ذلك كما كانوا يسألونه - صلى الله عليه وسلم - عن أمر الصلاة والزكاة والصيام والحج وغير ذلك مما لله فيه أمر ونهي ، وكما سألوه - صلى الله عليه وسلم - عن أحوال القيامة والجنة والنار ، إذ لو سأله إنسان منهم عن شيء من الصفات الإلهية لنقل كما نقلت الأحاديث الواردة عنه - صلى الله عليه وسلم - في أحكام الحلال والحرام وفي الترغيب والترهيب ، وأحوال القيامة والملاحم والفتن وغير ذلك مما تضمنته كتب الحديث ، معاجلمها ، ومساندها » .

---

(1) المواعظ والإعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف : الطبعة الثانية (1978 ، ج : 2 ، ص : 356 .

ثم يقرر بعد ذلك أن الصحابة - رضوان الله عليهم - لم يتعرضوا إطلاقا إلى مسألة الصفات ، ولم يقع منهم التفريق بين صفات الأفعال والذات ، بل آمنوا بها كما وردت في القرآن ، وبذلك سلموا من التشبيه والتعطيل ، حيث قال : « وسكتوا عن الكلام في الصفات نعم ولا فرق أحد منهم بين كونها صفة ذات أو صفة فعل ، وإنما أثبتوا له تعالى صفات أزلية من العلم والقدرة والحياة والإرادة والسمع والبصر والكلام شرعا واحدا ، وهكذا أثبتوا - رضي الله عنهم - دون تشبيه ، ونزهوا من غير تعطيل ، ولم يتعرض مع ذلك أحد منهم إلى تأويل شيء من هذا ، ورأوا بأجمعهم اجراء الصفات كما وردت » . (2)

فنخلص بأن الصحابة لم يقع لهم التباس في هذه المسألة ، لكن بعد توسع الفتوحات الإسلامية دخل الكثير من أصحاب الديانات في الإسلام ، ومن هؤلاء من نقل مقالات عقدية إلى الفكر الإسلامي خاصة من اليهود الذين كان أغلبهم مشبهة ، فكان ذلك عاملا في نشأة النزعة التشبيهية التجسيمية ، فحاول فريق من المفكرين التصدي لهذه النزعة فوقعوا في التعطيل ، والتزم فريق آخر بما جاء في القرآن دون تشبيه ولاتعطيل وإن كان بعض الباحثين يبدي ميله إلى أن النزعة التشبيهية التجسيمية ترجع إلى القرآن والحديث بالدرجة الأولى ، قبل رجوعها إلى التوراة حيث قال :

« على أننا نميل إلى اعتقاد أن يكون السبب القوي في هذه النزعة التجسيمية أو التشبيهية ، يرجع إلى القرآن والحديث قبل أن يرجع لأثر التوراة » (3) . وهذا القول يحتاج إلى دليل ، فمقالة التشبيه والتجسيم ترجع إلى الإسرائيليات ، وسأبين ذلك في هذا الفصل كما أبين أثرها في الفكر العقدي الإسلامي .

---

(2) المقريزي ، المواعظ والإعتبار بذكر الخطط والآثار ، ج : 2 ، ص 356 .

(3) يوسف محمد موسى ، القرآن والفلسفة . (مصر : دار المعارف 1966م) ، ص : 68 .

المبحث الأول

التشبيه والتجسيم في العهد القديم :

صورت أسفار العهد القديم الذات الإلاهية في هيئة بشرية يقع منها الخطأ والندم ، والتعب وغيرها من الأحوال التي تجري على النفس البشرية وإليك بيانه .

تذكر أسفار التوراة أن الله عزوجل عندما فرغ من خلق السماوات والأرض أصابه التعب . فاستراح : « فَأُكْمِلَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ وَكُلُّ جُنْدِهَا . وَفَرَغَ اللهُ فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ مِنْ عَمَلِهِ الَّذِي عَمِلَ . فَاسْتَرَاحَ فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ مِنْ جَمِيعِ عَمَلِهِ الَّذِي عَمِلَ . وَبَارَكَ اللهُ الْيَوْمَ السَّابِعَ وَقَدَّسَهُ ، لأَنَّهُ فِيهِ اسْتَرَاحَ مِنْ جَمِيعِ عَمَلِهِ الَّذِي عَمِلَ اللهُ خَالِقًا » . (4)

فهذه الفقرة قد شبهت الله عز وجل بخلقه حيث نسبت له التعب ، وقد رد القرآن الكريم على هذا الافتراء الذي لا يليق بجلال الله وجماله : « وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ » . (5)

وعندما خلق الله عزوجل آدم نهاه عن الأكل من شجرة وسط الجنة وهي في منظور العهد القديم شجرة معرفة الخير والشر : « وَأَخَذَ الرَّبُّ الإِلَهُ آدَمَ وَوَضَعَهُ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ لِيَعْمَلَهَا وَيَحْفَظَهَا . وَأَوْصَى الرَّبُّ الإِلَهُ آدَمَ قَائِلاً مِنْ جَمِيعِ شَجَرِ الْجَنَّةِ تَأْكُلُ أَكْلاً ، وَأَمَّا شَجَرَةُ مَعْرِفَةِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ فَلاَ تَأْكُلْ مِنْهَا ، لأَنَّكَ يَوْمَ تَأْكُلُ مِنْهَا مَوْتاً تَمُوتُ » . (5)

وخلق الله عزوجل بعد ذلك حواء فأغرتها الحية بأن الله نهاهما عن الأكل من الشجرة حتى لا يصبحا كالله عارفين الخير والشر : « بَلِ اللهُ عَالِمٌ أَنَّهُ يَوْمَ تَأْكُلاَنِ مِنْهُ تَنْفَتِحُ أَعْيُنُكُمَا وَتَكُونَانِ كَاللهِ عَارِفَيْنِ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ » . (7)

وأكل آدم وحواء بالفعل من الشجرة وسمعا صوت الإله ماشيا في الجنة ، فاختبأ آدم وحواء وسط الشجر حتى لا يراهما الإله ، لكن الله نادى آدم ، وقال له : « أَيْنَ أَنْتَ ، فَقَالَ سَمِعْتُ صَوْتَكَ فِي الْجَنَّةِ فَخَشِيتُ لأَنِّي عُرْيَانٌ فَاخْتَبَأْتُ ، فَقَالَ مَنْ أَعْلَمَكَ أَنَّكَ عُرْيَانٌ ، هَلْ أَكَلْتَ مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي أَوْصَيْتُكَ أَنْ لاَ تَأْكُلَ مِنْهَا فَقَالَ آدَمُ الْمَرْأَةُ الَّتِي جَعَلْتَهَا مَعِي هِيَ أَعْطَتْنِي مِنَ الشَّجَرَةِ فَأَكَلْتُ » . (8)

ويستمر كاتب السفر في افتراءاته فيزعم بأن الله تعالى خاف أن تمتد يد آدم إلى شجرة الحياة ، ويأكل منها ويحيا إلى الأبد ، فأخرجه من الجنة ويعلق محمود بن شريف على ذلك بقوله : « أن الإله كان يريد بقاءهما جاهلين ، حتى لا يشاركاه في صفة من أخص صفاته ، وأن الله استجوبهما واستنتج من فعلهما ومن استجوابهما أنهما لابد أن يكونا قد أكلا من الشجرة ، وأن الإنسان أصبح أحد

(5) تكوين : 2 : 15-16-17 .
(7) تكوين : 3 : 5 .
(8) تكوين : 3 : 9-10-11-12 .

الآلهة لتمييزه بين الحسن والقبح ، وأنه لابد من طرد الإنسان من الجنة حتى لا تمتد يده إلى شجرة أخرى هي شجرة الخلد فيكفل لنفسه البقاء وهو أرقى صفات الإله».(9)

كما أن الله تعالى حسب كاتب السفر قد أخفى السبب الرئيسي في نهي آدم عن الأكل وفي ذلك نسبة الكذب والتضليل لله سبحانه وتعالى .

وتجلى الله لإبراهيم ، وإبراهيم في باب خيمته ، وعندما رفع بصره رأي ثلاثة رجال فأسرع لاستقبالهم وسجد إلى الأرض ، وقال : « يَاسَيِّدُ إِنْ كُنْتُ قَدْ وَجَدْتُ نِعْمَةً فِي عَيْنَيْكَ فَلاَ تَتَجَاوَزْ عَبْدَكَ ، لِيُؤْخَذْ قَلِيلَ مَاءٍ وَاغْسِلُوا أَرْجُلَكُمْ وَاتَّكِئُوا تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَآخُذَ كِسْرَةَ خُبْزٍ فَتَسْنِدُونَ قُلُوبَكُمْ ثُمَّ تَجْتَازُونَ ، لِأَنَّكُمْ قَدْ مَرَرْتُمْ عَلَى عَبْدِكُمْ . فَقَالُوا هَكَذَا تَفْعَلُ كَمَا تَكَلَّمْتَ » . (10)

ثم أسرع إبراهيم إلى سارة ، وأمرها أن تنجز خبزا ، وأحضر عجلا وقد لهم الطعام فأكلوا .

وقد ناقش ابن حزم هذه الفقرات ، فوضح أن فيها آيات من البلاء شنيعة ، أول ذلك الإخبار بتجلي الله لإبراهيم ، ، وأن إبراهيم عندما رفع بصره رأى ثلاثة ، فإن كان أولئك الثلاثة هم الله فهذا هو التثليث بعينه بلا كلفه ، بل أشد من التثليث ، لأن فيه تشخيص والنصارى لا يقولون بذلك ، فإن قالوا : إن أولئك الثلاثة ملائكة وهذا في الحقيقة تأويلهم ، فلا شك أن عليهم فضائح عظيمة ، وكذب فاحش من وجوه :

1 ـ من المحال والكذب أن يخبر بأن الله تجلى له، وإنما تجلى له ثلاثة من الملائكة

(9) الأديان في القرآن ، الطبعة الخامسة (شركة مكتبات عكاظ . 1404هـ . 1984 م) ، ص : 104 .

(10) تكوين ١٨ : ١ - ٥ .

2 ـ أنه خاطب الملائكة بخطاب واحد ، وهذا بلا شك محال في الخطاب وهذا مما يزيد في ضلال النصارى .

3 ـ سجود إبراهيم لأولئك الملائكة ، وهذا أمر باطل ، لأن رسول الله ـ عليه السلام ـ وخليله لا يسجد لغير الله تعالى أو لمخلوق مثله ، فإن قالوا أن سجود إبراهيم كان لله ، فهنا قد أقروا بأن الله عندهم ثلاثة أي الله هم الثلاثة المتجلون ، ولا بد من احداما .

4 ـ مسألة خطاب إبراهيم لهم بأنه عبدهم ، فإن كان الملائكة المخاطبون بذلك . فلا يعقل بحال أن يخاطب إبراهيم بالعبودية غير الله تعالى ، وإن كان المخاطب هو الله تعالى فقد عادت البلية ، فمن المحال أن يخاطب ثلاثة بخطاب واحد .

5 ـ هذا الوجه انطلق فيه ابن حزم من قول إبراهيم للثلاثة بأخذ قليل من ماء ، وغسل أرجلهم ، وتقديم كسرة من خبز يشدون بها قلوبهم فيقرر بأن هذا الخطاب إذا كان موجه لله تعالى فهي التي لا سوى لها ولا بقية بعدها ، وإذا كان موجه للملائكة فإبراهيم ـ عليه السلام ـ يعرف بأن قلوبهم لا تشتد بأكل الخبز ، فهذه على كل حال كذبة ، ثم علق على ذلك بما جاء في القرآن الكريم وهو الحق المنير : « وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ، فَلَمَّا رَأَىٰ أَيْدِيَهُمْ ، لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ . (11) وهكذا نجد أن ابن حزم فند هذه الإفتراءات ». (12)

---

(11) هود : 67 ـ 70 .

(12) الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ج . الطبعة الأولى . تحقيق ابراهيم نصر ، (شركة عكاظ ١٤٠٢ هـ ـ ١٩٨٥م) ، ج : 2 ، ص : 3 ، و تحقيق محمد ابراهيم نصر ، (شركة مكتبات عكاظ للنشر والتوزيع . 1402ه 1982م) ، ج : 1 ، ص : 233

ويزعم كاتب السفر بأنه قد وقع جدال بين الرب وإبراهيم حول القريتين اللتين يريد إهلاكهما ، : « فَأَجَابَ إِبْرَاهِيمُ وَقَالَ إِنِّي قَدْ شَرَعْتُ أُكَلِّمُ المَوْلَى وَأَنَا تُرَابٌ وَرَمَادٌ ، رُبَّمَا نَقَصَ الخَمْسُونَ بَارًّا خَمْسَةً ، أَتُهْلِكُ كُلَّ المَدِينَةِ بِالخَمْسَةِ ، فَقَالَ لاَ أُهْلِكُ إِنْ وَجَدْتُ هُنَاكَ خَمْسَةً وَأَرْبَعِينَ » . (13)

واستمر هذا الجدل في ادعاء كاتب السفر حتى وافق الرب على عدم إهلاكهم من أجل العشرة ، والذي يهمنا هو أن النصرات أكدت مسألة التجلي لإبراهيم - عليه السلام - ولا شك أن ذلك تجسيم شنيع تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

وتذهب التوراة أن يعقوب عند رجوعه من عند خاله « لابان » ، ظهر له الرب وصارعه حتى طلوع الفجر ، وكان يعقوب - عليه السلام - في آخر المطاف هو المنتصر ، وقد علق عبد الغفور عطار على ذلك بقوله « فرب إسرائيل هنا عاجز ، ويصارع أحد خلقه . وينهزم ، ويتوسل أن يطلقه ، فأي رب الموصوف بصفات خلقه أي رب هذا العاجز الذي لا يقدر على إنسان ضعيف خواف » . (14)

ولعل بعض اليهود يلجأ إلى التأويل في هذه المسألة بأن الذي صارعه يعقوب هو ملك ، فنجد أن ابن حزم قد فند هذا الإدعاء : « فثبتوا على أن نص التوراة أن يعقوب صارع « الوهيم » وقالوا : أن لفظ « الوهيم » يعبر عن الملك ، فإنما صارع ملكا من الملائكة . فقلت لهم : سياق الكلام يبطل ما تقولون ضرورة أن فيه : « كنت قويا على الله فكيف على الناس » ، وفيه أن يعقوب قال : « رأيت الله مواجهة وسلمت نفسي » ولا يمكن البتة أن يعجب من سلامة نفسه إذ رأى الملك ؟! ولا يبلغ من مس الملك - كما نص يعقوب - أن يحرم على بني إسرائيل أكل عروق الفخذ في

(13) تكوين : 18 : 27 28 .

(14) الديانات والعقائد ، ج : 2 . ص : 205 .

الأبد من أجل ذلك . وفيه أنه سمى الموضوع بذلك « فنيئيل » لأنه قابل فيه « إيل » وهو الله عزوجل بلا احتمال عندكم » . (15)

ووصفت التوراة الله عزوجل بأن تحت رجليه شبه سنة من العقيق الأزرق : « ثُمَّ صَعِدَ مُوسَى وَهَارُونُ وَنَادَابُ وَأَبِيهُو وَسَبْعُونَ مِنْ شُيُوخِ إِسْرَائِيلَ ، وَرَأَوْا إِلَهَ إِسْرَائِيلَ وَتَحْتَ رِجْلَيْهِ شِبْهَ صَنْعَةٍ مِنَ الْعَقِيقِ الأَزْرَقِ الشَّفَافِ وَكَذَاتِ السَّمَاءِ فِي النَّقَاوَةِ ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَمُدَّ يَدَهُ إِلَى أَشْرَافِ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، فَرَأَوُا اللهَ وَأَكَلُوا وَشَرِبُوا ».(16)

وقد ظهر الله تبارك وتعالى لبني إسرائيل كنار آكلة ، بعد أن حل على جبل سيناء وغطاه السحاب : « وَحَلَّ مَجْدُ الرَّبِّ عَلَى جَبَلِ سِينَاءَ وَغَطَّاهُ السَّحَابُ سِتَّةَ أَيَّامٍ ، وَفِي الْيَوْمِ السَّابِعِ دَعَا مُوسَى مِنْ وَسَطِ السَّحَابِ ، وَكَانَ مَنْظَرُ مَجْدِ الرَّبِّ كَنَارٍ آكِلَةٍ عَلَى رَأْسِ الْجَبَلِ أَمَامَ عُيُونِ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، وَدَخَلَ مُوسَى فِي وَسَطِ السَّحَابِ وَصَعِدَ إِلَى الْجَبَلِ ، وَكَانَ مُوسَى فِي الْجَبَلِ أَرْبَعِينَ نَهَارًا وَأَرْبَعِينَ لَيْلَةً » . وأن الإله عمود سحاب ينزل . ويقف أمام باب خيمة الإجتماع عندما يدخلها موسى - عليه السلام -

ويشاهد جموع بني إسرائيل عمود السحاب حين يكلم الرب موسى : « وَكَانَ جَمِيعُ الشَّعْبِ إِذَا خَرَجَ مُوسَى إِلَى الْخَيْمَةِ يَقُومُونَ وَيَقِفُونَ كُلُّ وَاحِدٍ فِي بَابِ خَيْمَتِهِ وَيَنْظُرُونَ وَرَاءَ مُوسَى حَتَّى يَدْخُلَ الْخَيْمَةَ ، وَكَانَ عَمُودُ السَّحَابِ إِذَا دَخَلَ مُوسَى الْخَيْمَةَ يَنْزِلُ وَيَقِفُ عِنْدَ بَابِ الْخَيْمَةِ ، وَيَتَكَلَّمُ الرَّبُّ مَعَ مُوسَى ، فَيَرَى جَمِيعُ الشَّعْبِ عَمُودَ السَّحَابِ وَاقِفًا عِنْدَ بَابِ الْخَيْمَةِ ، وَيَقُومُ الشَّعْبُ وَيَسْجُدُونَ كُلُّ وَاحِدٍ فِي بَابِ

(15) الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ج : 1 . ص : 239 .
(16) خروج : 24 : 9 10 11 .
(17) خروج : 24 : 16 17 18 .

خَيْمَتِهِ ، وَيُكَلِّمُ الرَّبُّ مُوسَى وَجْهًا لِوَجْهٍ كَمَا يُكَلِّمُ الرَّجُلُ صَاحِبَهُ ، وَإِذَا رَجَعَ مُوسَى إِلَى الْمَحَلَّةِ كَانَ خَادِمُهُ يَشُوعُ بْنُ نُونَ الْغُلاَمُ لاَ يَبْرَحُ مِنْ دَاخِلِ الْخَيْمَةِ » . (18)

ولاشك في وضوح التشبيه والتجسيم في هذه الفقرات التي جعلت من الله عمود سحاب ، وأنه يكلم موسى ، وأن تحت رجليه صنعه من العقيق الأزرق ، وهذه أغلظ أنواع التشبيه والتجسيم .

ويذكر التوراة بأن موسى - عليه السلام - طلب من الله عزوجل أن يريه مجده : « وَقَالَ لاَ تَقْدِرُ أَنْ تَرَى وَجْهِي ، لأَنَّ الإِنْسَانَ لاَ يَرَانِي وَيَعِيشُ ، وَقَالَ الرَّبُّ هُوَ ذَا عِنْدِي مَكَانٌ . فَتَقِفُ عَلَى الصَّخْرَةِ ، وَيَكُونُ مَتَى اجْتَازَ مَجْدِي أَنِّي أَضَعُكَ فِي نَقْرَةِ الصَّخْرَةِ وَأَسْتُرُكَ بِيَدِي حَتَّى أَجْتَازَ ، ثُمَّ أَرْفَعُ يَدِي فَتَنْظُرَ وَرَائِي ، وَأَمَّا وَجْهِي فَلاَ يُرَى » . (19)

فنلاحظ أن في هذا تشبيه وتجسيم شنيع ينزه الله تعالى عنه .

ويصور التوراة بأن موسى - عليه السلام - يقوم بنصح الرب ، ويقوم بإرشاده ، فيأخذ بنصيحته . ويرجع عن غضبه ، فقد قال لموسى : « فَالآنَ اتْرُكْنِي لِيَحْمَى غَضَبِي عَلَيْهِمْ وَأُفْنِيهِمْ ، فَأَصَيِّرَكَ شَعْبًا عَظِيمًا ، فَتَضَرَّعَ مُوسَى أَمَامَ الرَّبِّ إِلَهِهِ ، وَقَالَ لِمَاذَا يَا رَبُّ يَحْمَى غَضَبُكَ عَلَى شَعْبِكَ الَّذِي أَخْرَجْتَهُ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ بِقُوَّةٍ عَظِيمَةٍ وَيَدٍ شَدِيدَةٍ ، لِمَاذَا يَتَكَلَّمُ الْمِصْرِيُّونَ قَائِلِينَ أَخْرَجَهُمْ بِخُبْثٍ لِيَقْتُلَهُمْ فِي الْجِبَالِ وَيُفْنِيَهُمْ عَنْ وَجْهِ الأَرْضِ ، ارْجِعْ عَنْ حُمُوِّ غَضَبِكَ وَانْدَمْ عَلَى الشَّرِّ بِشَعْبِكَ ، اذْكُرْ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَإِسْرَائِيلَ عَبِيدَكَ الَّذِينَ حَلَفْتَ لَهُمْ بِنَفْسِكَ وَقُلْتَ لَهُمْ أُكَثِّرُ نَسْلَكُمْ كَنُجُومِ السَّمَاءِ وَأُعْطِي نَسْلَكُمْ كُلَّ هَذِهِ الأَرْضِ الَّتِي تَكَلَّمْتُ عَنْهَا فَيَمْلِكُونَهَا إِلَى الأَبَدِ ، فَنَدِمَ

(18) خروج : 33 : 7-8-9-10-11 .
(19) خروج : 33 : 20-21-22-23 .

الرَّبَّ عَلَى الشَّرِّ الَّذِي قَالَ إِنَّهُ يَفْعَلُهُ بِشَعْبِهِ» . (20)

وقد حملت هذه الفقرات في طياتها أوصافا لا تليق بمقام الالوهية حيث نسبت له الخداع والمكر في إخراج شعب إسرائيل لكي يفنيه ، ونسبت له الندم عندما وجه له موسى - عليه السلام - النصيحة وذكره بوعده لشعب إسرائيل متمثلا في إبراهيم وإسحاق وإسرائيل فرجع عن غضبه تعالى الله علوا كبيرا على ما تصف ألسنة هؤلاء اليهود .

ولا يقف التشبيه والتجسيم عند أسفار موسى الخمس فقط ، ولكن يمتد إلى بقية الأسفار ، فنقرأ على سبيل المثال لا الحصر ما يلي :

« وَفِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ كَانَ كَلاَمُ الرَّبِّ إِلَى نَاثَانَ قَائِلاً اذْهَبْ وَقُلْ لِعَبْدِي دَاوُدَ هَكَذَا قَالَ الرَّبُّ ، أَأَنْتَ تَبْنِي لِي بَيْتًا لِسُكْنَايَ ، لأَنِّي لَمْ أَسْكُنْ فِي بَيْتٍ مُنْذُ يَوْمَ أَصْعَدْتُ إِسْرَائِيلَ مِنْ مِصْرَ إِلَى هَذَا الْيَوْمِ بَلْ كُنْتُ أَسِيرُ فِي خَيْمَةٍ وَفِي مَسْكَنٍ ، فِي كُلِّ مَا سِرْتُ مَعَ جَمِيعِ بَنِي إِسْرَائِيلَ هَلْ تَكَلَّمْتُ بِكَلِمَةٍ إِلَى حَدِ قُضَاةِ إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ أَمَرْتُهُمْ أَنْ يَرْعَوْا شَعْبِي إِسْرَائِيلَ قَائِلاً لِمَاذَا لَمْ تَبْنُوا لِي بَيْتًا مِنَ الأَرْزِ » . (21)

وعندما أقام بنو إسرائيل البيت حل الرب فيه فملأه السحاب فلم يستطع الكهنة القيام بالخدمة : « وَكَانَ لَمَّا خَرَجَ الْكَهَنَةُ مِنَ الْقُدْسِ أَنَّ السَّحَابَ مَلأَ بَيْتَ الرَّبِّ ، وَلَمْ يَسْتَطِعِ الْكَهَنَةُ أَنْ يَقِفُوا لِلْخِدْمَةِ بِسَبَبِ السَّحَابِ لأَنَّ مَجْدَ الرَّبِّ مَلأَ بَيْتَ الرَّبِّ حِينَئِذٍ تَكَلَّمَ سُلَيْمَانُ ، قَالَ الرَّبُّ إِنَّهُ يَسْكُنُ فِي الضَّبَابِ ، إِنِّي قَدْ بَنَيْتُ لَكَ بَيْتَ سُكْنًى مَكَانًا لِسُكْنَاكَ إِلَى الأَبَدِ . وَحَوَّلَ الْمَلِكُ وَجْهَهُ وَبَارَكَ كُلَّ جُمْهُورِ إِسْرَائِيلَ ، وَكُلُّ جُمْهُورِ

---

(20) خروج : 32 : 10 - 11 - 12 - 13 - 14 .

(21) صموئيل الثاني : 7 : 4 - 5 - 6 - 7 .

(22) الملوك الأول : 8 : 13 - 14 - 15

إِسْرَائِيلَ وَاقِفْ . وَقَالَ مُبَارَكٌ الرَّبُّ إِلَهُ إِسْرَائِيلَ الَّذِي تَكَلَّمَ بِفَمِهِ إِلَى دَاوُدَ أَبِي " (22)

وهناك عبارات أخرى في العهد القديم لاتفيد التشبيه والتجسيم لكن التأمل فيها . وربطها بسياق الفقرات الواردة فيها . يوصلنا إلى نتيجة مفادها عدم نفي التشبيه والتجسيم . ومن هذه العبارات : " فِي الْيَوْمِ الَّذِي وَقَفْتَ فِيهِ أَمَامَ الرَّبِّ إِلَهِكَ فِي حُورِيبَ حِينَ قَالَ لِي الرَّبُّ اجْمَعْ لِي الشَّعْبَ فَأُسْمِعَهُمْ كَلاَمِي لِكَيْ يَتَعَلَّمُوا أَنْ يَخَافُونِي كُلَّ الأَيَّامِ الَّتِي هُمْ حَيَّاءُ عَلَى الأَرْضِ وَيُعَلِّمُوا أَوْلاَدَهُمْ،فَتَقَدَّمْتُمْ وَوَقَفْتُمْ فِي أَسْفَلِ الْجَبَلِ وَالْجَبَلُ يَضْطَرِمُ بِالنَّارِ إِلَى كَبِدِ السَّمَاءِ بِظَلاَمٍ وَسَحَابٍ وَضَبَابٍ، فَكَلَّمَكُمُ الرَّبُّ مِنْ وَسَطِ النَّارِ وَأَنْتُمْ سَامِعُونَ صَوْتَ كَلاَمٍ وَلَكِنْ لَمْ تَرَوْا صُورَةً بَلْ صَوْتًا " (23)

فبينت هذه العبارة أن شعب بني إسرائيل لم يروا الله عز وجل في هذه الواقعة بل سمعوا صوته ولا تعدو أن تكون اخبارا عما حدث في تلك الواقعة ولا يفهم استحالة الرؤية و على هذا فالنص لا يفيد عدم التشبيه والتجسيم .

وكذلك وردت العبارات التالية : " لأَنِّي هَذِهِ الْمَرَّةَ أُرْسِلُ جَمِيعَ ضَرَبَاتِي إِلَى قَلْبِكَ وَعَلَى عَبِيدِكَ لِكَيْ تَعْرِفَ أَنْ لَيْسَ مِثْلِي فِي كُلِّ الأَرْضِ " (24)

وقد وردت هذه العبارة في فقرات بينت العقوبات التي أنزلها الله عز وجل على أهل مصر ، والمقصود ليس مثلي أي نفي المماثلة في القوة وهذا ما أفادته العبارة التالية لها : " فَإِنِّي الآنَ لَوْ كُنْتُ أَمْدُدُ يَدِي وَأَضْرِبُكَ وَشَعْبَكَ بِالْوَبَاءِ لَكُنْتَ تُبَادُ مِنَ

(23) تثنية : 4 : 10 ـ 11 ـ 12
(24) خروج : 9 : 14
(25) خروج : 9 ـ 15 ـ 16

الأَرْضِ . وَلَكِنْ لِأَجْلِ هَذَا أَقَمْتُكَ لِكَيْ أُرِيَكَ قُوَّتِي وَلِكَيْ يُخْبَرَ بِي فِي كُلِّ الأَرْضِ . "(25)

فنخلص مما ذكرناه أن التشبيه والتجسيم أصل في العهد القديم وان كان أحمد حجازي السقا يعلق على نصي التشبيه والتجسيم وعدم المماثلة بقوله : " فأنت ترى نصين لدى اليهود في ذات الله تعالى ، النص الأول : أن الله يشبه الإنسان شبها تاما ، مع تميزه بالجمال والجلال ، والبهاء والكمال ، والمجد والعظمة ، والنص الثاني : أن الله ليس بجسم ، وهو عظيم ولايشبه الإنسان ولايمكن لأحد أن يتصوره أو يتخيله بصورة ما وإنما يعتقد أن ليس كمثله شيء . (26)

فالقول بأن التشبيه وقع مع نسبة الجلال والكمال ، والبهاء والجمال لله عز وجل فهذا كلام يحتاج إلى نظر وقد سبق أن أوردت فقرات من العهد القديم بينت عكس ذلك منها مسارعة عبد من عباد الله وهو يعقوب لله عز وجل ، وخروجه منتصرا عليه. ثم يواصل أحمد حجازي السقا قوله : " فمن ينظر إلى النصوص الموهمة للجسمية ، ويغمض عينيه عن النصوص الدالة على نفي الشبه والمثل يحكم بأن التوراة تجسم الله عز وجل ومن يقول : أن النصوص الموهمة للجسمية متشابهة والنصوص الدالة على نفي الشبه والمثل محكمة ثم يرد المتشابه إلى المحكم : يحكم بأن التوراة تمنع بأن يكون الله جسم ، ومن لا يقول يقول جسم لا كالأجسام ، ومن يفوض يقول الله أعلم بمراده " (27)

وحقيقة الأمر أن ليس هناك محكم ومتشابه في التوراة إنما يرجع إلى التناقضات والاضطرابات الموجودة في العهد القديم ككل وإن كان الأصل فيها التشبيه والتجسيم .

(26) نقد التوراة . ص : 56

(27) نفس المرجع . ص : 56

المبحث الثاني

المشبهة والمجسمة في الفكر المتدين الإسلامي

تمهيد : اتضح لنا في المبحث السابق بأن الذات الإلهية في العهد القديم قد جرى عليها التشبيه والتجسيم ، فجعلت في صورة مماثلة لذوات البشر .

غير أن الذات الإلهية في القرآن الكريم قد وصفت بصفات كلها جمال وجلال من علم وقدرة وسمع وكلام وحياة وبصر وغيرها من الصفات .

ووجود هذه الصفات في الذات الإلهية مغاير عن وجودها في ذوات البشر فهي كاملة في الذات العليا ، ناقصة في ذوات البشر .

وهذه الذات العليا لا تحيط بها العقول ولا تدركها الأبصار : " ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ، لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ " (28) ، فهي لا تشبه الذوات المشاهدة ، ولا يستطيع العقل البشري أن يتخيل ماهيتها ، إذ لو وقعت في نطاق التخيل لحددت وقيدت وذلك مستحيل في حق الذات الإلهية ، ومع هذا فهي ذات غير مبهمة ، ولقد وقع التنزيه المطلق في آيات التنزيل : " لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ " (29)

---

(28) الأنعام : 102 ـ 103

(29) الشورى : 11

وإذا نظرنا إلى الفكر العقدي في عهد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وفي عهد الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ والتابعين لوجدناه قداتبع ما جاء في القرآن من وصف لله عز وجل دون تشبيه وتجسيم ولا تسليل ، ولم يقع أي التباس في هذه المسألة .

وقد ذكر محمد البهي بأن موضوع التفكير الإسلامي في تلك المرحلة كان "الله" باعتبارات مختلفة ، سواء باعتبار ذاته ، أو باعتبار علاقته بالمخلوقات كخالق أو باعتبار علاقته بالإنسان أو علاقة الإنسان به ، ثم شرح هذه الوجوه الأربعة :

أولا : فباعبار ذاته وصف بصفات الكمال والجمال بأنه الأول الذي ليس قبله شيء والآخر الذي ليس بعده شيء والظاهر والباطن وهو قيوم بذاته واحد لا شريك له ، حي متعال كما أنه متصف بالغنى المطلق ، وبالقدرة الكاملة وهو السميع البصير القدوس .

ثانيا : باعتبار صلته بالمخلوقين ، فقد تحدث القرآن عنه بأنه الخالق والمبدئ والمعيد والبارئ والمصور والمحي والمميت والملك والقدوس .

ثالثا : باعتبار علاقته بالإنسان فقد وصف بأنه الرحمان الرحيم والغافر والغفور والعفو والحليم والشكور والصبور .

رابعا : باعتبار علاقة الإنسان به فقد نعته المهيمن والهادي والوكيل والولي والوهاب والرزاق والمجيب والمغني يبسط الرزق لمن يشاء . (30)

---

(30) الجانب الإلهي من التفكير الإسلامي ، (بيروت : دار الفكر 1391هـ ـ 1972م) ، ص : 30

فهذا هو الإعتقاد الذي كان عند الصحابة واستمر هكذا عند التابعين ووقع الإجماع منهم دون قصد على ذلك ولم يجدوا في أنفسهم شكا مما ورد في القرآن .

وبعد مضي عهد الخلافة الراشدة بدأ بروز الخلاف في الفكر العقدي في مسألة فهم الذات والصفات كما تسجل دخول مذاهب وآراء وفلسفات مع الذين دخلوا في دين الله : من فرس ، وروم ويهود ، ونصارى وغيرهم . (31)

وانقسم الباحثون في ذات الله إلى ثلاث فرق :

مشبهة مجسمة : وهم الذين أثبتوا فكرة التشبيه في الذات والصفات والأفعال والتشبيه معناه وجود شبه بين الله وخلقه في الذات أو الصفات أو كليهما ، والفريق الثاني معطلة : وهؤلاء عطلوا الذات الإلهية من كل صفة، وقسم ثالث : وقف عند النصوص دون تشبيه ولا تعطيل . (32)

وكان الجدال والخصومة شديدين بين هذه الأصناف ، ويرجع السبب الرئيسي إلى تسرب مقالة التشبيه والتجسيم إلى الفكر العقدي الإسلامي ، وماتركته من آثار عميقة في هذا الفكر ، فتبنتها طائفة عرفت بالمشبهة المجسمة وسأبين أثر مقالة التشبيه والتجسيم على هذه الطائفة في هذا المبحث .

(31) عبد الكريم الخطيب ، الله ذاتا وموضوعا ، الطبعة الثالثة (دار الفكر العربي ، 1983م) ، ص : 409

(32) محمد يوسف موسى، القرآن والفلسفة ، ص : 61

المشبهة والمجسمة :

ويقتضي أن نبدأ الحديث أولا بتحديد الجهة التي صدر منها القول بالتشبيه والتجسيم وعلاقة تلك الجهة بالإسرائيليات فقد ذكر البغدادي أن التشبيه والتجسيم كان من الروافض (33) والروافض حسب ما ذكر الأشعري هم الذين رفضوا إمامة أبي بكر وعمر(34) لكن الرازي يبين بأن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ خرج على هشام بن عبد الملك ، فطعن عسكره في أبي بكر فعمل على منعهم من ذلك فرفضوه ، ولم يبق معه إلا ستا فارس ، فقال لهم زيد رفضتموني ، قالوا : نعم فبقي عليهم هذا الإسم (35)

غير أن الإسفراييني يحدد بدقة الجهة التي بدأ منها القول بالتشبيه في الفكر العقدي فقال : " وأول من أفرط في التشبيه من هذه الأمة السبأية من الروافض الذين قالوا بالإلهية لعلي كرم الله وجهه حتى أحرق منهم قوما ، فازدادو بعده عتوا في صلابتهم وقالوا : الآن علمنا على الحقيقة إنه الإله" (36)

ورأس هؤلاء السبأية رجل يهودي نفاه علي ـ رضي الله ـ إلى المدائن بعد مقالته الشنيعة في علي ـ كرم الله وجهه ـ : أنت أنت ، وكان يقول في اليهودية نفس المقالة في يوشع بن نون وصي موسى ـ عليهما السلام ـ مثل ما قال في علي ـ رضي الله عنه ـ (37)

---

(33) الفرق بين الفرق الطبعة الرابعة (بيروت : دار الآفاق الجديدة 1400 هـ ـ 1980 م) ، ص : 61

(34) مقالات الإسلاميين ، 2 ج ، الطبعة الثالثة (1405 هـ ـ 1985 م) ج : 1 ص : 87

(35) إعتقادات فرق المسلمين والمشركين (مكتبة الكليات الأزهرية 1398 هـ ـ 1978 م) ، ص : 77

(36) التبصير في الدين : الطبعة الأولى (مكتبة نشر الثقافة الإسلامية 1359 هـ) ص : 25

(37) الشهرستاني ، الملل والنحل ج ، 1 ، ص : 174

فلا شك إذن في أن بداية التشبيه والتجسيم كان من اليهود ، وإن كانت بدايته من السبائية فإن الأصل فيه هم الهشامية ، حيث قال الإسفراييني : " وأما الهشامية فإنهم أفصحوا في التشبيه بما هو كفر محض باتفاق جميع المسلمين ، وهم الأصل في التشبيه وإنما أخذوا تشبيههم من اليهود حين نسبوا له الولد وقالوا : "عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ" (38) ، وأثبتوا له المكان والحد والنهاية والمجيء والذهاب تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا . (39)

١ ـ الهشامية :

أجمع مؤرخوا الفكر الإسلامي القدامى ، أن هشام بن الحكم (40) هو أول من قال بأن الله عز وجل جسم ، أي أن مقالة التجسيم تنسب في الأصل إليه (41)

ويذكر البغدادي بأن هشام بن الحكم قد زعم : " أن معبوده جسم ذو حد ونهاية ، وأنه طويل عريض عميق مثل عرضه ، ولم يثبت طولا غير الطويل ، ولا عرضا غير العريض ، وقال ليس ذهابه في جهة الطول أزيد على ذهابه في جهة العرض " (42)

---

(38) التوبة : 30

(39) التبصير في الدين ص : 25

(40) هو أبو محمد هشام بن الحكم مولى بني شيبان كوفي تحول إلى بغداد من الكوفة من أصحاب أبي عبد الله جعفر بن محمد ـ رضي الله عنه ـ من متكلمي الشيعة ممن فتق الكلام في الإمامة وهذب المذهب والنظر وكان حاذقا بصناعة الكلام توفي بعد نكبة البرامكة بمدة مستترا وقيل في خلافة المأمون ابن النديم ، الفهرست : 249 ـ 250

(41) علي سامي النشار، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام ج . الطبعة السابعة (دار المعارف . 1977 م) ، ج : 2 . ص : 173

(42) الفرق بين الفرق . ص : 48

وذهب إلى القول أيضا بأنه نور كالسبيكة الصافية ، له لون ورائحة وطعم ، وأنه نو مجسة ، وأن لونه طعمه ، وطعمه رائحته ، وزعم أخيرا بأنه هو اللون والطعم والرائحة ، ثم ينتقل إلى تحديد مكانه سبحانه وتعالى ومقدار طوله فذكر أنه قبل المكان ، ثم خلق المكان وذلك بأن تحرك فحدث مكانه ، فصار فيه ، وهوالعرش ، وأن طوله سبعة أشبار بشبر نفسه . (43)

وهذا كلام عجيب غريب . لا يقول به إلا من نهل من معين الإسرائيليات التي تصف الله عز وجل بما لا يليق بجلاله وكماله وهذا وصف من كانت في نفسه حاجة مبيتة للعقيدة الإسلامية السمحة .

وهشام بن الحكم زعيم الهشامية من الروافض ، وهؤلاء أغلبهم يهود وقد ذكر إبراهيم مذكور بأن مدرسة هشام بن الحكم قد سرت إليها أفكار أجنبية من تشبيه وتجسيم(44) وقد دارت بينه وبين معاصره أبي الهذيل العلاف (45) مناظرات منها ما كان في مسألة التشبيه (46) وذكر أبو الهذيل في بعض كتبه أنه لقي هشام بن الحكم في مكة عند جبل أبي قبيس فسأله أيهما أكبر معبوده أم هذا الجبل ، قال :

---

(43) الفرق بين الفرق . ص : 48

(44) في الفلسفة الإسلامية .2ج . (دار المعارف) ، ج : 2

(45) أبو الهذيل محمد بن الهذيل بن عبد الله بن مكحول العبدي المعروف بالعلاف المتكلم كان شيخ البصريين في الإعتزال ومن أكبر علمائهم وهو صاحب المقالات في مذهبهم ومجالس مناظرات ، وهو مولى عبد القيس وكان حسن الجدال قوي الحجة كانت ولادته سنة خمس وثلاثين ومائتين ابن خلكان ، وفيات الأعيان . ج : 3 . ص : 396-397

(46) الشهرستاني ، الملل والنحل . ج : 1 ص : 184

فأشار إلى الجبل يوفى تعالى ، أن الجبل أعظم منه (47) وقد ذكر الأشعري هذه المقالة في كتابه المقالات بقوله : " وذكر أبو هذيل في بعض كتبه ان هشام بن الحكم قال له : ان ربه جسم ذامب جاء ، فيتحرك تارة ويسكن أخرى ، ويقعد مرة ، ويقوم أخرى ، وإنه طويل عريض عميق ، لأنه ما لم يكن كذلك دخل في حد التلاشي قال : قلت له : فأيهما أعظم إلهك أو هذا الجبل ، وأومأت إلى أبي قبيس فقال : هذا الجبل يوفي عليه ، أي أعظم منه (48) وهشام بن الحكم هذا غير مذهبه في سنة واحدة عدة مرات ، فزعم مرة أن الله تعالى كالسبيكة الصافية ومرة أخرى أنه كالشمع الذي من أي جانب نظرت إليه كان ذلك الجانب وجهه (49) وقد رد البغدادي على زعم الهشامية أن معبودهم سبعة أشبار بشبر نفسه ، وان الجبل أعظم منه بقوله : " فقلنا لهم لو كان الإله مقدرا لا بحد ونهاية لم يخلو أن يكون مقداره مثل أقل المقادير فيكون كالجزء الذي لا يتجزأ أو يختص ببعض المقادير فيتعارض فيه المقادير فلا يكون بعضها أولى من بعض إلا بمخصص خصه ببعضها ، وإذا بطل هذان الوجهان صح أنه لا حد ولا نهاية " (50) والشق الثاني من الهشامية هم أتباع هشام بن سالم الجواليقي (51)

(47) البغدادي : الفرق بين الفرق ص : 48

(48) مقالات الإسلاميين ج : 1 ص : 103

(49) الرازي : إعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص : 97

(50) أصول الدين . الطبعة الثالثة (بيروت لبنان : دار الكتب العلمية . 1401هـ - 1981م) ، ص : 73

(51) هو أبو ملك الحضري بن مملك الأصفهاني من متكلمي الشيعة وله من الكتب كتاب الإمامة نقض الإمامة على أبي علي الجبائي ولم يتمه ابن النديم الفهرست ص : 252

فقد قال بأنه تعالى على صورة إنسان أعلاه مجوف ، وأسفله مصمت وهو نور ساطع يتلألأ ، وله حواس خمس ويد ورجل وأنف وأذن وفم وله فرة سوداء ، هي نور أسود لكنه بلحم ولا دم (52)

وخلاصة القول في الهشامية أنهم الأصل في التشبيه والتجسيم وقد أخذوا تشبيههم من اليهود حين نسبوا له الولد مدعين أن عزير بن الله وأثبتوا له تعالى المكان والنهاية والمجيء والذهاب . (53)

2 ـ الكرامية :

زعيمها عبد الله بن كرام (54) زعم أن معبوده أحدي الذات ، أحدي الجوهر . والذين اطلقوا اسم الجوهر النصارى من قبل (55) وإنه مماس للعرش من الصفحة العليا وجوز الانتقال والتحول والنزول (56)

لكن نجد أتباعه قد خالفوه في اطلاق اسم الجوهر واطلقوا بدل ذلك اسم الجسم كما قاموا بتغيير عبارة المماسة في قوله : " ان الله تعالى مماس لعرشه ، وان العرش مكان له " ، واطلقوا عوضا عنها لفظة الملاقاة وقالوا : لا يصح وجود جسم

(52) الشهرستاني ، الملل والنحل ج : 1 ، ص : 185

(53) الإسفرايني ، التبصير في الدين ص : 25

(54) توافرت له مجموعة من الآراء لا تخلو من تعارض وتناقض فاثبت مع السلف صفات البارئ جل شأنه ، وعد بين الصفاتية إبراهيم مذكور ، في الفلسفة الإسلامية ص : 127

(55) الإسفرايني ، التبصير ، الملل في الدين ص : 65 ـ 66

(56) الشهرستاني الملل والنحل ج : 1 ص : 109

بينه وبين العرش إلا بأن يحيط العرش إلى أسفل ، وهذا معنى المماسة التي امتنعوا من لفظها ، كما اختلف أصحابه في معنى الإستواء المذكور في قوله تعالى : "الرَّحْمَانُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى " (57) ، فمنهم من زعم أن كل العرش مكان له ، وإذا خلق عروشا أخرى بازاء عرشه ، وكانت في حالة موازية لصارت تلك العروش جميعا مكانا له لأنه أكبر منها كلها ومنهم من زعم بأنه لا يفضل على العرش .(58)

وقد وصف ابن كرام معبوده بالثقل ، فقال في تفسيره قوله تعالى : " إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ " (59) أنها انفطرت من ثقل الرحمان عليها . (60)

كما زعم بأن أقوال معبوده ، وأفعاله وملاقاته للصحيفة العليا من العالم وإدراكه للمسموعات والمرئيات كلها أعراض حادثة فيه وهو محل لتلك الحوادث . (61)

وقال أصحاب ابن كرام بأن الله تعالى قائم بنفسه فهو ليس بعرض وبناء على ذلك فهو في جهة من العالم ثم قالوا بأن أشرف هذه الجهات هي جهة الفوق أي بالنسبة للذات . حتى إذا رؤي رؤي من تلك الجهة ، ثم اختلفوا في اثبات جهة النهاية فمنهم من ذهب إلى أنها من جهة تحت ومنهم من قال بأنها من ست جهات وفريق آخر أنكر القول بالنهاية . كما وقع الاختلاف بينهم في ماهية العظمة فقال بعضهم : معناها أنه مع وحدته على جميع أجزاء العرش والعرش تحته وهو فوق كله على اوجه الذي فوق جزء منهم وآخرون قالوا :

---

(57) طه : 5

(58) البغدادي ، الفرق بين الفرق ص : 203 ـ 204

(59) الإنفطار : 1

(60) البغدادي الفرق بين الفرق ص : 206

(61) نفس المرجع ص : 204 ـ 205

معناها أنه يلاقي مع وحدته من جهة واحدة أكثر من واحد ، وهو يلاقي جميع أجزاء العرش وهو العلي العظيم . (62)

ف وس ن بعض أتباعه أن قول الله عز وجل للشيء كن خلقا للمخلوقات وإحداث للمحدث ومنعوا من اطلاق لفظ مخلوق أو مفعول أو حادث على الأعراض الحادثة ، وادعوا بأنه لا يحدث في العالم جسم ولا عرض إلا بعد حدوث أعراض كثيرة في ذات معبودهم ، ووقع الاختلاف بين الكرامية في جواز عدم تلك الحوادث الحادثة في ذات الإله فأجاز بعضهم عدمها . (63)

3 ـ المغيرية :

وهذه الفئة يتزعمها المغيرة بن سعيد العجلي (64) فقد ادعى بأن معبوده رجل من نور على رأسه تاج وشبه أعضاءه بأعضاء الرجل حيث زعم بأنه له من الأعضاء والخلق مثل ما للرجل وله جوف تنبع منه الحكمة (65) وأن أعضاءه على شكل حروف الهجاء . الألف مثال قدميه ، والعين على صورة عينه ، وذهب إلى تشبيه الهاء بالفرج ، وعندما أراد أن يخلق العالم صار اسمه الأعظم تاجا فوق راسه بعدما تكلم به . وبعد تحول الاسم الأعظم إلى تاج ، انتقل المغيرة إلى ذكر الخطرة الثانية في قضية الخلق بحيث ذكر أن معبوده قام بكتابة جميع أعمال العباد في كفه ،

(62) الشهرستاني . الملل والنحل ج : 1 ص 169

(63) البغدادي الفرق بين الفرق ص : 204 ـ 205

(64) كان المغيرة مولى لخالد ب عبد الله القسري وادعى الإمامة لنفسه بعد محمد وبعد ذلك ادعى النبوة لنفسه واستحل المحارم وغلا في حق علي ـ رضي الله ـ غلو لا يعتقده عاقل ، وزاد ذلك قوله بالتشبيه الشهرستاني : الملل والنحل ج : 4 ص 117

(65) الأشعري ، مقالت الإسلاميين ج : 1 ص : 72

وعندما نظر إليها ، غضب من معاصي العباد ، فأدى ذلك إلى عرقه فاجتمع من عرقه بحران أحدهما مظلم سالح ، والآخر عذب نير ، ثم اطلع بعد ذلك في البحر فأبصر ظله ، فذهب ليأخذهفطار فانتزع عيني ظله ، فخلق منهما الشمس والقمر ، وافنى باقي ظله وقال لا ينبغي أن يكون إله غيري (66)

4 ـ اليونسية :

وزعيمهم هو يونس بن عبد الرحمان القمي (67) وقد ادعى بأن الله تعالى على عرشه . يحمله حملة العرش وان كان هو أقوى منهم ، وشبه ذلك بالكرسي يحمله رجلاه وهو في حقيقة الأمر أقوى من رجليه ، واستدل من القرآن الكريم على مقالته بقوله تعالى : "وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ " (68) ولكن الآية تدل على أن العرش هو المحمول دون الرب سبحانه وتعالى (69) وكذلك ممن قال بالتشبيه النعمانية (70) المنصورية .(71) وغيرهم من غلاة الروافض .

(66) البغدادي : الفرق بين الفرق ص : 229 ـ 230

(67) يونس بن عبد الرحمان مولى علي بن يقطين ابو محمد فقيه إمام عراقي من أصحاب موسى بن جعفر الزركلي : الأعلام ج : الطبعةالخامسة (بيروت : دار الملايين 1980م) ج : 8 ص : 261 ـ 262

(68) الحاقة : 17

(69) البغدادي ، الفرق بين الفرق ص : 53

(70) هم أتباع محمد بن المعمان ابو جعفر الأحول الملقب شيطان الطاق وقال أن الله تعالى نور على صورة إنسان وباني ونفي أن يكون جسما الشهرستاني الملل والنحل:1، 186 ـ 187

(71) أتباع أبي منصور العجلي الذي زعم أنه أنه عرج به إلى السماء وأن الله تعالى مسح بيده لى رأسه وقال له يا بني بلغ عني ثم أنزله إلى الأرض البغدادي الفرق بين الفرق ص : 234

وهكذا يتبين لنا أن الذين ركبوا موجة التشبيه والتجسيم هم الروافض وهؤلاء أغلبهم يهود .

وقد اختلف الروافض في ماهية الجسم بعدما اتفقوا على مقالة التشبيه والتجسيم إلى ثلاث فرق قد ذكرها الأشعري :

الفرقة الأولى : هؤلاء الجسم في تصورهم ماكان متصفا بالطول والعرض والعمق وبالتالي إذا قلنا أن الشيء موجود طويل عميق عريض ، وأن الله تعالى لما كان شيئا موجودا فهو جسم .

الفرقة الثانية : تروا أن حقيقة الجسم هو المؤلف المركب المجتمع ، وذهبوا إلى أن الله تعالى لما لم يكن مؤلفا مركبا لم يكن جسما .

الفرقة الثالثة : الجسم في منظورهم هو الذي يتحمل الأعراض ، وأن الباري لما لم يكن يتحمل الأعراض لم يكن جسما . (72)

وقد رد ابن حازم على هؤلاء المجسمة وأبان بطلان ادعائهم بأن الله جسم فبدأ ببيان الحبة التي استندوا إليها ، حيث قالوا بأنه لا يقوم في المعقول إلا جسم أو عرض فلما لم يكن الله تعالى عرضا ثبت أنه جسم .

ويذكر ابن حزم بأن هذا الاستدلال خاطئ والصواب هو أنه لا يدخل في العالم إلا جسم أو عرض ، وكلاهما يقتضي بطبيعة وجوده وجود محدث له واستنادا إلى ذلك لو كان محدثها جسما أو عرضا لكان فاعلا فعله ولابد ، ومنه نصل إلى نتيجة

---

(72) مقالات الإسلاميين ج : 1 ص : 124

مفادها أن فاعل الجسم والعرض ليس جسما ولاعرضا ، ثم أوضح بأن الجسم يقتضي أن يكون له زمان ومكان هما غيره ، كان ذلك معناه ايجاب شيء معه غير مخلوق وهذا ابطال التوحيد وايجاب الشرك معه ، وبعد رده هذا على المجسمة في القول بالجسم والعرض ، انتقل إلى تفنيد ادعاء القائلين بالجسم : فقال بأنه يبطل قول من وصف الله تعالى بأنه جسم ، وقول من وصفه بحركة فالحركة ضرورة توجب أن صاحبها متحرك ولو كان كل متحرك متحركا لوجب وجود أفعال لا أوائل لها ، فوجب بالضرورة وجود محرك المحركات لا إله إلا هو (73)

وقد رد كذلك الباقلاني على أصحاب التجسيم فإن كان ادعاؤهم بأن حقيقة الجسم أنه مؤلف مجتمع ، ولما لم يجز أن يكون الله تعالى مجتمعا مؤتلفا ، وكان شيئا واحدا ، ثبت أنه تعالى ليس بجسم فإن طالبوا بالدليل على استحالة أن يكون الله تعالى مجتمعا مؤتلفا كان الجواب عليهم من وجوه : أحدها أنه لو جاز أن يكون الله تعالى مجتمعا مؤتلفا لأدى ذلك أن يكون ذا حيز وإشغال في الوجود وكذلك لو كان الله تعالى ذا أبعاض مجتمعة لوجب أن تكون هذه الأبعاض قائمة بنفسها ومحتملة للصفات فكل بعض منها يكون حيا عالما قادرا أو غير حي ولا عالم ولاقادر ، فإن كان واحد منها فقط هو الحي العالم القادر دون سائرها يؤدي إلى أن العبادة تكون واجبة لبعض البعض دون كله ، ولا شك أن هذا كفر من قول الأمة كافة . (74)

كما رد المعتزلة على المشبهة والمجسمة فذهبوا إلى تأويل الصفات وتعطيل الذات عنها ويرجع ذلك إلى اعتقادهم أن وجود الصفات في الذات مشابهة لوجودها في

---

(73) الفصل في الملل والأهواء والنحل ج : 2 ص : 278

(74) التمهيد عني بتصحيحه والتعليق عليه رتشرد يوسف مكارثي اليسوعي (بيروت : المكتبة الشرقية 1957م) ص : 191 ـ 192

ذوات البشر فوقعوا بذلك في التشبيه والتعطيل معا ، وكانت آثار مقالة التشبيه والتجسيم فيهم بليغة وهذا ما سأوضحه فيما يلي .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الثالث

المعطلة في الفكر العقدي الإسلامي

توصف آراء المعطلة أي المعتزلة بأنها أشد إيغالا في التجريد وكانوا قد تصدوا في الدرجة الأولى للمانوية من جهة وللمجسمة من جهة ثانية (75)

ويذهب عبد الله القصيمي إلى أن التشبيه ونفيه متلازمان لا ينفصلان فكل مشبه ناف ، وكل ناف مشبه ، فإن الذي يقوم بنفي هذه الصفات عن الله ، كان الباعث له على ذلك ظنه أنها في الله تكون مشابهة لصفات المخلوقين ، ولايمكن أن تكون مخالفة ولأجل هذا لجأ إلى النفي ، فهو بذلك قد وقع في أمرين :

في التشبيه أولا والنفي ثانيا ولو كان يعلم أن صفات الله كذاته لا تشابه ولا تماثل لما لجأ إلى الإبطال والنفي وإلى تأويل النصوص من ثم نجد أن المنزهين الذين يعلمون أن هذا التشبيه مرفوع ممنوع لا يرون ثمة أمرا يدعوهم إلى التأويل وإلى التعطيل (76)

والحقيقة التي يجب ذكرها أن المعطلة في الفكر العقدي الإسلامي أرادوا أن يتصدوا إلى موجة التشبيه والتجسيم فأعلنوا في مقابل ذلك التنزيه المطلق عن المشابهة والمجاسمة لكن للأسف تعمقوا في التجريد حتى وقعوا في التعطيل ، وإن كان هدفهم الأساسي هو الدفاع عن التوحيد : " ومع أن خصوم المعتزلة اتهموهم

---

(75) ماجد فخري،تاريخ الفلسفة الإسلامية نقله إلى العربية كمال اليازجي (الدار المتحدة للنشر 1974م) ص : 89

(76) الإسلام والوثنية 2 ج . الطبعة الثانية (1402 هـ - 1982) ج : 1 ص : 530

بأنهم تعمدوا تجريد الذات الإلٰهية من جميع الصفات الإيجابية ، إلا أن مرادهم إنما كان صيانة التوحيد والبساطة في الذات الإلٰهية ذلك أن وجود عدد من الصفات الإيجابية المتميزة عن ذاته والقائمة فيها أبدا ، كان ينذر في رأيهم بزعزعة فكرة التوحيد لأنها انطوت على كثرة الذوات الأزلية مضافة إلى ذاته تعالى . (77)

وبحث المعتزلة في ماهية الصفات ، وعلاقتها بالذات طرح التساؤل التالي : هل الصفة عين الذات ، أو هي أمر زائد عن الذات ؟ وقاموا بالتفريق بين الصفات بعضها عن بعض وقالوا بصفات ذات وصفات أفعال ولاحظوا أن هناك صفات سلبية لفظا ومعنى ، مثل مخالفة الحوادث وفي مقابل ذلك هناك صفات أخرى إيجابية لفظا وسلبا معنى كالقدم والبقاء ، وثالثة إيجابية معنى ولفظا كالقدرة والإرادة ، وهناك سبع صفات عنوا بها عناية خاصة وهي العلم الحياة ، القدرة ، الإرادة ، السمع ، البصر ، الكلام . (78)

وقد أجمعت المعتزلة على أن الله واحد ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ، وليس بجسم ولا شبح ولاجثة ، ولاصورة ولا لحم ولا دم ، ولا شخص ، ولا جوهر ، ولا عرض ، لابذي لون ، ولا طعم ولا رائحة ولا مجسة ، لا بذي حرارة ولا برودة ولا رطوبة ولا يبوسة ، ولا طول ولا عرض ولا عمق ، ولا إجتماع ولا افتراق ، ولا يتحرك ولا يسكن ، ولا يتبعض ، وليس بذي أبعاض وأجزاء ، وجوارح وأعضاء ، وليس بذي جهات ، ولا يمين وشمال وأمام وخلف وفوق وتحت ، ولا يحيط به مكان ، ولا يجري

(77) ماجد فخري،تاريخ الفلسفة الإسلامية ص : 90

(78) إبراهيم مذكور،في الفلسفه الإسلامية ج : 2 ص 39

عليه زمان ، ولا تجوز عليه المماسة ولا المزلة ولا الحلول في الأماكن ، ولا يوصف بشيء من صفات الخلق الدالة على حدوثهم ، ولا يوصف بأنه متناه ، ولا يوصف بمساحة ولا ذهاب في الجهات ، وليس بمسدود ، ولا والد ولا مولود ، ولا تحيط به الأقدار ولا تحجبه الأستار ولا تدركه الحواس ولا يقاس بالناس ولا يشبه الخلق بوجه من الوجوه ، ولا تجري عليه الافات ، ولا تحل به العاهات وكل ما خطر بالبال وتصور بالوهم فغير مشبه له ، لم يزل أولا سابقا متقدما للمحدثات موجودا قبل المخلوقات ولم يزل عالما قادرا حيا ، لايزال كذلك ، لاتراه العيون ، ولاتدركه الأبصار ولا تحيط به الأوهام ولا يسمع بالاسماع ، شيء لا كالأشياء عالم قادر حي لا كالعلماء القادرين الأحياء ، وأنه القديم وحده ، ولا قديم غيره ، ولا إله سواه ولا شريك له في ملكه ولا وزير له في سلطانه ، ولا معين على إنشاء ما أنشأ وخلق ما خلق لم يخلق الخلق على مثال سبق ، وليس خلق شيء بأهون عليه من خلق شيء آخر ولا بأصعب عليه منه ، لايجوز عليه اجترار المنافع ولا تلحقه المضار ولا يناله السرور واللذات ولا يصل إليه الأذى والآلام ليس بذي غاية فيتناهى ، ولايجوز عليه الفناء ولا يلحقه العجز والنقص تقدس على ملامسة النساء ، وعن اتخاذ الصاحبة والأبناء فهذه جملة قولهم في التوحيد " (79)

فإذا تأملنا أقوالهم هذه في التوحيد وجدناها كلها تهدف إلى أبعاد المشابهة والمماثلة للمخلوقين بعبارة أدق أنها كانت موجهة ضد مقال التشبيه والتجسيم لإبطال مفعولها ، وسأحاول بعد هذا الإجمال تفصيل أقوالهم في الصفات لكن لا نأخذها صفة صفة ، فذلك يطول بنا ويخرجنا عن مرادنا في البحث ، بل سنعرض لأعلام المدرسة الإعتزالية وذكر مقالاتهم في ذلك .

(79) الأشعري مقالات الإسلاميين ج : 1 ص : 216 ـ 217

١ ـ الهذيلية :

وهم أتباع الهذيل محمد بن الهذيل المعروف بالعلاف ، وكان مولى لعبد القيس ظهرت على يديه البدع وتكفره فيها سائر فرق الأمة حتى من أصحابه المعتزلة أنفسهم (80)

وقد ذكر أبو الهذيل بأن الله تعالى عالم بعلم وقادر بقدرة وحي بحياة لكن هذه الصفات هي ذاته أي فعلمه ذاته . وقدرته ذاته ، وحياته ذاته ، وقد اقتبس أبو الهذيل رأيه هذا من الفلاسفة الذين كان اعتقادهم بوحدة الذات بلا كثرة فيها ، وأن الصفات هي ذاته وليست وراء الذات معاني قائمة بها ، والفرق بين القول : عالم بذاته لا بعلم ، وعالم بعلم هو ذاته ، أن الأولى نفي الصفة والثاني إثبات ذات هو بعينه صفة ، أو إثبات صفة هي بعينها ذات ، وإذا أثبت أبو الهذيل هذه الصفات وجوها للذات فهي بعينها أقانيم النصارى (٨١)

ويقرر البغدادي بأن قول أبي الهذيل بأن علم الله تعالى هو الله تعالى ، وقدرته هي هو أي هي عين الذات فإن ذلك سيلزم ، محالة أن يكون الله تعالى علما وقدرة ولو كان علما وقدرة لاستحال أن يكون عالما قادرا لأن العلم لا يكون عالما والقدرة لا تكون قادرة . ويلزم كذلك على قوله أن علم الله هو قدرته ولو كان ذلك كذلك أن يكون كل معلوم له مقدورا له ، وهذا يوجب أن يكون رأيه مقدورا له ، لأنه معلوم له ، كفر فما يؤدي إليه مثله . (82)

---

(80) البغدادي : الفرق بين الفرق : 102

(81) الشهرستاني : الملل والنحل : 1 : 49 ـ 50

(82) الفرق بين الفرق : 108

وكان أبو الهذيل يقول كما ذكر الأشعري : "إذا قلت إن الله عالم ثبت له علما هو الله ونفيت عن الله جهلا ودللت على معلوم كان أو يكون ، وإذا قلت قادرا نفيت عن الله عجزاوأثبت له قدرة هي الله سبحانه ودلت على مقدور وإذا قلت لله حياة أثبت حياة وهي الله ونفيت عن الله موتا .(83)

2 ـ النظامية :

هؤلاء أتباع أبي إسحاق بن سيار المعروف بالنظام (84) ويعتبر النظام فيلسوف المعتزلة الأول يفوقهم في العمق والتفكير وأكثرهم إستقلالا في ذاته . (85)

وقدبين الأشعري قول النظام في الصفات وأنها عين الذات حيث ذكر " وقال النظام : معنى قولي عالم إثبات ذاته ،ونفي الجهل عنه ، ومعنى قولي قادر إثبات ذاته ونفي العجز عنه ، ومعنى قولي حي إثبات ذاته ونفي الموت عنه ، وكذلك قوله في سائر صفات الذات على هذا الترتيب ، وكان يقول : إن الصفات للذات إنما اختلفت لاختلاف ما ينفى عنه من العجز والموت وسائر المتضادات من العمى والصمم ، وغير ذلك لا لاختلاف ذلك في نفسه.(86)

---

(83) مقالات الإسلاميين ج : 1 ص : 225

(84) والمعتزلة يرجعون على الأغمار بديته يزعمون أنه كان نظاما للكلام المنثور والشعر الموزون وإنما كان ينظم الخرز في سوق البصرة ولأجل ذلك قيل له النظام وكان في زمان شبابة قد عاشر قوما من الثنوية وقوما من السمنية القائلين بتكافؤ الأدلة وخالط بعد كبره قوما من ملحدة الفلاسفة ثم خالط هشام بن الحكم الرافضي الغدادي : الفرق بين الفرق ص : 113

(85) إبراهيم مذكور،في الفلسفة الإسلامية ج : 2 ص : 41

(86) مقالات الإسلاميين ج : 1 ص : 227

وقد ذهب النظام إلى أن الله تعالى لا يوصف بالقدرة على الشرور والمعاصي وبالتالي فهي ليست مقدورة لله تعالى وقد خالف بذلك أصحابه وأنهم قرروا أن الله تعالى قادر عليها لكن لا يفعلها لأنها قبيحة ، ومذهب النظام في ذلك أن القبح إذا كان صفة ذاتية للقبيح وهو المانع من الإضافة إليه فعلا ففي تجويز وقوع القبيح منه قبح أيضا ، فيجب أن يكون مانعا . (87)

وقد رد ابن حزم على المعتزلة في مذهبهم في الصفات ، فبين أن إطلاق لفظ الصفات لله عز وجل فمحال لا يجوز لأن الله تعالى لم ينص قط في كلامه المنزل على لفظ الصفات . ولم يرد ذلك عن النبي - صلى الله عليه وسلم - بأن لله تعالى صفة أو صفات ، ولم يرد كذلك عن الصحابة - رضي الله عنهم - ولا واحد من خيار التابعين ولا عن واحد من تابعي التابعين ويخلص إلى أن ما كان هكذا فلا ينبغي لأحد أن ينطق به ، وقد قرر ابن حزم بأن الذي اخترع لفظ الصفات هم المعتزلة و ثم سلك سبيلهم قوم من أصحاب الكلام (88)

وقد رد الباقلاني كذلك على المعتزلة وادعاءاتهم فبين أنه لا يجوز أن تكون دلالة الفعل على أن الفعل عالم قادر دلالة ترجع إلى نفسه لأمرين : أحدهما أن ذلك لوكان كذلك لوجب ألا توجد نفس العالم القادر إلا عالمة قادرة ، وألا ينتفي عنه الوصفان إلا بانتفاء نفسه وبطلانها ، ويشبه ذلك بالسواد بحيث أن هذا السواد الذي هو في حقيقته سواد يجب أن تعلم نفسه وتوجد إلا وهي سواد ، و ألا ينتفي عنه الوصف بأنه سواد إلا بانتفاء نفسه ، فيخلص إلى أنه لا يجوز أن تكون دلالة الفعل على أن

(87) الشهرستاني . الملل والنحل ج : 1 ص : 54

(88) الفصل في الملل والأهواء والنحل ج : 2 ص : 283 - 284

الفاعل قادر دلالة على صفة ترجع إلى نفسه ، والنتيجة هي وجوب أن يكون مدلول الفعل ومتعلقه هو العلم والقدرة(89)

وكان اعتقاد المعتزلة بأن القول بالصفات الزائدة عن الذات يفضي إلى الشرك فلجأوا إلى تعليل الصفات : " وقد كانت المعتزلة تأمل بنفيها للصفات الأزلية القائمة في ذات الله أن تثبت وحدانيته المطلقة إلا أن الصورة لإله حي هائل الحشرة ، واضح المعالم ، حالت بالواقع دون التخلي عن الصفات الإيجابية بجملتها لا سيما القدرة واتجاه هذه المشكلة سعى كثيرون من علماء المعتزلة جادين من أجل تعليل الصفات الإلهية على نحو يصون فكرة الوحدانية دون أن ينال من الكمال الإلهي"(90)

غير أن المعتزلة في تعليلهم الصفات قد حكموا العقل فيما هو خارج عن نطاقه فلا يكون فيه واصلا إلى نتيجة : " لقد استسلم المعتزلة في موقفهم هذا إلى منطق مضطرب في تصور الخالق الغيبية وكشفها ، وفاتهم أن أكثر هذه الحقائق لايسع العقل البشري أساسها إلا التسليم والعجز " (91)

وهكذا يتضح أن مذهب المعتزلة في الصفات هو النفي سواء تعلق الأمر بالذات أم صفات الأفعال وهناك صفات عنوا بها وهي العلم والقدرة والإرادة والسمع والبصر والكلام والحياة وقد ذكردي بور بأن الاهتمام بهذه الصفات خاصة يرجع إلى تأثير علم اللاهوت النصراني فقال : " ولاشك أنه بتأثير علم العقائد النصراني عظم شأن بعض الصفات حتى صار لها المكان الأول وهي : العلم ، والقدرة ،

(89) التمهيد ص : 198 ـ 199

(90) ماجد فخري تاريخ الفلسفة الإسلامية ص : 91

(91) محمد السيد/الإمام ابن تيمية وقضية التأويل الطبعة الثالثة (شركة عكاظ 1402 هـ ـ 1983م) ص : 96

والحياة ، والإرادة ، والكلام ، والسمع والبصر ، ومن بين هذه الصفات أولت الصفاتان الأخيرتان ، وهما السمع والبصر ، من أول الأمر تأويلا ينفي عنهما الصفة الحسية أو أنكرها البعض جملة " .(92)

ونشير أن اهتمام علم اللاهوت النصراني بمسألة الصفات كان بتأثر من الأفلاطونية ، ومن بين أعلام المسيحية المتفلسفة أوغسطينوس (93) الذي قرر بأنه : " ليس لله صفات وإنما هو هذه الصفات وهذه لاتتميز عن كينونته ووجوده انه كل واحدة منها ، وهي له لأنه هو كل واحدة منها وهي له لأنه هو كل صفة من هذه الصفات (94)

وأخيرا نقول أن المعتزلة حاولوا الدفاع عن فكرة التوحيد لكن وقع لهم الغلو في العقل حتى حكموه في المسائل الخارجة عن نطاقه وتأثروا في مذهبهم بآراء غيرهم وفي مقابل ذلك أثروا على غيرهم وفي هذا الصدد يقول إبراهيم مدكور : " وإذا كان المعتزلة قد تأثروا بغيرهم فإنهم أثروا كذلك فيمن جادلهم ، فأخذ عنهم المشائون

(92) تاريخ الفلسفة في الإسلام : 102

(93) ولد بمدينة "طاغشت" في شمال إفريقيا في نوفمبر 354م ودرس في مدرسة هذه المدينة أولا ، وانتقل منها إلى المدارس الأخرى المشهورة في نوميديا ، وخاصة مدرسة قرطاجنة والثقافات التي يمثلها متباينة متغايرة فهناك أولا ثقافة نصرانية ظاهرة في النصوص الدينية ثم ثقافة يونانية وثالثا ثقافة فارسية سورية وهي الثقافة المانوية/عبد الرحمان بدوي : فلسفة العصور الوسطى،ط 3 : (بيروت : دار القلم)،ص : 85-86 .

(94) علي زيعور : أوغسطين مع مقدمات في العقيدة المسيحية والفلسفة الوسيطية،ط : ؟ : (د.د.ن)،ص: 155

العرب وفي مقدمتهم الكندي (151هـ ـ 866م) الذي يمكن أن يعد معتزليا ومشائيا ... وفي الجو الإسلامي نشأت جماعة القرائين من اليهود ، وتأثرت بآراء المعتزلة في العدل والتوحيد . وعنيت متكلمهم بمشكلة الصفات " .(95) وأهم صفة أثيرت بين المشبهة والمجسمة والمعتزلة كلام الله تعالى وقد عرفت هذه المسألة في تاريخ الفكر العقدي الإسلامي بفتنة خلق القرآن وقد شغلت الأمة الإسلامية حقبة من الزمن وجلد فيها علماء أفاضل ، وتركت آثارا بليغة في الفكر العقدي الإسلامي وهذا موضوع المبحث التالي .

(95) في الفلسفة الإسلامية ج : 2 ص : 44 ـ 45

المبحث الرابع

كلام الله تعالى

هذه المسألة عرفت في تاريخ الفكر العقدي الإسلامي بمسألة خلق القرآن بناء على القول بقدم كلام الله تعالى أو بخلقه ، وهذا مبحث مرتبط بالذات والصفات وهو امتداد للمبحثين السابقين ولسكانة التي احتلتها هذه القضية في تاريخ الفكر الإسلامي ارتأيت أن أبين كيف كان الاختلاف في فهمها ، وماهي الاثار المترتبة على ذلك وهل لها علاقة بمقالة التشبيه والتجسيم .

قال محمد يوسف موسى : "هذا الكلام هل هو قديم قدم الله الذي صدر عنه أم على العكس هو حادث مخلوق ذلك هو بحث مسألة أو مشكلة في الإسلام قد اتخذت مظهرا عنيفا في فترة من فترات التاريخ في عصر العباسيين إلى درجة أن شغلت الدولة كلها ، وأن سالت من أجلها الدماء . (96)

وقد اختلف في هذه المسألة على وجه الخصوص المشبه المجسمة ، والمعطلة ، ونجد أن هناك من وقف مع نصوص القرآن دون تشبيه ولا تعطيل "أما المشبهة فالأمر في رأيهم يسير ، انهم كما عرفنا ، ذهبوا إلى وصف الله بصفات يشركه الإنسان فيها ، وذلك أخذا من ظاهر القرآن والحديث إذا بنفس الطريقة يجب أن يكون كلام الله ، الذي هنا القرآن قديم غير مخلوق ، حتى الحروف والأصوات ، وعلى الضد من مذهب المشبهة بأن القرآن حتى الحروف والأصوات قديم أزلي ذهب

(96) القرآن والفلسفة ص : 87

المعتزلة إلى أنه حادث مخلوق ككل شيء في الوجود ما عدا ذات الله وحدها " (97)

إذا فهذه القضية امتداد لأثر الإسرائيليات في الفكر العقدي ولا سيما ما يتعلق بمدلول الكلمة في الفكر النصراني كما أنها مرتبطة من جانب ثان بالتشبيه والتجسيم ورد الفعل المتمثل في التبريد والتعطيل ، وذلك ما سأوجزه أولا..

أ ـ الكلمة في الفكر النصراني :

جاء في بداية إنجيل يوحنا : فِي الْبَدْءِ كَانَ الْكَلِمَةُ وَالْكَلِمَةُ كَانَ عِنْدَ اللهِ وَكَانَ الْكَلِمَةُ اللهَ، هَذَا كَانَ فِي الْبَدْءِ عِنْدَ اللهِ ، كُلُّ شَيْءٍ بِهِ كَانَ وَبِغَيْرِهِ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِمَّا كَانَ فِيهِ كَانَتِ الْحَيَاةُ وَالْحَيَاةُ كَانَتْ نُورَ النَّاسِ ، وَالنُّورُ يُضِيءُ فِي الظُّلْمَةِ وَالظُّلْمَةُ لَمْ تُدْرِكْهُ . (98)

ولقد كان مفهوم الكلمة في الفكر النصراني هي الله وفي مقابل ذلك أن الله هو الكلمة ، وينسبون الخلق إلى الكلمة وأنها صارت جسدا ، وقد حل في شخص المسيح ـ عليه السلام ـ الذي ظهر على الناس بمعجزات قاهرة ، فاختلف الناس في تصور حقيقته (99)

ويبين أبو زهرة أن الإشارة إلى الكلمة كان موجودا في طيات التوراة وذلك عند حديثه عن التوراة والتثليث حيث قال : "وقد فسر هذا المعنى القس بوطر في رسالة صغيرة سماها الأصول والفروع وإليك ما جاء فيها :"بعد خلق الله العالم وتوج

---

(97) القرآن والفلسفة ص : 88 ـ 89

(98) يوحنا : 1 : 1 ـ 2 ـ 3 ـ 4 ـ 5

(99) عبد الكريم الخطيب المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل الطبعة الأولى (دار الكتب الحديثة 1385 هـ ـ 1965م) ، ص : 128

خليقته بالإنسان لبث حينا من الدهر لا يعلن سوى ما يختص بوحدانيته . كما يتبين ذلك من التوراة ، على أنه لا يزال المدقق يرى بين سطورها إشارات وراء الوحدانية ، لأنك إذا قرأت فيها بإمعان تجد هذه العبارات : " وكلمة الله أو حكمة الله أو روح القدس " ولم يعلم من نزلت إليهم التوراة ما تكنه هذه الكلمات من المعاني لأنه لم يكن قد أتى الوقت المعين الذي قصد الله فيه إيضاحها على وجه الكمال والتفصيل مع ذلك فمن يقرأ التوراة في ضوء الإنجيل يقف على المعنى المراد ، إذ يجدها تشير إلى أقانيم في اللاهوت : ثم لما جاء المسيح إلى العالم أرانا بتعاليمه وأعماله المدونة في الإنجيل أنه له نسبة سرية أزلية إلى الله تفوق الإدراك ونراه مسمى في أسفار اليهود كلمة الله وهي ذات العبارة المطلقة في التوراة . (100)

ويجدر في هذا المقام أن نشير بأن النصرانية الأولى في تصورها لحقيقة الكلمة المجسدة في المسيح - عليه السلام - ذهبت إلى أنها مخلوقة ، وخالقها هو الله عز وجل ، وهي أول مخلوقاته وأنها الواسطة التي تسلسلت المخلوقات وتولدت . (101)

ويذكر ماجد فخري بأن المناظرات اللاهوتية المسيحية حول طبيعة المسيح ، قد أثرت على ما يبدو في صياغة مسائله كلام الله الذي لم يكن مستغربا أن يذهب متكلموا المسلمين إلى أنه عبارة عن القرآن . (102)

---

(100) محاضرات في النصرانية ، ص : 112

(101) عبد الكريم الخطيب : المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل ، ص : 152

(102) تاريخ الفلسفة الإسلامية . ص : 94

ويبين دي بور بأن الذين قالوا بقدم القرآن ربما تأثروا في ذلك بالنصارى حيث قال : "رأينا فيما تقدم أن المتكلمين يعدون الكلام صفة من صفات الله القديمة ، وربما كان القول بقدم القرآن المنزل على النبي - صلى الله عليه وسلم - متابعة لمذهب النصارى في الكلمة LOGOS ذهب المعتزلة إلى أن الإعتقاد بقدم القرآن إلى جانب قدم الله شرك ، وذهب بعض الخلفاء - معارضين لذلك - إلى رأي المعتزلة فأعلنوا القول بخلق القرآن عقيدة لدولتهم . ومن أنكر عاقبوه على رؤوس الأشهاد " (103)

ونحن لا نوافق دي بور في ادعاءه ، فإن الذين قالوا بقدم القرآن كثير منهم وقفوا عند نصوص القرآن ، وفيما يلي سنعرض موقف الفرق من كلام الله تعالى .

2 - موقف المعتزلة والمرجئة :

ذهب المعتزلة إلى القول بحدوث كلام الله تعالى " واختلفوا في كلام الله عزوجل بعد أن أجمع جميع أهل الإسلام كلهم على أن لله تعالى كلاما ، وعلى أن الله تعالى كلم موسى - عليه السلام - وعلى أن القرآن كلام الله عز وجل ، وكذلك سائر الكتب المنزلة كالتوراة والزبور والصحف ، وكل هذا لا خلاف فيه بين أحد من أهل الإسلام فقالت المعتزلة : ان كلام الله عز وجل صفة فعل مخلوق ، وقالوا : ان الله تعالى

(103) تاريخ الفلسفة في الإسلام . الطبعة الخامسة (بيروت : دار النهضة العربية) ، ص : 104

كلم موسى ـ عليه السلام ـ بكلام أحدثه في الشجر ؟ " (104)

وهناك من المرجئة من ذهبوا إلى أن كلام الله تعالى إذا قرئ فهو عرض ، وإذا كتب فهو جسم ، وقالوا : لو كتب بالدم على موضع صار ذلك الدم كلام الله تعالى (105) ، وسنبدأ بذكر المعتزلة .

أولا : موقف المعتزلة .

والمعتزلة لا يقولون بصفات الله تعالى كما بينا فيما سبق لأنهم ذهبوا إلى قدم الذات لوحدها ، وبناء على ذلك قالوا بحدوث كلام الله تعالى لأنهم لو قالوا بقدمه لأضافوا صفة زائدة فوقعوا بذلك في الشرك بزعمهم وإن كانت هذه المسألة هي استمرار لأثر المقالة الإسرائيلية في التشبيه والتجسيم فهناك تأثيرا آخر يرجع إلى المناظرة اللاوتية حول طبيعة المسيح ـ عليه السلام ـ :" ومن البدير بالذكر أن خصوم المعتزلة كثيرا ما كانوا يشنعون عليهم بحجة أنهم اقتبسوا اعتقاداتهم في خلق القرآن من النصارى ، الذين اعتقدوا أن " كلمة الله " قابلة للتجسد في مخلوق ما ، وهو عندهم يسوع المسيح ." (106)

وقد وقع الاتفاق بين المعتزلة على أن كلام الله تعالى مخلوق لكن وقع الاختلاف منهم حول ما هية الكلام ولاشك في أن هذا الاختلاف هو استمرار للأثر الأول وأقصد أثر مقالة التشبيه والتجسيم وماهية الكلمة في الفكر النصراني ، وقد حصر

(104) ابن حزم ، الفصل في الملل والأهواء والنحل ج : 3 ، ص : 11

(105) الإسفراييني ، التبصير في الدين ، ص : 62

(106) ماجد فخري ، تاريخ الفلسفة الإسلامية ص : 94 ـ 95

الأشعري هذه الاختلافات في ستة أقوال : (107)

الفرقة الأولى : زعم أصحابها بأن كلام الله تعالى في حقيقته جسم وأنه مخلوق .

الفرقة الثانية : فقد تزعمها النظام وأصحابه فرأوا كلام الله تعالى جسم، ثم فصلوا فيه ، حيث بينوا أنه صوت مقطع مؤلف مسموع لكن ذهبوا إلى أنه فعل الله وخلقه والذي يفعله الإنسان يتمثل في القراءة والقراءة الحركة ، وهي غير القرآن وقرر النظام بأن المكان المتواجد فيه كلام الله تعالى هو ذلك المكان عينه الذي خلقه الله تعالى فيه .

الفرقة الثالثة : هؤلاء عارضوا من قالوا ان كلام الله تعالى جسم ورأوا أنه عرض، وزعموا وجوده في أماكن متعددة في وقت واحد ، فهو يوجد في أماكن التلاوة والحفظ والكتابة ، ولا يجوز عليه الانتقال والزوال وهو قول أبي الهذيل وأصحابه .

الفرقة الرابعة : وافقوا الفرقة السابقة في قولها بأنه عرض لكن خالفوا أن يكون في مكانين في وقت واحد وذهبوا بأنه في المكان الذي خلقه الله تعالى فيه ، ولا يجوز انتقاله وزواله منه وهذا قول أكثر البغداديين .

الفرقة الخامسة : يقولون بأن القرآن عرض ، ومحال أن يكون الله فعله في الحقيقة، لأنهم يحيلون أن تكون الأعراض مخلوقة لله وزعموا أن القرآن للمكان الذي يسمع فيه .

الفرقة السادسة : ذهبوا إلى أن كلام الله تعالى مخلوق وأنه يوجد في أماكن كثيرة في وقت واحد .

---

(107) مقالات الإسلاميين ج 1 ص : 245 - 246

وقد ذكر البغدادي بأن أبا الهذيل قسم كلام الله تعالى إلى قسمين أحدهما يحتاج إلى محل ، والاخر لا يحتاج إلى محل وزعم بأن قول الله تعالى للشيء " كن " حادث في محل ، أما باقي كلامه فهو حادث في جسم من الأجسام ، ويذهب أبو الهذيل بأن كلام الله تعالى كله أعراض ، وقرر بأن قول الله للشيء كن هو من جنس قول الإنسان كن ، لكنه فرق بين عرضين من جنس واحد في حاجة أحدهما إلى محل ، استغناء الآخر عن المحل (108)

ثانيا : موقف المرجئة .

وقد ذهبت المرجئة أيضا إلى القول بحدوث كلام الله تعالى ، فزعمت النجارية من المرجئة أن كلام الله عز وجل إذا قرئ فهو عرض ، وإذا كتب فهو جسم ، وقالوا لو كتب بالدم صار ذلك الدم كلام الله تعالى ثم وقع الخلاف بين النجارية بعد اتفاقهم على أن كلام الله عز وجل مخلوق فقالت الزعفرانية بأن كلام الله غيره ، وأن كل ما هو غيره مخلوق ، وأما المستدركة وهم في حقيقة الأمر فريق من الزعفرانية ، وأطلق عليهم هذا الاسم لزعمهم أنهم استدركوا على أسلافهم ما خفي عليهم ، ثم وقع بينهم الافتراق إلى فريقين : أحدهما قالت بأن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال بأن كلام الله مخلوق ، وكل من لم يقل بأن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال هذا فهو كافر ، أما الفريق الثاني فقرروا أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ لم يقل ذلك ولكنه يعتقد أن كلام الله تعالى مخلوق ، وتكلم بكلمات تدل على أن القرآن مخلوق (109)

---

(108) الفرق بين الفرق ص : 108 ـ 109

(109) الإسفراييني ، التبصير في الدين ص : 62

ومن القول بحدوث كلام الله نشأت مسألة عرفت في الفكر الإسلامي بخلق القرآن ووقع الاختلاف في القرآن هل هو جسم أم غير جسم تبعا للاختلاف في الكلام كما ذكرنا سابقا ، وانقسم المختلفون إلى أربعة طوائف .

1) القرآن جسم ، خلقه الله تعالى في اللوح المحفوظ ، ينتقل بالتلاوة والكتابة والحفظ وهذا الانتقال يختلف عن نقل الأجسام

2) القرآن جسم ، غير أنه قائم بالله في غير مكان ، وبناء عليه لا ينقل إنما يخلقه الله تعالى في حال بعد حال مع التلاوة والكتابة والحفظ .

3) القرآن جسم ، قائم بالله في كل مكان ، لكنهم أحالوا أن ينتقل الله بعينه ، لكن يخلق مثله عند التلاوة والكتابة والحفظ ومحال أن يرى أو يسمع القرآن عند هؤلاء إلامن الله دون خلقه .

4) القرآن ليس بجسم ولا عرض ، وإنما هو عين من الأعيان ، وهو غير الله تعالى ومحال أن يقوم بغير الله تعالى ، وهو غير الله عزوجل ويخلق مع التلاوة والكتابة والحفظ مثل القرآن قائما بالله دون التالي والكاتب والحافظ . (110)

ولقد حاول المعتزلة في عهد المأمون أن يفرضوا فكرة خلق القرآن وشددوا في محاربة المعارضين لهم .

(110) الأشعري ، مقالات الإسلاميين ج : 2 ص : 237 ـ 238 ـ 239

3 ـ موقف أهل السنة :

وذهب أهل السنة في مقابل المعتزلة ومن قال بمذهبهم في كلام الله إلى أن كلام الله تعالى قديم ليس محدث ، وقد ردوا بشدة على أولائك القائلين بحدوث كلام الله وبالتالي خلق القرآن .

"وقال وكيع : ذكر المريسي لعنه الله ، يهودي أو نصراني ، قال له رجل : كان أبوه أو جده يهوديا أو نصرانيا ؟ قال وكيع عليه وعلى أصحابه لعنة الله القرآن كلام الله وضرب وكيع احدى يديه على الأخرى ، وقال : سيء ببغداد يقال له المريسي يستتاب فإن تاب وإلا ضربت عنقه . وقال يزيد بن هارون : لقد حرضت أهل بغداد على قتله جهدي . ولقد أخبرت عن كلامه بشيء مرة وجدت وجعه في صلبي بعد ثلاث " (111)

وقد أورد ابن حزم ما احتج به أهل السنة على أولئك منها : لو كان كلام الله تعالى غير الله فلا يخلو من أمرين ، إما أن يكون جسما أو عرضا فلو كان جسما لكان في مكان واحد . ولو سلمنا بذلك فإن كلام الله تعالى على هذا الأساس لم يبلغنا ولا هو مجموع عندنا وهذا بلا شك كفر ، أما الأمر الثاني أي أنه عرض فإن ذلك يقتضي أن يكون له حامل وهذا يعني أن كلام الله الموجود عندنا مغاير لكلامه الموجود عند غيرنا وهذا محال ، واحتجوا كذلك بمسألة تكليم الله لموسى ـ عليه السلام ـ فلو سمع موسى كلام الله من غيره لم يكن في ذلك مفضل لموسى على غيره فصح بأن موسى ـ عليه السلام ـ سمع الله تعالى مكلما له ، فإذا كان كلامنا مخلوقا وهو غيرنا اقتضى أن يكون كلام الله تعالى مخلوقا ، وليس غير الله (112)

---

(111) محمد ابن اسماعيل البخاري خلق أفعال العباد والرد على الجهمية وأصحاب التعطيل (الجزائر : شركة الشهاب) ، ص : 15

(112) الفصل في الملل والأهواء والنحل ج : 2 ، ص : 11 ـ 12

ويذكر على أبوريان بأن الرد على القائلين بخلق القرآن تمخض عن ظهور الحركة الأشعرية : "على أن محنة خلق القرآن كان لها رد فعل معاكس ، إذ أنها استثارت أهل السنة ، ودفعت بهم إلى الدخول في ميدان الجدل الديني للتصدي لتحديات المعتزلة وذلك بعد أن كانوا يتحرجون من الخوض في أي نقاش أو محاربة حول العقيدة ، وتمخض رد الفعل السني عن ظهور الحركة الأشعرية " (113)

والأشاعرة قد فرقوا في الكلام بين الكلام النفسي وفي مقابل ذلك الكلام المتلفظ به فكلام الله النفسي هو القديم أما الحروف والأصوات التي هي من فعل القارئ فهي مخلوقة :"والكلام عند الأشعري معنى قائم بالنفس سوى العبارة ، والعبارة دلالة عليه من الإنسان ، فالمتكلم عنده من قام به الكلام " (114)

ومن بين الأشاعرة الذين ردوا على المعتزلة في قولهم بحدوث كلام الله تعالى الباقلاني وكان رده مفحما ، فاستدل من القرآن بقوله :"إِنَّمَا أَمْرُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ " (115) فبين أن وجه الاستدلال بهذه الآية يتمثل في أن الله تعالى أخبر أنه يقول لما يخلقه " كن " فلو كان كلامه مخلوقا لكان قائلا له " كن " وذلك محال باتفاق الأمة فبطل أن يكون " كن " مخلوقا .

ثم يناقش هذا الاستدلال . وذلك ان قال هؤلاء الذين تبنوا مذهب حدوث كلام الله تعالى : ومن أين استحال أن يكون قائلا لقوله ، فنجد الباقلاني يقدم كل الوجوه المختلفة حول هذا التساؤل ، ثم يفندها بأدلته الدامغة فلو كان الله تعالى قائلا لقوله لم يخل من أن يقول له بنفسه تعالى ، أو لا بنفسه ولا بقول آخر ، أو بنفس القول ،

---

(113) تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام ـ الطبعة الثانية (بيروت : دار النهضة العربية . 1973م) ، ص : 191

(114) الشهرستاني ، الملل والنحل ج : 1 ص : 96

(115) النحل : 40

فيستحيل أن يقول له تعالى بنفسه ، لأن ذلك يوجب أن تكون نفسه قولا ، وأن يكون قائلا لكل شيء بنفسه ، وأن تكون نفسه لم تزل متكلمة ، ويستحيل أن يكون قائلا لقوله لابنفسه ولابقول آخر ، كما يستحيل أن يكون قائلا ، لكل شئ كلمه وقال له بنفسه ولابقول ويستحيل أن قائلا له بقول آخر ، لأن ذلك يوجب تعلق كل قول بقائل بغير غاية وذلك مما اتفق على فساده وإحالته أن ذلك يوجب أن يكون قوله مخلوقا وأن يكون كل قول هو " كن " من جنسه مقولا له بنفسه وذلك محال (116)

ولم يقف الأمر عند مجرد القول بخلق القرآن أو بقدمه ، إنما تعدى ذلك إلى محنة تعرض لها المسلمون بغير وجه حق وقد سالت بسببها دماء زكية وجلد فيها أئمة أفاضل ، وقد دفعوا بخليفة أشرف بنفسه على نشر الثقافة ورعاية العلوم أن يقدم على إهانة العلماء مما سلب منه الصفات التي خلعتها عليه أعماله السابقة لمحنة خلق القرآن (117)

وأخيرا هذا أثر البحث في حدوث كلام الله ومسألة خلق القرآن والتي :" كانت من القضايا التي شغلت الذهن الإسلامي واستولت على قدر كبير من اهتمامه وقد قيل في شأن هذه الفكرة إنها من أصل يهودي ، ونشرها بعض اليهود في الإسلام (118)

واتخذ أهل السنة والجماعة تجاه هذه الاختلافات في مباحث الذات والصفات بين المشبهة والمجسمة والمعطلة موقفا عبروا به عن آرائهم في ذلك ، وهذا هو موضوع المبحث التالي .

---

(116) التمهيد ص : 240 ـ 241

(117) مصطفى الشكعة ، المطالعات الإسلامية في العقيدة والفكر (دار الكتب الإسلامية) ، ص : 148

(118) الشحات السيد زغلول ، المناهج الفكرية في التفسير الطبعة الثانية . (الهيئة العامة للكتاب فرع الإسكندرية)

المبحث الخامس

آراء أهل السنة والجماعة في الذات والصفات

وقف أهل السنة على ما جاء في القرآن الكريم من وصف للذات الإلهية دون تشبيه ولا تعطيل حيث قال الله تعالى :"قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ،اللَّهُ الصَّمَدُ،لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ " (119)

وإذا تأملنا في آي القرآن المتحدثة عن الذات الإلٰهية وصفاتها لا نجدها تتحدث عن الكيفية والكنه والماهية ، فعندما سأل فرعون موسى :" وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ " (120) كان مقصوده السؤال عن الكنه والماهية ، كان جواب موسى ـ عليه السلام ـ " رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا " (121) ونحن نعلم أن السؤال بماهو سؤال عن الحقيقة والكنه ، وأن جواب موسى ـ عليه السلام ـ هو بيان بعض صفات الله تعالى ولم يستطيع موسى أن يبين له كيف هو لأنه لا يعلم كيف هو إلا هو (122)

وعلى هذا المنهج سار الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ وعلى هذا الأساس كان فهمهم ، قال ابن تيمية :"وقد علم أن طريقة سلف الأمة وأئمتها إثبات ما أثبته من الصفات من غير تكييف ولا تمثيل ومن غير تحريف ولا تعطيل ، وكذلك ينفون عنه ما نفاه عن نفسه مع إثبات ما أثبته من غير إلحاد : لا في أسمائه ولا في آياته ، فإن

(119) سورة الإخلاص
(120) الشعراء : 23
(121) الشعراء : 24
(122) السيد البليد ، ابن تيمية وقضية التأويل ، ص: 68

الله تعالى ذم الذين يلحدون في أسمائه وآياته " (123)

وسنبين أولا مذهب السلف في الذات والصفات .

أولا : مذهب السلف

تصدى السلف لمقالات المعتزلة في الذات والصفات فوقفوا عند نصوص القرآن وآمنوا بها كما أنزلت دون تأويل ، لأن الآيات المتشابهة فوق قدرة العقل البشري وفوضوا المراد بهذه الآية أو تلك إلى الله سبحانه وتعالى :" فإذا قال السائل : كيف استوى على العرش ؟ قيل له كما قال ربيعة ومالك وغيرهما - رضي الله عنهما الإستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة ، لأنه سؤال عما لا يعلمه البشر ولا يمكنهم الإجابة عنه " (124)

ويعتبر ابن كلاب أول سلفي تعرض إلى فلسفة فكر الألوهية كما قال ابراهيم مذكور ، وقد ناظر معاصريه من كبار المعتزلة وبخاصة ابو الهذيل العلاف الذي توسع في هذه الفلسفة (125)

وقد قال ابن كلاب في الأسماء والصفات :" ومعنى أن الله عالم أن له علما ومعنى أنه قادر أن له قدرة ومعنى أنه حي أن له حياة وكذلك القول في سائر صفاته "(126)

ويذهب ابن تيمية إلى أن القول بالصفات كالقول بالذات :

" أن يقال [القول في الصفات كالقول في الذات] ، فإن الله ليس كمثله لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله فإذا كان له ذات حقيقة لا تماثل الذوات فالذات

---

(123) الرسالة التدمرية (الجزائر : شركة الشهاب) ، ص : 4

(124) ابن تيمية ، الرسالة التدمرية ، ص : 22

(125) في الفلسفة الإسلامية ج : 2 ، ص : 32

(126) الأشعري ، مقالات الإسلاميين ، ج : 1 ، ص : 229

متصفة بصفات حقيقية لاتماثل سائر المسفات"(127)

وذكر الجليند قواعد قرآنية عامةللحديث عن الذات وصفاتها فقال :

1 ـ أن الله لا كفوا له ، وليس كمثله شيء وله المثل الأعلى

2 ـ كل آية وردت في القرآن تتحدث عن الذات وصفاتها كان هدفها هو إثبات وجود الرب وصفاته وليس اثبات كيف صفاته .

3 ـ هدف القرآن من ذكر صفات الله تعالى هو إثبات وجودها لا إثبات كيفها لأن الصفات فرع عن اثبات الذات " (128)

ثم يعلق الجليند على هذه القواعد بقوله :" وإذا صح لنا هذه المقدمات الاربع يكون من حقنا القول : بأن من سلك هذا المسلك في حديثه عن الذات وصفاتها يكون ملتزما بمنهج القرآن في الإلٰهيات سواء كان ذلك في عصر السلف أو في العصور المتأخرة ، وكل من خالف هذا المنهج فلا يكون ملتزما بمنهج القرآن وإن كان موجودا في عصر السلف وبين أظهر الصحابة والتابعين أي أن هذه الأسس تعتبر منهجا رسمه القرآن في حديثه عن الإلٰهيات " (129)

واتهم المعتزلة أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهوية ، ويحيي بن معين بالقول بالتشبيه فرد عليهم الرازي بقوله :" واعلم أن جماعة من المعتزلة ينسبون التشبيه إلى أحمد بن حنبل ـ رحمه الله ـ وإسحاق بن راهوية ، ويحيي بن معين ، وهذا خطأ فإنهم منزهون في اعتقاداتهم عن التشبيه والتعطيل لكنهم لا يتكلمون في المتشابهات. (130)

(127) الرسالة التدمرية . ص : 22

(128) ابن تيمية وقضية التأويل . ص : 68 ـ 69

(129) نفس المرجع . ص : 69 ـ 70

(130) إعتقادات فرق المسلمين والمشركين . ص : 99

ثانيا : الأشعرية :

حاول الأشعري (131) التوفيق بين السلف والمعتزلة :

"يحرص الموفق عادة أن يجمع آراء الطرفين المتقابلين وأن يربط بينهما وكل همه أن يتم هذا الربط على وجه مقبول فمدى ابتكاره محدود ، وفي الواقع إذا قارنا الأشاعرة بالمعتزلة من هذه الناحية وجدنا الأخيرين أكثر ابتكارا أتوا بآراء لم يسبقوا إليها وعارضوا آراء السلف ونشرها وقنع الأشاعرة بالملاءمة بين الطرفين وانتهوا إلى رأي وسط أضحى دستورا استمسك به الخلق إلى النهاية ، واستقر بوجه خاص في القرون الأخيرة .(132)

وقد اتخذ الأشعري في مسألة الذات والصفات موقفا وسطا بين المعتزلة والسلف حيث قال : " الباري تعالى عالم بعلم قادر بقدرة حي بحياة مريد بإرادة متكلم بكلام سميع يسمع بصير يبصر ... وهذه الصفات أزلية قائمة بذاته تعالى لايقال هي هو : ولا هي غيره ، ولا : لا هو ، ولا : لا غيره "(133)

---

(131) هو أبو احسن الأشعري المتكلم ، صاحب الأصول والقائم بنصرة مذهب السنة ، وإليه تنسب الطائفة الأشعرية ، مولده سنة سبعين وقيل سنة أربع وعشرين وثلاثمائة وقيل : سنة ثلاثين ، وكان أبو الحسن الأشعري معتزليا ثم تاب من القول بالعدل وخلق القرآن بالبصرة ، وله من الكتب " اللمع " وكتاب " الإيضاح " وكتاب " التبيين عن أصول الدين " وكتاب " الشرح والتفصيل ، في الرد على أهل الأفلاك والتضليل " ، وهو صاحب الكتب في الرد على الملاحدة وغيرهم من المعتزلة والجهمية والخوارج وصناف المبتدعين .
ابن خلكان ، وفيات الأعيان . ج . (مكتبة النهضة . 1367هـ - 1948م) ، ج : 2 . ص : 446 - 447

(132) ابرهيم مذكور : في الفلسفة الإسلامية ج : 2 . ص : 46

(133) الشهرستاني . الملل والنحل ج : 1 ص : 95

وهكذا نجد أن الأشعري يثبت وجود الصفات : " وأن الله موصوف بهذه الصفات حقيقة لا مجازا ، لأنه لو لم تكن له هذه الصفات لم يكن موسوفا بها في الحقيقة وإنما يكون وصفه مجازا وكذبا ، ألا ترى أن وصف الله عز وجل للجدار بأنه يريد أن ينقض لما لم يكن له إرادة الحقيقة كان مجازا ، وذلك أن هذه الأوصاف مشتقة من أخص أسماء هذه الصفات ، ودلت عليها فمتى لم توجد هذه الصفات لمن وصف بها كان وصفه بها تلبيسا وكذبا، هذا هو منهج الأشعري في إثبات الصفات" (134)

وليتضح لنا منهج الأشعري التوفيقي نشير بإيجاز إلى طريقته في مسألة كلام الله تعالى حيث قال : " والدليل على أنه متكلم بكلام قديم ومريد بإرادة قديمة أنه قام الدليل على أنه تعالى ملك ، والملك من له الأمر والنهي ، فهو آمر ناه فلا يخلو إما أن يكون آمرا بأمر قديم ، أو بأمر محدث وإن كان محدثا فلا يخلو إما يحدثه في ذاته ، أو في محل أو لا في محل ويستحيل أن يحدثه في ذاته ، لأنه يؤدي إلى أن يكون محل للحوادث وذلك محال لأنه يوجب أن يكون المحل به موصوفا ، ويستحيل أن يحدثه لا في محل لأن ذلك غير معقول ، فتعين أنه قديم قائم به صفة له " (135)

ويقول الأشعري بالكلام النفسي وهو قديم عنده ، أما الحروف والأصوات التي من فعل القارئ فهي مخلوقة : " وكلامه واحد : أمر ونهي وخبر واستخبار ووعد ووعيد وهذه الوجوه ترجع إلى اعتبارات في كلامه ، لا إلى عدد في نفس الكلام والعبارات ، والألفاظ المنزلة على لسان الملائكة والأنبياء - عليهم السلام - دلالات على الكلام الأزلي ، والدلالة مخلوقة محدثة والمدلول قديم أزلي والفرق بين القراءة والمقروء والتلاوة والمتلو كالفرق بين

(134) الجليند ، ابن تيمية وقضية التأويل ، ص : 97
(135) الشهرستاني ، الملل والنحل ، ج : 1 ص : 95

الذكر والمذكور ، فالذكر محدث والمذكور قديم " (136)

والكلام النفسي القديم الذي قال به الأشعري مختلف عن مفهوم كلام الله عند النصارى : " فإذا كان المسلمون من المتكلمين قد تناولوا مسألة الكلام وعدوا صفة الكلام من صفات الله السمعية وقالوا إن كلامه ليس ككلام البشر بل هو نفسي ، فإن هذا الكلام الذي يتحدثون عنه غير الكلام الذي يتحدث عنه المسيحيون . فالمقصود في علم الكلام من كلام الله أنه الأوامر والنواهي التي يلقيها الله إلقاء نفسيا في نفوس الملائكة ثم ينقلها الملائكة في صورة كلام البشر إلى من يختاره الله ، بينما نجد الكلام عند المسيحيين هو علم الله بالإيجاد وإرادته لهذ الإيجاد وليس متصلا بأوامره ونواهيه (137)

غير أن متأخري الاشاعرة خالفوا ماكان عليه الأشعري من إثبات لجميع الصفات كما وردت بلا تأويل ولاتحريف .

(136) الشهرستاني ، الملل والنحل ، ج : 1 . ص : 95

(137) عبد الرحمان بدوي ، فلسفة العصور الوسطى . ص : 75 ـ 76

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الثالث

النبوة "عصمة الأنبياء"

تمهيد :

الأنبياء هم الصفوة المختارة لتبليغ الرسالات الإلاهية إلى الناس فهم من الأمم بمنزلة القلوب من الأجسام ، والعقول من الرؤوس ، فهم حاجة عقلية ، ذلك أن الفكر البشري يبحث دائما عن ماهية الوجود ، فلا يصل بمفرده إلى الجواب الشافي ، لأن العقل لا يكون منتجا إلا في إطار المادة المنطلق منها ، فهو محدود الإمكانيات مقيد بالزمان والمكان ، أما عالم الغيب فهو مجال للوحي .

وهم حاجة اجتماعية ، فإذا ترك الإنسان وشأنه تدخلت ذاتيته ، فمن ما يخدم مصلحته على حساب الآخرين ، لذلك يحتاج إلى تدخل العناية الإلهية لترشده إلى ما يصلحه في الحال ، ويحقق له الفلاح في المآل .

وهم حاجة نفسية ، فالنفس البشرية كثيرا ما تهتويها الملذات ، فتنغمس في إشباع شهواتها إلى درجة تعجز فيها عن المقاومة ، فتتغلب فيها بذلك قوة الشر على قوة الخير ، فتحتاج إلى تدخل التوجيهات الربانية لتنقذها من الإغراق المادي .

فالنبوة إذا حاجة عقلية ، واجتماعية ، ونفسية ، وأصحابها هم قادة الإصلاح ، والقدوة في الإتباع ، فلا شك أنهم أكمل الناس عقولا وأكملهم أخلاقا ، وأنبلهم سيرة ، فلا يصدر منهم إلا ما يثلج الصدور ، وتنشرح له الأنفس ، وتقربه الأعين ، وتثنى عليه الألسن ، ويصلح للإقتداء والإتباع .

فلا يتصور ذو عقل أن يصدر منهم خلق مشين ، أو فعل قبيح ، يذم فاعله ، وتزدريه أعين الناس ، وإلا فكيف يكونوا للبشر مرشدين وموجهين ، منذرين ومبشرين .

وإذا تأملنا آي القرآن وجدناها قد نزهت الأنبياء عن كل ما لا يليق وبينت قيمهم النفسية والخلقية والعقلية التي جعلتهم أهلا للإصطفاء، قال تعالى : « اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ » (1)

وبالتالي فإن التحريف في الشرائع والخيانة غير جائزة في حقهم فهم معصومون من فعل الكبائر والصغائر .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

1) الحج 75

المبحث الأول

مفهوم العصمة في الفكر العقدي الإسلامي :

لا شك أن الكفر والبدع ، والتحريف في الشرائع ، والخيانة في التبليغ غير جائز في حق الأنبياء ـ عليهم السلام ـ فلا يجوز بحال أن يكون الرسول المكلف بتبليغ شرع أصله الأول الدعوة إلى التوحيد من دعاة الكفر ، وصاحب بدع يأباها الشرع أو أن يقدم على تحريف ما جاء به ويخون بذلك الأمانة التي ألقيت على عاتقه «مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِن دُونِ اللَّهِ وَلَكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ، وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ » (2) .

وهذه الأمور محل إجماع من كافة الأمة ، إلا من شذ على ذلك كالروافض الذين جوزوا الكفر على الأنبياء عن طريق التقية والفضيلة من الخوارج قد قالوا بجواز الكفر عليهم لأن الذنب في منظورهم يعتبر كفرا .

أما فيما يتعلق بأفعال الأنبياء وأحوالهم ، فقد وقع الاختلاف في ذلك ، فمن الفرق من جوز وقوع الكبائر والصغائر منهم ، ومنهم من منع ذلك ، ومنهم من جوز الصغائر دون الكبائر وهذه جملة أقوالهم :

القول الأول : جواز فعل الصغائر والكبائر وهو مذهب الحشوية .

القول الثاني : جواز تعمد الصغيرة ، واستحالة الاقدام على الكبيرة واشترطوا

---

2) آل عمران 79 ـ 80

في جواز فعل الصغائر ألا تكون منفرة وهو مذهب أكثر المعتزلة .

القول الثالث : عدم جواز فعل الصغيرة ولا الكبيرة ، ولكن جوزوا صدور الذنب منهم على سبيل الخطأ في التأويل وهو مذهب أبو علي الجبائي . (3)

القول الرابع : عدم جواز الكبيرة والصغيرة لا بالعمد ولا بالتأويل الخطأ لكن يجوزون وقوع ذلك منهم بالسهو والنسيان وهو مذهب النظام .

القول الخامس : عدم جواز فعل الكبيرة والصغيرة لا بالعمد ، ولا بالتأويل ولا بالسهو والنسيان . (4)

وذكر ابن حزم بأن الكرامية يجوزون فعل الكبائر والصغائر على الأنبياء أي يمكن أن نصنفهم ضمن أصحاب القول الأول لكن يقع الإستثناء منهم في مسألة الكذب في التبليغ ، فإنهم يمنعون ذلك ، وهو القول نفسه الذي ذهب إليه الباقلاني وأتباعه ، وهو في رأي ابن حزم قول اليهود والنصارى ، أما مذهب أهل السنة والخوارج والشيعة والنجارية فنصفه في القول الخامس والاخير أي انهم لا يجوزون فعل الكبيرة والصغيرة سواء عن طريق العمد أو التأويل لا بالسهو ولا بالنسيان ، فإذا

3) هو أبو علي محمد بن عبد الوهاب بن سلام بن خالد بن حمران بن أبان مولى عثمان بن عفان) رضي الله عنه ـ المعروف بالجبائي ، كان إماما في علم الكلام ، وأخذ هذا العلم عن أبي يوسف بن عبد الله الشحام البصري ، رئيس المعتزلة بالبصرة في عصره ، وله في مذهب الإعتزال مقالات مشهورة ، وعنه أخذ الحسن الأشعري شيخ السنة علم الكلام ، وكانت ولادته في سنة خمس وثلاثين ومائتين ، وتوفي سنة ثلاثمائة .

ابن خلكان ، وفيات الأعيان ج 3 ص 398 -399

4) فخر الدين بن محمد الرازي ، عصمة الأنبياء - الطبعة الأولى ، بيروت لبنان : دار الكتب العلمية . ص 26 ـ 27

وقع من الأنبياء السهو من غير قصد ، أو قصدوا الشيء يريدون به وجه الله تعالى والتقرب به منه ، فيوافق خلاف مراد الله تعالى ، فإن الله تعالى لا يقرهم على ذلك بل ينبههم إثر وقوعه منهم (5)

وقد رد الرازي على القائلين بجواز وقوع الكبائر على الأنبياء بأدلة دامغة نوجزها فيما يلي :

أولا : صدور الكبيرة من الأنبياء مفاده أن درجتهم أقل من درجة العصاة من الأمة ، غير أن الأنبياء في حقيقة الأمر أصحاب الدرجات العلى في الشرق ، وصدور الذنب بطبيعة الحال منهم أفحش ، ألا ترى إلى قوله تعالى : « يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ » (6)

وكذلك كان حد العبد نصف حد الحر ، والأمة قد أجمعت بأن النبي لا يكون أقل حال من الأمة .

ثانيا : إن شهادة النبي لا تقبل إذا أقبل على الفسق ، والدليل على ذلك من القرآن الكريم : « إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا » (7)

ولا شك في أن النبي مقبول الشهادة وإلا كان أقل حال من عدول الأمة .

ثالثا : أن إقدامه على الكبيرة يوجب زجره عنها ومعنى ذلك أن إيذاءه غير محرم ، لكنه محرم بنص القرآن : « إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله » (8)

---

5) الفصل في الملل والاهواء والنحل ، ج 4 ص : 6.5.4

6) الاحزاب : 30

7) الحجرات : 6

8) الاحزاب : 57

رابعا : لو أتى بالكبيرة لوجب على أفراد الأمة الاقتداء به ، والدليل قوله تعالى : « فَاتَّبِعُونِي »(9) ، فيفضي إلى جمع بين الوجوب والحرمة وهو محال . (10)

ولا يعقل أبدا أن يتلوث نبي مصطفى بهذه المعاصي ، وهو قدوة البشرية : "فالعقل والشرع يلزمان القول بعصمة النبي أي كيف يجوز أن يكون نبيا ويكون سارقا ، أو قاطع طريق ، أو شارب خمر ، أو زانيا ، أو غير ذلك من القاذورات والنجاسات التي تمنع من الاقتداء به .أو من اتباعه ، وهل يكون لكلام النبي أثر في النفوس إذا كانت سيرته غير عطرة أو كانت ملوثة ببعض الموبقات والآثام » (11)

هل العصمة قبل النبوة أم بعدها ؟

فيما يخص جواز الكفر على الأنبياء قبل البعثة ، فذهبت الفضيلة من الخوارج إلى جواز بعثة من يعلم الله منه أنه يكفر ، ومن الحشوية من ذهب إلى أن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان كافرا قبل البعثة ، واستدلوا بقوله تعالى : « وَوَجَدَكَ ضَالاً فَهَدَى » (12) وقوله تعالى : « مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الكِتَابُ وَلاَ الإِيمَان » (13)

9) آل عمران : 31

10) فخر الدين بن محمد الرازي ، محصل افكار المتقدمين والمتاخرين - مكتبة الكليات الازهرية، ص 119

11) محمد علي الصابوني ، النبوة والانبياء : 52

12) الضحى : 7

13) الشورى : 49

وفيما يتعلق بأفعالهم ، فقد ذهب أكثر أهل السنة إلى جواز فعل الكبيرة على سبيل الندرة قبل البعثة ، وتقع التوبة منهم عنه ، ويستر حالهم بين الخلق بالصلاح ، واستدلوا على مذهبهم بأفعال إخوة يوسف ـ عليه السلام ـ ، لكن هناك من لم يقل بنبوتهم أصلا ، أما إصرار الأنبياء على الكبائر فغير جائز ، أما الروافض فذهبوا إلى العصمة من الصغائر قبل النبوة » (14)

الأنبياء إذا معصومون من فعل المعاصي في الإسلام لكن تسربت إسرائيليات إلى الفكر العقدي الإسلامي تصف الأنبياء بالمعاصي ، وهذا ما سأبحثه فيما يلي .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

14) الرازي : ، محصل افكار المتقدمين والمتاخرين ص : 220

المبحث الثاني

عصمة الأنبياء من المعاصي :

مدح القرآن الكريم الأنبياء ، وأثنى عليهم ، وأمر بالاقتداء بهم ، قال تعالى : "أُوْلَآئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلا ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ » (15)

وقد نزههم القرآن الكريم عن المعاصي ، فلا يصدر منهم إلا ما يتفق مع سمو منزلتهم ، قال الله تعالى :« وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامِ الصَّلَوَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَوَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ » (16)

أما العهد القديم فوصف الأنبياء بالمعاصي ، ومنها فعل الفاحشة : « وأهل الكتاب لا يقولون بهذه العصمة ، وكتبهم المقدسة ترمي بعض كبار الأنبياء بكبائر الفواحش المنافية لحسن الأسوة ، بل المجرئة على الشرور والمفاسد » (17)

وقد زعمت التوراة المحرفة أن نوحا عليه السلام ـ شرب الخمر ، وتعرى بعد ذلك : « وَشَرِبَ مِنَ الْخَمْرِ وَسَكِرَ وَتَعَرَّى دَاخِلَ خِبَائِهِ ، فَأَبْصَرَ حَامُ أَبُو كَنْعَانَ عَوْرَةَ أَبِيهِ وَأَخْبَرَ أَخَوَيْهِ خَارِجًا ، فَأَخَذَ سَامُ وَيَافَثُ الرِّدَاءَ وَسَتَرَا عَوْرَةَ أَبِيهِمَا وَوَجْهَاهُمَا إِلَى الْوَرَاءِ ، فَلَمْ يُبْصِرَا عَوْرَةَ أَبِيهِمَا ، فَلَمَّا اسْتَيْقَظَ نُوحٌ مِنْ خَمْرِهِ عَلِمَ مَا فَعَلَ بِهِ ابْنُهُ

15) الانعام : 90

16) الأنبياء : 73

17) محمد رشيد رضا ، الوحي المحمدي (الجزائر ، دار الكتب) ، ص : 51

السَّغِيرَ . فَقَالَ سَلَمُونُ كَنْعَان . عَبْد العَبِيد يَكُونُ لإِخْوَتِهِ » (18)

أما القرآن فأخبر بأن الله عز وجل اصطفى نوحا :« إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَاهِيمَ وَءَالَ عِمْرَان عَلَى العَالَمِين » (19)

ووصفه القرآن كذلك بانه كان عبدا شكورا : « ذُرِيَّةَ مَن حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا » (20)

واتهم العهد القديم لوطا ـ عليه السلام ـ بارتكاب الفاحشة مع ابنتيه بعد أن سقتاه خمرا:« وَقَالَتِ البِكْرُ لِلصَّغِيرَةِ أَبُونَا قَدْ شَاخَ وَلَيْسَ فِي الأَرْضِ رَجُلٌ لِيَدْخُلَ عَلَيْنَا كَعَادَةِ كُلِّ الأَرْضِ ، هلُمَّ نَسْقِي أَبَانَا خَمْرًا وَنَضْطَجِعُ مَعَهُ ،فَنُحْيِي مِنْ أَبِينَا نَسْلاً ، فَسَقَتَا أَبَاهُمَا خَمْرًا فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ وَدَخَلَتْ البِكْرُ وَاضْطَجَعَتْ مَعَ أَبِيهَا وَلَمْ يَعْلَمْ بِاضْطِجَاعِهَا وَلاَ بِقِيَامِهَا وَحَدَثَ فِي الغَدِ أَنَّ البِكْرَ قَالَتْ لِلصَّغِيرَةِ إِنِّي قَدِ اضْطَجَعْتُ البَارِحَةَ مَعَ أَبِي ، نَسْقِيهِ خَمْرًا اللَّيْلَةَ أَيْضًا فَادْخُلِي انْسْطَجِعِي مَعَهُ ، فَنُحْيِي مِنْ أَبِينَا نَسْلاً فَسَقَتَا أَبَاهُمَا خَمْرًا فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ أَيْضًا وَقَامَتِ الصَّغِيرَةُ وَاضْطَجَعَتْ مَعَهُ . وَلَمْ يَعْلَمْ بِاضْطِجَاعِهَا وَلاَ بِقِيَامِهَا. فَحَبِلَتَا ابْنَتَا لُوطٍ مِنْ أَبِيهِمَا » (21)

أما القرآن فبين أن دعوة لوط ـ عليه السلام ـ قائمة على الطهرفقد نهى قومه عن الفاحشة ، قال تعالى:« وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِن أَحَدٍ مِنَ العَالَمِينَ ،إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِجَالَ شَهْوَةً مِن دُونِ النِسَاءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ » (22)

---

18) تكوين : 9 :21 ـ 22 ـ 23 ـ 24 ـ 25

19) آل عمران : 33

20) الاسراء : 3

21) تكوين : 19 : 31 ـ 32 ـ 33 ـ 34 ـ 35 ـ 36

22) الاعراف : 80 ـ 81

كما نسب العهد القديم إلى بعض الأنبياء الوقوع في الدماء عن طريق القتل العمدي ، حيث قال في حق موسى ـ عليه السلام ـ : « وَحَدَثَ فِي تِلْكَ الأَيَّامِ لَمَّا كَبُرَ مُوسَى أَنَّهُ خَرَجَ إِلَى إِخْوَتِهِ لِيَنْظُرَ فِي أَثْقَالِهِمْ . فَرَأَى رَجُلاً مِصْرِيًّا يَضْرِبُ رَجُلاً عِبْرَانِيًّا مِنْ إِخْوَتِهِ . فَالتَفَتَ هَنَا وَهُنَاكَ وَرَأَى أَنْ لَيْسَ أَحَدٌ فَقَتَلَ المِصْرِيَّ وَطَمَرَهُ فِي الرَّمْلِ »(23)

أما القرآن الكريم فقد بين بأن موسى عليه السلام ـ لم يقصد قتله ، إنما أراد أن يمنعه من الاعتداء ، قال الله تعالى : « وَدَخَلَ المَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلاَنِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ ، فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِن عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ .قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ» (24)

وحتى نتبين أثر الإسرائيليات في وصف الأنبياء بالمعاصي في الفكر العقدي الإسلامي ، نتعرض إلى ما قيل في الهم والبرهان ليوسف ـ عليه وسلم ـ وقصة داود مع أوريا

1 ـ عصمة يوسف من المعاصي :

تعرض يوسف ـ عليه السلام ـ إلى محنة كبرى ، حيث راودته امرأة العزيز عن نفسها ، وغلقت الأبواب لعلها تصيب مرادها منه ، فولى يوسف وجهه شطر الباب يطلب النجاة ، وأرادت أن تمسك به فمزقت ثيابه من خلف ، قال تعالى :« وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ . وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلاَ أَن رَّءَا بُرْهَانَ رَبِّهِ

23) خروج : 2 : 11ـ 12
24) القصص : 15 ـ 16

كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ ، إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ . وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ وَ أَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلاَّ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيم » (25)

ويصرح يوسف في هذا المقام بأنها راودته ، ويتدخل الحكم من أهلها ، فقال لننظر إن وجدنا قميص يوسف قد مزق من الأمام فهو الجاني ، وإن كان قميصه قدّ دبر فهو الصادق : « فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ ، قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ . يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ » (26)

وهكذا ظهرت براءة يوسف من الذنب ، وثبتت الخطيئة في حق امرأة العزيز لكن أثيرت مسألة الهم والبرهان في الفكر العقدي ، وقيل فيها الكثير مما يتنافى وعصمة الأنبياء ، والمرجع في ذلك الإسرائيليات .

ونبدأ في بحث المسألة مع ابن جرير الطبري فقد نقل عن ابن وكيع أنه قال ثنا عمرو بن محمد ، قال :« ثنا أسباط ،عن السدي، وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلاَ أَنْ رَءَا بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ» قال: «قالت له يا يوسف ما أحسن وجهك ، قال هو للتراب يأكله فلم تزل حتى أطمعته ، فهمت به وهم بها ، فدخلا البيت وغلقت الأبواب وذهب ليحل سراويله، فإذا هو بصورة يعقوب قائما في البيت قد عض على أصبعه يقول :يا يوسف تواقعها، فإنما مثلك ما لم تواقعها في جو السماء لا يطاق ، ومثلك إذا واقعتها مثله إذا مات ووقع إلى

25) يوسف : 23 ـ 24
26) يوسف : 28 ـ 29

الأرض ، لا يستطيع أن يدفع عن نفسه ، ومثلك إن لم تواقعها كمثل الثور الصعب لا يعمل عليه . ومثلك إن واقعتها مثل الثور حين يموت فيدخل النمل في أصل قرنية لا يستطيع أن يدفع عن نفسه ، فربط سراويله ، وذهب ليخرج يشتد ، فأدركته فأخذت بمؤخر قميصه من خلفه فخرقته حتى أخرجته منه ، وسقط ، وطرحه يوسف واشتد نحو الباب (27)

فاذا حاولنا مناقشة الرواية ، وجدنا أنها :

أولا : أن المراودة كانت من امرأة العزيز ، وأن يوسف ـ عليه السلام ـ كان يبدي نفوره بإجاباته عن اسئلتها ، ولكن سرعان ما وقع في حبائلها ، فدخل معها البيت أي أنه عقد العزم على فعل الفاحشة ، وإذا كان العزم قد عقد فكأن الفعل تحقق منه أي أنه لم يقاوم نفسه ، وهذا لا يليق برجل من صالحي المسلمين فكيف بنبي مصطفى ، ففيه معارضة صريحة للعصمة .

ثانيا : أن يوسف بعد عقد العزم ، لم يرجع عن فعل الفاحشة إلا بعد أن رأى صوره يعقوب ـ عليه السلام ـ وذكره بالحال الذي يؤول إليه إن هو أقبل على هذا الفعل ، فربط سراويله مما يدل على أن يوسف ـ عليه والسلام ـ قد حل سراويله من قبل أي أقبل حقيقة على الفعل ، إن كل ذلك يبين لنا أن الإمتناع كان بعد أن رأى يوسف صورة أبيه فأي فضل إذا بعد هذا ليوسف ، وهل يستحق من قام بذلك المدح والثناء وأين مراقبة الله عز وجل والحياء منه ، فمما لا شك فيه أن هذه الرواية المفتراة ، تصادم الحقيقة القرآنية .

ثالثا : عندما أدركته ، أخذت بمؤخر قميصه ،فخرقته حتى أخرجته منه ، وسقط وطرحه يوسف ، واشتد نحو الباب وهذا عين الرواية التوراتية : « ثُمَّ حَدَثَ نَحْوَ

27) جامع البيان . ج دار الفكر 1405هـ ـ 1984م) ج: 12 ص : 183

مَذَا الوَقْتِ أَنَّهُ دَخَلَ البَيْتَ لِيَغْتَسِلَ غَسَلَهُ وَلَمْ يَكُنْ إِنْسَانٌ مِنْ أَهْلِ البَيْتِ هُنَاكَ فِي البَيْتِ ، فَأَمْسَكَتْهُ بِثَوْبِهِ قَائِلَةً اضْطَجِعْ مَعِي. فَتَرَكَ ثَوْبَهُ فِي يَدِهَا وَهَرَبَ وَخَرَجَ إِلَى خَارِجٍ» (28)

وذكر السيوطي نقلا عن أبي نعيم في الحلية عن على بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ في قوله : «وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا » قال : « طمعت فيه وطمع فيها ، وكان الطمع أن هم بحل التكة ، فقامت إلى صنم مكلل بالدر والياقوت في ناحية البيت، فسترته بثوب أبيض بينها وبينه ، فقال : « أي شيء تصنعين ؟ ! فقالت : « استحي من إلهي أن يراني على هذه الصورة ، فقال يوسف ـ عليه السلام ـ تستحين من صنم لا يأكل ولا يشرب ، ولا أستحي أنا من إلاهي الذي هو قائم على كل نفس بما كسبت ؟ ! ثم قال : لا تنالينها مني أبدا ، وهو البرهان الذي رأى . (29)

أهم ما يلاحظ على هذه الرواية أن امرأة العزيز استحيت من إلاهها فقامت لتستره حتى لا يرى في تصورها ما تقترفه من الخطيئة ،في مقابل ذلك أن يوسف ـ عليه السلام ـ لم يستح حسب الرواية من الله عز وجل العليم بالسرائر ، ولم يتحرك شعور الحياء في نفسه إلا بعد أن رأى ما فعلته امرأة العزيز مع صنمها ، فهي أكثر تمسكا وارتباطا بالاهها من يوسف ـ عليه السلام ـ فهذا أمر فظيع يجب أن ينزه عنه صالحي المسلمين فما بالنا بالصفوة المختارة لتبليغ الرسالات الإلاهية .

28) تكوين : 39 : 11 ـ 12

29) الدر المنثور في التفسير بالمأثور . الطبعة الثانية .(بيروت ـ لبنان ـ : دار الفكر . 1403هـ ـ 1983 م) ج 12 ص : 521

وقد ذكر المفسرون أقوالا متعددة في الهم :

منها ما ورد عن ابن جرير الطبري وهي روايات مختلفة نوجزها فيما يلي :

1 ـ عن أبي كريب وسفيان بن وكيع وسهل بن موسى الرازي قالوا : ثنا ابن عيينة ، عن عثمان بن أبي سليمان ، عن ابن أبي مليكة ، عن ابن عباس ، سئل عن هم يوسف ما بلغ ؟ قال : حل الهميان، وجلس منها مجلس الخاتن .

2 ـ عن أبي كريب ، وابن وكيع ، قالا : ثنا ابن عيينة ، قال : سمع عبيد الله بن أبي يزيد عن ابن عباس في : « ولقد همت به وهم بها » قال جلس منها مجلس الخاتن ، وحل الهميان .

3 ـ عن زياد بن عبد الله الحساني ، وعمرو بن علي ، والحسن بن محمد قالوا : ثنا سفيان بن عيينة عن عبد الله بن أبي عدي عن ابن جريج ، عن ابن أبي مليكة ، قال : سألت ابن عباس ما بلغ من هم يوسف ، قال : استلقت له ، وجلس بين رجليها .

4 ـ عن ابن وكيع ، قال ثنا يحيى بن يمان ، عن ابن جريج عن ابن أبي مليكة : « وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا » ، استلقت له وحل ثيابه .

5 ـ عن المثنى ، قال : ثنا قبيصة بن عقبة ، قال : ثنا سفيان عن ابن جريج عن ابن أبي مليكة ، عن ابن عباس . « وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا » ما بلغ قال استلقت له وجلس بين رجليها وحل ثيابه أو ثيابها

6 ـ عن المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال ، ثنا يحيى بن سعيد ، عن ابن جريج ، عن ابن أبي مليكة ، قال : سألت ابن عباس : ما بلغ من هم يوسف ؟ قال :

استلقت على قفاها ، وقعد بين رجليها ينزع ثيابه .

7 ـ عن أبي كريب قال : ثنا وكيع وحدثنا ابن وكيع ، قال ثنا أبي ، عن نافع ، عن ابن عمر ، عن ابن أبي مليكة قال : سئل ابن عباس عن قوله : « وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا » ، ما بلغ من هم يوسف ؟ قال : حل السراويل حتى التبان ، واستلقت له .

8 ـ حدثنا زياد بن عبد الله الحساني ، قال : ثنا مالك بن سعير قال : ثنا الأعمش عن مجاهد في قوله : « وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا » ، قال : « حل سراويله حتى وقع على التبان .

9 ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال : ثنا محمد بن ثور عن معمر عن بن أبي نجيح ، عن مجاهد : « وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا » ، قال جلس منها مجلس الرجل من امرأته .

10 ـ عن أبي بزة : حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال ثنا شبل قال : ثنى القاسم بن أبي بزة : « وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا » قال : « أما همها به فاستلقت له ، وأما همه بها ، فإنه قعد بين رجليها ، ونزع ثيابه .

11 ـ حدثا الحسن بن محمد ، قال : ثنى حجاج بن محمد ، عن ابن جريج ، قال : أخبرني عبد الله بن أبي مليكة ، قال قلت لابن عباس : ما بلغ من هم يوسف قال : استلقت له وجلس بين رجليها ونزع ثيابه .

12 ـ عن المثنى ، قال : ثنا الحماني ، قال : ثنا يحيى بن اليمان عن سفيان عن علي بن بذيمة ، عن سعيد بن جبير وعكرمة ، قالا :حل السراويل ، وجلس منها

مجلس الخاتن .

13 ـ عن ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد العنقزي ، عن شريك عن جابر ، عن مجاهد : « وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا » قال : أطلق تكة سراويله .

14 ـ عن الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا بن عينة، عن عثمان بن أبي سليمان ، عن ابن أبي مليكة ، قال : شهدت ابن عباس سئل عن هم يوسف ما بلغ ، قال : حل الهميان ، وجلس منها مجلس الخاتن . (30)

ولعل الذي يتبادر إلى الذهن مباشرة لماذا ذكرت كل هذه الروايات عن ابن جرير الطبري ، وكلها تدور في نفس المعنى ، ألا يستلزم المنهج العلمي الاكتفاء بذكر معناها إجمالا أو التعرض إلى بعضها .

وقبل الإجابة عن هذا السؤال ، أقول لماذا لم يكتف ابن جرير نفسه بذكر بعض الروايات أو ذكر معناها إجمالا ، ويجدر بنا أولا أن نشير إلى طريقة الطبري في التفسير : « فنول ما نشاهده ، أنه إذا أراد أن يفسر الآية يستشهد على ما قاله بما يرويه بسند إلى الصحابة أو التابعين من التفسير المأثور عنهم في هذه الآية ، وإذا كان في الآية قولان أو أكثر ، فإنه يعرض لكل ما قيل فيها ويستشهد على كل قول بما يرويه في ذلك عن الصحابة والتابعين » (31)

فنلاحظ أن ابن جرير فيما سبق أن نقلناه عنه من الروايات المختلفة ، كان يهتم بإثبات السند ، وليته وهو شيخ المفسرين اهتم بدراسة المتن وتمحيصه كما اعتنى

---

30) جامع البيان : ج 12 ص 183 ـ 184 ـ 185

31) محمد حسنين الذهبي ، التفسير والمفسرون، ج الطبعة الرابعة . (مكتبة وهبة . 1409 هـ ـ 1988م / ج1 ص : 206

بالسند ، وكشف هذه الأباطيل والخرافات الواردة من الإسرائيليات ، وبيان نسبتها لعصمة الأنبياء ، لكن ابن جرير على العكس من ذلك انتصر إلى هذه المرويات ، وهذا ما نلمسه في تعليقاته حيث قال : « فإن قال قائل : وكيف يجوز أن يوصف يوسف بمثل هذا وهو نبي ؟ قيل : إن أهل العلم اختلفوا في ذلك ، فقال بعضهم : كان ممن ابتلي من الأنبياء بخطيئة ، فإنما ابتلاه الله بها ليكون من الله عز وجل على وجل إذا ذكرها ، فيجد في طاعته إشفاقا منها ، ولا يتكل على سعة عفو الله ورحمته ، وقال آخرون : بل ابتلاهم بذلك ليجعلهم أئمة لأهل الذنوب في رجاء رحمة الله ، وترك الإياس من عفوه عنهم إذا تابوا .

وأما آخرون ممن خالف أقوال السلف ، وتأولوا القرآن بآرائهم فإنهم قالوا في ذلك أقوالا مختلفة »(32)

وقد ذكرنا فيما سبق أربعة عشرة رواية :

واحدة عن أبي بزة ، وواحدة عن سعيد بن جبير وعكرمة ، وثلاث روايات عن مجاهد ، احداهم من طريق الأعمش ، والثانية من طريق أبي نجيح ، والثالثة من طريق جابر ، وتسع روايات عن ابن عباس مدارها على ابن أبي مليكة ، ولها ثلاث طرق ، رواية عن طريق ابن عمر ، وروايتان عن طريق ابن أبي سليمان، وخمس روايات عن طريق ابن جريج ، وهناك رواية عن ابن أبي زيد عن ابن عباس . فنلاحظ أن أغلب الروايات من طريق ابن جريج عن ابن أبي مليكة عن ابن عباس ، ولذلك نحاول دراسة هذا الطريق لنعرف مصدره في هذه الروايات .

32) جامع البيان : ج 12 ـ ص 15

نجد أولا أن سند الروايات عن ابن عباس ، وقد رد ابن حزم على ذلك بقوله :

"فإن قيل : إن هذا الذي روي عن ابن عباس من طريق جيد الإسناد ، قلنا : نعم ، ولا حجة في قول أحد إلا فيما ورد عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقط . والوهم في تلك الرواية إنما هي بلا شك عمن دون ابن عباس ، أو لعل ابن عباس لم يقطع بذلك إنما أخذه عمن لا يدري من هو ..؟ ولا شك في أنه شئ سمعه فذكره لأنه ـ رضي الله عنه ـ لم يحضر ذلك ، ولا ذكره عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ومحال أن يقطع ابن عباس بما لا علم له به . (33)

و فيما يخص ابن جريج فقد ذكر عنه الذهبي : « أصله رومي نصراني ، كان من علماء مكة ومحدثيهم . وهو أول من صنف الكتب بالحجاز ، وهو قطب الإسرائيليات في عهد التابعين . ولو أنا رجعنا إلى تفسير ابن جرير الطبري . وتتبعنا الآيات التي ورد في النصارى ، لوجدنا كثيرا مما يرويه ابن جرير في تفسيره لهذه الآيات يدور على عبد الملك ، الذي يعبر عنه دائما " ابن جريج " (34)

ونجد أن ابن جرير بعد ذكره الروايات بسندها ، يذكر أقوال الذين خالفوا السلف وتأولوا القرآن بآرائهم .

أولا : فسروا هم يوسف بضرب المرأة ، أو نيلها بمكروه جزاء همها به مما أرادته من المكروه ، لو لا أن رأى برهان ربه ، وكفه ذلك عما هم به من أذاها ، واستشهدوا على ذلك بقوله تعالى : " كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ (35)

---

33) الفصل في الملل والاهواء والنحل ج4 ، ص: 28

34) التفسير والمفسرون ج 1 ، ص 195

35) يوسف 24

قالوا : فالسوء هو ما كان من همه .لاذاما وهو غير الفحشاء .

ثانيا : تناهى الخبر عند القول ولقد همت به ، ثم ابتدئ الخبر عن يوسف ، فيكون المعنى : وهم بها يوسف لولا أن رأى برهان ربه ، فكأنه يفهم من قولهم أن الهم لم يقع أصلا من يوسف ، ولو لا رؤيته البرهان لوقع منه ، واستشهدوا بقوله تعالى : " وَلَوْلاَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاَتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلاً " (36)

ويرد ابن جرير على أصحاب القولين ، بأن العرب لا تقدم جواب " لولا " قبلها ، لا تقول : لقد قمت لولا زيد ، وهي تريد : لولا زيد لقد قمت هذا من جانب اللغة ، ومن جانب ثاني فلقد خالفوا جميع أهل العلم بتأويل القرآن الذي عنهم يؤخذ تأويله . (37)

تفسير الألوسي للهم :

أوضح الألوسي أن المقصود بالهم أنه هم بدفعها عن نفسه ، وبالتالي منعها من ذلك الفعل القبيح . لأن حاله عليه السلام ـ يستدعي ذلك فإن اعترض على هذا القول بأن قوله تعالى " لَوْلاَ أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ " لا يبقى له فائدة ، كان الجواب بأن ذلك فيه أعظم الفوائد وبيانه من وجهين :

الأول : أنه تعالى أعلم يوسف أنه لو هم بدفعها لفعلت سعه ما يوجب هلاكه ، فكان الإمتناع عن ذلك فيه صون النفس عن الهلاك .

الثاني : لو اشتغل يوسف عليه السلام ـ بدفعها ، فلربما تعلقت به فمزقت ثوبه من الأمام ، وقد سبق في علم الله تعالى أن الشاهد سيحكم في هذه القضية

---

36) النساء : 83

37) جامع البيان ج 12 ، ص : 185

ببراءته إن كان قميصه مزق من خلف، وبجنايته لو مزق من أمام ، فأعلمه هذا فلم يشتغل بدفعها وفر عنها ،فصارت الشهادة حجة على براءته عن المعصية . (38)

تفسير ابن حزم للهم :

ذكر ابن حزم أن معنى الآية لا يعدو أحد وجهين : إما أنه هم بضربها والايقاع بها . واستدل بقوله تعالى " وَنَبَّتْ كُلَّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ " (39) ، لكن يوسف ـ عليه السلام ـ امتنع من ذلك عندما رأى البرهان ، فانثناه عن ضربها ،وفي مقابل ذلك علم أن الفرار أجدى وأنفع له . وأظهر لبراءته .

أما الوجه الثاني . فهو أن الكلام تم عند قوله تعالى:«وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ»، ثم ابتدأ تعالى خبرا آخر حيث قال:« وَهَمَّ بِهَا لَوْلاَ أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ » ومعنى ذلك أنه كان يهم بها لولا أن رأى برهان ربه ثم يقرر بأن الهم بالفاحشة باطل ومقطوع على كل وجه . (40)

ماهية البرهان وما قيل في ذلك من روايات :

فقد أورد ابن جرير الطبري عدة روايات نوجزها فيما يلي :

1ـ حدثنا ابن حميد ، قال ثنا سلمة . عن طلحة ،عن عمرو الحضرومي ، عن ابن أبي مليكة . قال : بلغني أن يوسف لما جلس بين رجلي المرأة فهو يحل هميانه نودي : يا يوسف بن يعقوب لا تزن ، فإن الطير إذا زنى تناثر ريشه ، فأعرض ثم

---

38) روح المعاني:ج الطبعة الرابعة (بيروت ـ لبنان داراحياء التراث العربي).1405هـ ـ 1985م ، ج 11ص : 26

39) غافر . 5

40) الفصل في الملل والاهواء والنحل ج4 ، ص: 28

نودي فأعرض ، فتمثل له يعقوب عاضا على أصبعه ، فقام .

2 ـ حدثني المثنى ، قال ثنا قبيصة بن عقبة ، قال : ثنا سفيان عن ابن جريج عن ابن أبي مليكة ، عن ابن عباس ، قال : « نودي يا بن يعقوب لا تكن كالطير إذا زنى ذهب ريشه ، وبقي لا ريش له» فلم يتعظ على النداء ففزع .

3 ـ حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عمرو بن محمد العنقزي قال : أخبرنا إسرائيل عن أبي حصين ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس في قوله : « لَوْلاَ أَنْ رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ » قال : « رأى صورة أو تمثال وجه يعقوب عاضا على أصبعه ، فخرجت شهوته من أنامله .

4 ـ حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا يحي بن عباد ، قال : ثنا جرير بن حازم قال : سمعت عبد الله بن أبي مليكة يحدث عن ابن عباس ، في قوله : « وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا » قال : « حين رأى يعقوب في سقف البيت ، قال : فنزعت شهوته التي كان يجدها حتى خرج يسعى إلى باب البيت ، فتبعته المرأة .

5 ـ حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن أبي مودود عن محمد ابن كعب : قال رفع يوسف رأسه إلى سقف البيت حين هم ، فرأى كتابا في حائط البيت :«لاَ تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً » (41)

6 ـ حدثني محمد بن سعد ، قال : « ثنى

41) الاسراء . 32

أبي قال : « ثنى عمي ، قال ثنى أبي عن أبيه عن ابن عباس : « وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ »يقول : « آيات ربه أري تمثال الملك» بأن الصواب أن يقال : « إن الله جل ثناؤه أخبر عن هم يوسف وامرأة العزيز كل واحد منهما بصاحبه ، لولا أن رأى يوسف برهان ربه ، وذلك آية من آيات الله ، زجرته عن ركوب ما هم به يوسف من الفاحشة ، وأوضح أن تلك الآية جائز أن تكون صورة يعقوب ، أو صورة الملك ، أو وعيد في الآيات التي ذكرها الله تعالى في القرآن عن الزنا . ثم ختم تعليقه بأنه لا حجة قاطعة بأي ذلك إلى عالمه .(42)

إن المتأمل في هذه الروايات يجدها كلها تدور حول إثبات عزم يوسف ـ عليه السلام ـ على المعصية ، وأن الذي حال بينه وبين ذلك هو البرهان الذي رآه ، ومعظم الروايات تذكر بأنه صورة يعقوب ـ عليه السلام ـ

ونحن نعلم أن أنسق الناس يرعوي وينزوي عن الفاحشة إذا رأى صورة أبيه وهو يعظه . فأي فضل ليوسف عليه السلام ـ بعد ذلك فهذا مما ينبغي أن ننزه عنه أنبياء الله تعالى .

وذكر السيوطي رواية أخرجها ابن المنذر وأبوالشيخ عن وهب بن منبه ـ رضي الله عنه ـ قال : « لما خلا يوسف وامرأة العزيز ، خرجت كف بلا جسد بينهما مكتوب عليها بالعبرانية : « أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ » (43) ، ثم انصرفت الكف وقاما مقامهما ، ثم رجعت الكف بينهما مكتوب عليها بالعبرانية : "وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ . كِرَامًا كَاتِبِينَ " (44) ثم انصرفت الكف وقاما مقامها ، فعادت

42) جامع البيان ج 12 ص 186 ـ 187 ـ 190 ـ 191

43) الرعد : 33

44) الانفطار : 10 ـ 11

الكف الثالثة . سنكتب عليها : « وَلاَ تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً » (45) وانصرفت الكف وقام مقامها، فعادت الكف الرابعة ، مكتوب عليها بالعبرانية : «وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ » (46) ، فولى يوسف عليه السلام هاربا . (47)

هذه الرواية عن وهب بن منبه وهو من الذين أكثروا من نقل الإسرائيليات . ونلاحظ على هذه الرواية ما يلي :

1 ـ أثبتت أن الآيات كتبت باللغة العبرية، لكن إذا درسنا تاريخ اللغةالعبرانية وجدناه يرجع إلى ما قبل 1100ق . م ، وهي عبارة عن مزيج من اللغات الآرامية والكنعانية وغيرهما ولم يتكلم بها بنواسرائيل إلا بعد استطانهم كنعان ومخالطتهم الكنعانيين،أما قبل ذلك فقد كانوا يتكلمون لغة الشعوب المضيفة لهم.(48)

إذن فالعبرية لم تظهر إلا بعد وفاة موسى ـ عليه السلام ـ بأكثر من قرن ، فكيف يعقل أن يرى يوسف ـ عليه السلام ـ الكف مكتوبا بالعبرانية ، وهي لم توجد بعد .

2 ـ مما لا شك فيه أن القرآن لم ينزل إلى على الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فكيف يرى يوسف كتابة تلك الآيات وهي لم تنزل بعد .

3 ـ إثبات إصرار يوسف ـ عليه السلام ـ على المعصية ، بحيث لم يقلع عنها إلا في المرة الرابعة ، وهذا ينافي العصمة للأنبياء .

---

45) الاسراء : 32

46) البقرة : 281

47) الدر المنثور في التفسير بالمأثور ج : 12 ، ص 524

48) فؤاد حسنين علي : التوراة السامريطيفية ، ص 4

وأخيرا نجد أن الرازي ذكر وجوها لأهل التحقيق في تفسير رؤية البرهان ، تثبت العصمة للأنبياء ، فسروا ذلك بوجوه :

الأول : عبارة عن حجة الله تعالى في تحريم الزنا، والعلم بما على الزاني من العقاب .

الثاني : قال تعالى : « إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا » (49) فالله عز وجل طهر نفوس الأنبياء عن الأخلاق الذميمة ، بل طهر نفوس المتصلين به فالمراد بالبرهان بناء على ذلك هو حصول تلك الأخلاق ، وتذكير الأحوال الرادعة لهم عن الاقدام على المنكرات .

الثالث : رؤية يوسف عليه السلام ـ مكتوبا في سقف البيت : « وَلاَ تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً »

الرابع : أنه النبوة المانعة من ارتكاب الفواحش ، فالأنبياء لا شك أنهم بعثوا لمنع الناس عن القبائح والفضائح . فلو أنهم منعوا غيرهم عنها وأقدموا هم على فعلها لدخلوا في قوله تعالى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لاَ تَفْعَلُونَ . كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لاَ تَفْعَلُونَ » (50) ، وكذلك أن الله عير اليهود بأنهم يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم ، وما يكون عيبا في حق اليهود كيف ينسب إلى الرسول المؤيد بالمعجزات (51) . ونقل الرازي عن القاضي أبو طاهر الطوسي ـرحمه الله ـ شهادات مختلفة في براءة يوسف ـ عليه السلام-فقد شهد ببراءته كل من له تعلق بتلك الواقعة من زوج وحاكم ونسوة وملك ، وأدى يوسف ذلك ، واعترف خصمه بصدق ما قال مرتين ، ر شهد بذلك رب العالمين واعترف ابليس . (52)

---

49) الاحزاب . 33

50) الصف 3.2

51) تفسير الفخر الرازي 33 ج . الطبعة الثانية (دار الفكر. ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م)، ج: ١٨، ص: ١٨٥

52) عصمة الأنبياء ، ص : 75

2ـ عصمة داود من المعاصي :

ذكر العهد القديم بأن العصر الذي ينتمي إليه داود قد سبق بعهد القضاة ، ومن قضاة بني اسرائيل صموئيل . وفي عهده دخل بنو اسرائيل في حرب الفلسطينيين ، وانهزم بنو اسرائيل ، فرأى شيوخ بني إسرائيل أن يأخذ المقاتلون معهم تابوت عهد الرب لتخليصهم من أعدائهم . وكان مع التابوت ابنا عالي الكاهن حفني وفينحاس ، لكن بني إسرائيل انهزموا وقتل منهم ثلاثون ألف رجل : « فَحَارَبَ الفِلِسْطِينِيُّونَ وَانْكَسَرَ إِسْرَائِيلُ وَهَرَبُوا كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى مَنْيَمَتِهِ وَكَانَتِ الضَّرْبَةُ عَظِيمَةً جِدًّا وَسَقَطَ مِنْ إِسْرَائِيلَ ثَلاَثُونَ أَلْفَ رَاجِلٍ وَأُخِذَ تَابُوتُ اللَّهِ وَمَاتَ ابْنَا عَالِي حِفْنِي وَفِينْحَاسُ » (53)

فلما شاخ صموئيل جعل بنيه قضاة . وكان اسم البكر يوئيل ، واسم الآخر أبيا ، لكنهما انحرفا عن طريقه . فخاف بنواسرائيل من فساد الأمر عليهم ، فطلبوا منه أن يجعل لهم ملكا كسائر الشعوب فاختار لهم شاؤول ، وقد ذكره القرآن باسم طالوت :

"وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي

53) صموئيل الاول : 4 : 10ـ11

الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ » (54)

وقد ذكر لهم نبيهم أن آية ملكه أن يأتيهم التابوت الذي أخذ منهم ، وفيه بقية مما ترك آل موسى ، وآل هارون . وكان الأمر كما أخبرهم ، وقد جمع طالوت الجنود لقتال جالوت وجنوده :

« فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلاَّ مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لاَ طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاَقُوا اللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ . وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ .

فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلاَ دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ » (55)

ويذكر العهد القديم بأن داود عندما تولى الملك كان ابن ثلاثين سنة :«كان دَاوُدُ ابْنَ ثَلاَثِينَ سَنَةٍ حِينَ مَلَكَ وَمَلَكَ أَرْبَعِينَ سَنَةً،فِي حَبْرُونَ مَلَكَ عَلَى يَهُوذَا سَبْعَ سِنِينَ وَسِتَّةَ أَشْهُرٍ، وَفِي أُورَشَلِيمَ مَلَكَ ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ سَنَةً عَلَى جَمِيعِ إِسْرَائِيلَ ، وَيَهُوذَا .» (56)

54) البقرة : 247

55) البقرة : 251.250.249

56) صموئيل الثاني : 5 : 5.4

وخاض داود معارك ، وكان النصر حليفه ، فاستطاع فتح بلاد الفلسطينيين وبلاد دمشق عاصمة ملك الآراميين . وقد كانت لداود قصة مأخوذة من الإسرائيليات مع أحد قواده يسمى " أوريا " .

وقد ذكرت روايات متعددة في قصة داود مع زوجة أوريا ، وذلك عند تفسير قوله تعالى : « وَهَلْ أَتَاكَ نَبَؤُا الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ . إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ . قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ » (57)

وذكر ابن جرير رواية طويلة عن ابن حميد قال : ثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن بعض أهل العلم ، عن وهب بن منبه : « أن داود حين دخل محرابه ذلك اليوم ، قال لا يدخلن علي محرابي اليوم أحد حتى الليل ، ولا يشغلني شيء عما خلوت له حتى أمسي ، ودخل محرابه ونشر زبوره ، إذ أقبلت حمامة من ذهب حتى وقعت في الكوة ، فرفع رأسه فرآها ، فأعجبته ، ثم ذكر ما كان قال : لا يشغله شيء عما دخل له ، فنكس رأسه وأقبل على زبوره ، فتصوبت الحمامة للبلاء والاختبار من الكوة ، فوقعت بين يديه ، فتناولها بيده ، فاستأخرت عنه بعيد ، فأتبعها بصره أين تقع ، فإذا المرأة جالسة تغتسل بهيئة الله أعلم بها في الجمال والحسن والخلق ، فيزعمون أنها لما رأته نفضت رأسها فوارت به جسدها منه واختطفت قلبه » (58)

---

57) ص 21 ـ 22 ـ 23 ـ 24 ـ 25

58) جامع البيان : 23: 149

فهذا المقطع الأول من الرواية يبين أن داود ـ عليه السلام ـ قد تفرغ في يوم ابتلائه إلى العبادة ، فشغل وقته بتلاوة الزبور ، وفجأة تبدأ عملية الاختبار والابتلاء، ويا له من اختبار عجيب ، الذي يقوم داود فيه إلى النظر إلى عورات الغير ، وهذا افتراء عظيم على الله تعالى ، وعلى أنبيائه ، فإذا تأملنا الفقرة السابقة وجدنا أن داود قد قدر عليه أن ينظر إلى امرأة جميلة تستحم وهي عارية ، والوسيلة التي قادته إلى ذلك حمامة من ذهب فلما علمت المرأة بنظر داود إليها نفضت شعرها ، فوارت جسدها عنه .

وقد رويت هذه القصة في العهد القديم : « وَأَمَّا دَاوُد فَأَقَامَ فِي أُورُشَلِيمَ . وَكَانَ فِي وَقْتِ الْمَسَاءِ أَنَّ دَاوُدَ قَامَ عَلَى سَرِيرِهِ وَتَمَشَّى عَلَى سَطْحِ بَيْتِ الْمَلِكِ فَرَأَى مِنْ عَلَى السَّطْحِ امْرَأَةً تَسْتَحِمُّ . وَكَانَتِ الْمَرْأَةُ جَمِيلَةَ الْمَنْظَرِ جِدًّا . فَأَرْسَلَ دَاوُدُ وَسَأَلَ عَنِ الْمَرْأَةِ فَقَالَ وَاحِدٌ أَلَيْسَتْ هَذِهِ بَثْشَبَعَ بِنْتَ أَلِيعَامَ امْرَأَةَ أُورِيَّا الْحِثِّيِّ ، فَأَرْسَلَ دَاوُدُ رُسُلاً وَأَخَذَهَا فَدَخَلَتْ إِلَيْهِ فَاضْطَجَعَ مَعَهَا وَهِيَ مُطَهَّرَةٌ مِنْ طَمْثِهَا ، ثُمَّ رَجَعَتْ إِلَى بَيْتِهَا ، وَحَبِلَتِ الْمَرْأَةُ فَأَرْسَلَتْ وَأَخْبَرَتْ دَاوُدَ وَقَالَتْ إِنِّي حُبْلَى » (59)

في هذه الفقرات وصف يخل بمقام النبوة ، فكيف أباح كاتب هذا السفر لنفسه أن يصف داود بالسوء والفحشاء ، فلا يعقل أن يبعث نبي جيشه إلى ميدان القتال ، ثم يقوم بعد خلو الجو له بالإطلاع على عورات نسائهم وانتهاك حرماتهم ، فيقدم على ارتكاب فاحشة الزنا بامرأة أحد قواده المقربين فتحمل منه ، فإن كان ذلك لا يصح من عامة المؤمنين ، فكيف يصدر من الأنبياء ، ووصف كاتب السفر داود باللجوء إلى أسلوب الخداع للتستر من فعلته وإلقائها على أوريا ، فقد بعث لاستدعاره

(59) صموئيل الثاني : 11 : 1 ـ 2 ـ 3 ـ 4 ـ 5

بحجة سؤاله عن نتائج الحملة . فلما أتاه أمره أن يغسل رجليه وينزل إلى بيته . لكن أوريا رفض النزول إلى بيته ، وفضل النوم على باب بيت الملك ، فلما أخبر داود بذلك سأل عن سبب عدم النزول إلى بيته : « فَقَالَ أُورِيَّا لِدَاوُدَ إِنَّ التَّابُوتَ وَإِسْرَائِيلَ وَيَهُوذَا سَاكِنُونَ فِي الْمِظَالِّ وَسَيِّدِي يُوآبُ وَعَبِيدُ سَيِّدِي نَازِلُونَ عَلَى وَجْهِ الصَّحْرَاءِ وَأَنَا آتِي إِلَى بَيْتِي لآكُلَ وَأَشْرَبَ وَأَضْطَجِعَ مَعَ امْرَأَتِي ، وَحَيَاتِكَ وَحَيَاةِ نَفْسِكَ لاَ أَفْعَلُ هَذَا الأَمْرَ » (60)

نلاحظ أن كاتب السفر توغل في التهجم على داود ، والطعن في عصمته فيظهر لنا صورة أخرى من المكر والخداع ، كيف أن داود يحاول تغطية فعلته ، ويليقها على القائد البريء الذي انتهك عرضه في غيابه ، وفي مقابل ذلك ظهر هذا القائد في صورة البطل المتعلق قلبه بمصير شعبه فهو لا يريد الذهاب إلى منزله ، وإشباع رغباته ، وجيش شعبه في الصحراء مع تابوت عهد الرب بينما داود في قصره غارق في ملذاته ، مدبر للمكائد ، منتهك للحرمات فهذا أمر لا يصح بحال من الأحوال .

ولنعد بعد هذا إلى الاستمرار في ذكر رواية وهب بن منبه : « ورجع داود إلى زبوره ومجلسه . وهي من شأنه لا يفارق قلبه ذكرها و تمادى به البلاء حتى أغزى زوجها ، ثم أمر صاحب جيشه فيما يزعم أهل الكتاب أن يقدم زوجها للمهالك حتى أصابه بعض ما أراد به من الهلاك » (61) .

إنها تصوير لقصة غرامية ، كيف يشغف قلب المحب بمحبوبته فيسلك إليها كل الطرق ، ويتخذ جميع الوسائل ، ويبذل منتهى الجهد للظفر بمحبوبته ، ولو كان ثمن

60) صموئيل الثاني : 11 : 11 ـ 12

61) جامع البيان ج 23 . ص 149

ذلك مثل زوج عشيقته ، فلو أقدم أحد العشاق على فعل ذلك لعد ذلك في الضمير الإنساني الحي جريمة لا تغتفر ، فكيف بنبي أثنى القرآن عليه ، ووصفه الله تعالى بأنه أواب ، فقد قال عز وجل لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم : « اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ » (62)

وقد ورد في العهد القديم ما يماثل رواية وهب بن منبه : « وَفِي الصَّبَاحِ كَتَبَ دَاوُدَ مَكْتُوبًا إِلَى يُوآبَ وَأَرْسَلَهُ بِيَدِ أُورِيَّا ، وَكَتَبَ فِي الْمَكْتُوبِ يَقُولُ ، اجْعَلُوا أُورِيَّا فِي وَجْهِ الْحَرْبِ الشَّدِيدَةِ وَارْجِعُوا مِنْ وَرَائِهِ فَيُضْرَبَ وَيَمُوتَ ، وَكَانَ فِي مُحَاصَرَةِ يُوآبَ الْمَدِينَةَ أَنَّهُ جَعَلَ أُورِيَّا فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي عَلِمَ أَنَّ رِجَالَ الْبَأْسِ فِيهِ . فَخَرَجَ رِجَالُ الْمَدِينَةِ وَحَارَبُوا يُوآبَ فَسَقَطَ بَعْضُ الشَّعْبِ مِنْ عَبِيدِ دَاوُدَ وَمَاتَ أُورِيَّا الْحِتِّيُّ أَيْضًا » (63)

ثم يذكر وهب بن منبه : « ولداود تسع وتسعون امرأة ، فلما أصيب زوجها خطبها داود ، فنكحها ، فبعث الله إليه ملكين يختصمان إليه مثلا يضربه له وصاحبه ، فلم يرع داود إلا بهما واقفين على رأسه في محرابه فقال : ما أدخلكما علي . قالا لا تخف لم ندخل لبأس ولا لريبة : « خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ » فجئناك لتقضي بيننا : « فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلاَ تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ » اي احملنا على الحق ، ولا تخالف بنا إلى غيره ، قال الملك الذي يتكلم عن أوريا بن جناح زوج المرأة : « إِنَّ هَذَا أَخِي ° أي على ديني ° لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا » أي احملني عليها ، ثم عزني في الخطاب ، أي قهرني في الخطاب . وكان أقوى مني هو وأعز ، فحاز نعجته إلى نعاجه .

---

62) ص : 17

63) صموئيل الثاني : 11: 14_ 15 _ 16_ 17

وتركني لا شيء لي فغضب داود ، فنظر إلى خصمه ... ، فقال : لئن كان صدقني ما يقول : لأضربن بين عينيك بالفأس ، ثم ارعوى داود فعرف أنه هو الذي يراد بما صنع في امرأة أوريا » (64)

نجد أنه في آخر الرواية ، قد فسر أمر الخصمين الوارد في سورة (ص) بالقصة الإسرائيلية ، فهي على حسب الرواية نفس قصة داود مع أوريا الواردة في العهد القديم ، فقد ورد في العهد القديم : « فَأَرْسَلَ الرَّبُّ نَاثَانَ إِلَى دَاوُدَ فَجَاءَ إِلَيْهِ وَقَالَ لَهُ كَانَ رَجُلاَنِ فِي مَدِينَةٍ وَاحِدَةٍ وَاحِدٌ مِنْهُمَا غَنِيٌّ وَالآخَرُ فَقِيرٌ . وَكَانَ لِلْغَنِيِّ غَنَمٌ وَبَقَرٌ كَثِيرَةٌ جِدًّا ، وَأَمَّا الْفَقِيرُ فَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَيْءٌ إِلاَّ نَعْجَةً وَاحِدَةً صَغِيرَةً قَدِ اقْتَنَاهَا وَرَبَّاهَا وَكَبِرَتْ مَعَهُ وَمَعَ بَنِيهِ جَمِيعًا . تَأْكُلَ مِنْ لُقْمَتِهِ وَتَشْرَبُ مِنْ كَأْسِهِ وَتَنَامُ فِي حِضْنِهِ وَكَانَتْ لَهُ كَابْنَةٍ فَجَاءَ ضَيْفٌ إِلَى الرَّجُلِ الْغَنِيِّ فَعَفَا أَنْ يَأْخُذَ مِنْ غَنَمِهِ وَمِنْ بَقَرِهِ لِيَهَيِّءَ لِلضَّيْفِ الَّذِي جَاءَ إِلَيْهِ فَأَخَذَ نَعْجَةَ الرَّجُلِ الْفَقِيرِ وَهَيَّأَ لِلرَّجُلِ الَّذِي جَاءَ إِلَيْهِ ، فَحَمِيَ غَضَبُ دَاوُدَ عَلَى الرَّجُلِ جِدًّا وَقَالَ لِنَاثَانَ حَيٌّ هُوَ الرَّبُّ إِنَّهُ يُقْتَلُ الرَّجُلُ الْفَاعِلُ ذَلِكَ وَيَرُدُّ النَّعْجَةَ أَرْبَعَةَ أَضْعَافٍ لأَنَّهُ فَعَلَ هَذَا الأَمْرَ وَلأَنَّهُ لَمْ يُشْفِقْ فَقَالَ نَاثَانُ لِدَاوُدَ أَنْتَ هُوَ الرَّجُلُ » (65)

وفي مسألة ندم داود فقد ذكر السيوطي بأن عبد بن حميد أخرج عن كعب ـ رضي الله عنه ـ قال : « سجد داود نبي الله أربعين ليلة لا يرفع رأسه حتى رقا دمعه ويبس ، ثم يذكر كعب أنه من آخر دعاء داود وهو ساجد أن قال : « يارب رزقتني العافية فسألتك البلاء فلما ابتليتني لم أصبر ، فإن تعذبني فأنا أهل ذلك ، وإن تغفر لي فأنت أهل ذلك ، قال : « وإذا جبريل عليه السلام ـ قائم على رأسه ، وقال : يا داود إن الله قد غفر لك فارفع رأسك ، فلم يلتفت

64) جامع البيان ج . 23 ، ص 149

65) صموئيل الثاني : 12 : 1 ـ 2 ـ 3 ـ 4 ـ 5 ـ 6 ـ 7

إليه ، ثم ناجى داود ربه وهو ساجد فقال : « يارب كيف تغفر لي وأنت الحكم العدل قال : إذا كان يوم القيامة دفعتك إلى أوريا ، ثم استوهبك منه فيهبك لي ، وأثيبه الجنة ، قال : « يا رب الآن علمت أنك قد غفرت لي ، فذهب يرفع رأسه ، فإذا هو يابس لا يستطيع ، فمسحه جبريل ببعض ريشه فانبسط ، فأوحى الله إليه بعد ذلك يا داود قد أحللت لك امرأة أوريا ، فتزوجها فولدت له سليمان » (66)

ولا شك أنه لا يعقل بحال أن يبقى إنسان على هيئة السجود مدة أربعين يوما ، بل إنه يتعرض للهلاك ، أو على الأقل لا يقوى على الحركة ، إلى جانب أن هذا الأمر مرفوض من الناحية العلمية ، ومن المأخذ على هذه الرواية كذلك عدم التفات داود إلى جبريل وهو رسول الله تعالى إليه ليخبره بأن الله تعالى قد غفر له ، وأمره برفع رأسه ، لكن داود رفض ذلك .

ويذكر الألوسي آراء مختلفة متعددة قيلت في قصة داود :

أولا : يذهب إلى القول بنفس الرواية التي ذكرها ابن جرير عن وهب بن منبه غير أن هذا الرأي يبين بأن داود قد طلب من أوريا أن يتنازل عن زوجته له ، فاستحى أن يرده فطلقها ، وتزوجها داود وكان ذلك جائزا في شريعته معتادا ، لكن كيف يقدم نبي قدوة لغيره على هذا الأمر ولو كان جائزا ، فإنه ينقص من قيمته ، وقدره في أعين الناس ، فيقولون نبي مال قلبه إلي امرأة فطلقها من زوجها وتزوجها ، والإستدال بما حدث بعد الهجرة من الأنصار ، إذا كانت لأحدهم زوجتان نزل عن احداهما لأخيه فهو قياس مع اختلاف العلة وذلك يؤدي إلي بطلانه .

66) الدر المنثور ج 23 ص 162

ثانيا : أن أوريا لم يكن تزوجها بل كان خطبها ، ثم خطب داود من بعده فأثره أهلها ، فكان ذنبه أن خطب على خطبة أخيه المؤمن ، وفي بعض الآثار أنه فعل ذلك ولم يكن عالما بخطبة أخيه فعوتب على ترك السؤال هل خطبها أم لا ؟

ثالثا : كان في شريعة داود أن الرجل إذا مات وخلف امرأة فأولياؤه أحق بها إلا أن يرغبوا عن التزوج بها ، فلما قتل أوريا خطب امرأته ظانا أن أولياءه رغبوا عنها فلما سمعوا منعتهم هيبته وجلالته أن يخطبوها .

رابعا : كان داود في عبادة ، فجاء رجل وامرأة يتحاكمان إليه ، فوجه نظره إلى المرأة من أجل التعرف عليها ، فحدث أن مالت نفسه إليها ميلا طبيعيا فشغله ذلك عن بعض نوافله فعوتب على ذلك ، فالذي يتصدى للقضاء ، ولا يضبط ميوله ، ويترك سجالا للحاظة تتحرك في أثناء سماعه للمتحاكمين ، فلا شك أن هذه الميولات ستتدخل في الحكم الصادر عنه ، زيادة على أن هذا الرأي يصف داود بالرجل الشهواني الميال لإشباع الرغبات وهذا ما يجب أن ينزه عنه .

خامسا : عدم التثبت في الحكم ، حيث حدث منه ـ عليه السلام ـ ظلما للمدعى قبل سؤاله ، ويرجع ذلك أساسا إلى الفزع الذي ناله ، ويذهب أصحاب هذا الرأي إلى أن المتخاصمين كانا من الإنس إما على ظاهر النص أو على جعل النعجة فيه كناية عن المرأة .

ثم يعلق الألوسي وهو المحقق المدقق على هذه الآراء تعليقا رائعا فيقول بأن المقبول من هذه الأقوال ما بعد من الاخلال بمنصب النبوة فالأنبياء عليهم السلام ـ معصومون من الخطايا لا يمكن وقوع شيء منها ضرورة ، لأننا لو جوزنا

عليهم شيئامن ذلك بطلت الشرائع ولم يوثق بشيء مما يذكرون أنه وحي من الله تعالى. (67)

وقد عقد الخازن في تفسيره فصلا في تنزيه داود ـ عليه السلام ـ فقال : « اعلم أن من خصه الله تعالى بنبوته وأكرمه برسالته وشرفه على كثير من خلقه وأتمنه على وحيه ، وجعله واسطة بينه وبين خلقه لا يليق أن ينسب إليه ما لو نسب إلى أحاد الناس لاستنكف أن يحدث به عنه ، فكيف يجوز أن ينسب إلى بعض أعلام الأنبياء والصفوة الأمناء » . ثم ذكر نقلا عن القاضي عياض بأنه لا يجوز الإلتفات إلى ما سطره الاخباريون من أهل الكتاب الذين بدلوا وغيروا ، ونقله بعض المفسرين ولم ينص الله تعالى على شيء من ذلك ولا ورد في حديث صحيح ، والذي نص عليه الله في قصة داود ، وظن داود أنما فتناه ، وليس في قصة داود و أوريا خبر ثابت ، ولا يظن بنبي مسبة قتل مسلم ، وهذا هو الذي لا ينبغي أن يعول عليه . ن أمر داود (68) .

وابن حزم يرد بشدة على الذين ذهبوا إلى أن الخصمين من الملائكة نزلا بسبب قصة داود مع أوريا فقد قال في قوله تعالى :« وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ، إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ » ، هذا قول صحيح لا يدل على شيء مما قاله المستهزئون الكاذبون المتعلقون بخرافات ولدها اليهود ، ثم بين أن ذلك الخصم هو من بني آدم ، قد اختصموا في غنم لهم ونعاج حقيقة ،لكن بغى أحد هما على الآخر ، ويقرر بأن هؤلاء كذبوا على الله تعالى ، وزادوا في القرآن ما ليس فيه ، وكذلك كذبوا على الملائكة ، وأوضح بأن الإنسان يصون نفسه من أن يقع في عشق جارته ، ويقوم بقتل زوجها . فهذه صفات تنسب إلى السفهاء

67) روح المعاني ج 23 . ص 185

68) تفسير الخازن المسمى لباب التقول في معاني التنزيل ج دارالفكر، ج 4 . ص 35

والفساق لا إلى أهل التقوى والصلاح . وفسر الظن في قوله تعالى :« وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ» فهو يرجع إلى الظن بأن ما أتاه الله عز وجل من سعة الملك العظيم فتنة فاستغفر الله تعالى من هذا الظن ، فغفر الله تعالى له هذا الظن ، إذ لم يكن ما أتاه الله تعالى من ذلك فتنة . (69)

وذهب الرازي بأن الذي حكاه أهل التفسير من عشق داود لامرأة أوريا ، لا يليق بمقام الأنبياء . وأشار أن الدخول في دم أوريا أعظم من التزوج بامرأته ، فكيف ترك الله الذنب الأعظم ، ، واقتصر على ذكر الأخف ، ثم إن التأمل في السورة يتبين بأنها في سياقة منكرى النبوة ، وهذا لا يتفق والقدح في بعض أكابر الأنبياء بهذا النسق القبيح .

والله عز وجل مدح داود فقال : « ذَا الأَيْدِ » والمراد بها القوة في الدين لأن المستحق للمدح هو القوة في ذلك ، زيادة على ذلك أن القوة في غير الدين كانت موجودة في الملوك الكفار وما استحقوا مع ذلك المدح ، وما دام أن داود وصف بالقوة فمعنى ذلك أنه يملك نفسه ، ويأخذ بزمامها ، إضافة إلى أن الله تعالى أخبر بأنه أتى داود الحكمة . فمن اتصف بها كانت نسبة الفاحشة إليه باطلة ، ومع هذه الحكمة فقد جعله الله تعالى خليفة : « يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً » (70) أي جعله الله تعالى خليفة لنفسه ، وصوبه في أحكامه ، وأمر أكابر الأنبياء بالاقتداء به ، وترتيب الحكم على الوصف مشعر بكون الوصف علة لذلك الحكم ، فعلى ما ذكروه يلزم أن يكون تفويض خلافة الأرض إليه بسبب إقدامه على القتل والفسق ، وذلك مما لا يليق بعاقل (71)

وإلى جانب وصف الأنبياء بالمعاصي نفت عنهم الإسرائيليات المتسربة إلى الفكر العقدي الإسلامي العصمة من فتنة الشيطان ، وتوضيح هذا في المبحث التالي .

---

69) الفصل في الملل والاهواء والنحل ج4 ، ص: 39ـ 40

70) ص : 26

71) عصمة الانبياء . ص : 97 ـ 98 ـ 99

المبحث االثالث

عصمة الأنبياء من الشيطان :

تعرض بعض الأنبياء استنادا إلي روايات إسرائيلية إلى فتنة الشيطان ، وكان أثر هذه الروايات في الفكر العقدي الإسلامي يتنافى مع العصمة ، ولا يليق بمقام الأنبياء ، ومن هؤلاء سليمان وأيوب .

1 ـ سليمان وفتنة الشيطان :

سليمان ـ عليه السلام ـ نبي آتاه الله الملك ، قال تعالى : وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ . وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فَهُمْ يُوزَعُونَ . (72)

وقد ذكرت روايات إسرائيلية في قصته ـ عليه السلام ـ تتنافى وعصمة الأنبياء ، وقد أوردها بعض المفسرين عند التعرض إلى تفسير قوله تعالى : « وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ » (73) .

---

72) النمل : 15.16.17

73) ص : 34

وقد رويت حول هذه الآية قصة غريبة تبين فتنة سليمان :

« روى محمد بن إسحاق عن بعض العلماء أن سليمان أخبر أن في جزيرة من جزائر البحر رجل يقال له صيدون ، ملك عظيم الشأن لم يكن للناس إليه سبيل لمكانه في البحر وكان الله قد آتى سليمان في ملكه سلطانا لا يمتنع عليه شئ في بر ولا بحر ، فخرج إلى تلك المدينة فحملته الريح على ظهرها حتى نزل عليها بجنوده من الجن والإنس ، فقتل ملكها ، وسبى ما فيها ، فأصاب فيما أصاب بنتا لذلك الملك يقال له جرادة ، لم ير مثلها حسنا ولا جمالا ، فاصطفاها لنفسه ودعاها إلى الإسلام فأسلمت على يده في الظاهر على خيفة منه ، وقلة ثقة ، فأحبها حبا شديدا لم يحبه أحدا من نسائه وكانت منزلتها عظيمة » (74)

وظلت جرادة حزينة على أبيها ، لا تغادر الدموع عينيها ، ثم طلبت من سليمان أن يأمر الشياطين ليصوروا لها صورة أبيها ، فلما فعلوا ألبسته مثل لباس أبيها :

"ثم إنها كانت إذا خرج سليمان من دارها تغدو إليه في ولائدها فتسجد له ، ويسجدن له معها كما تصنع معه في ملكه ، وتروح إليه عشية تفعل معه مثل ذلك ، وسليمان لا يعلم بشئ من ذلك أربعين صباحا ، فبلغ ذلك آصف بن برخيا ، وكان صديقا وكان لا يرد عن باب سليمان أي ساعة أراد دخول بيته حاضرا أم غائبا » (75)

وعندما بلغ ذلك سليمان ـ عليه السلام ـ كسر ذلك الصنم ، وعاقب تلك المرأة واللواتي يذهبن معها ، ثم قام بلبس ثياب الطهر الذي تعزله الأبكار ، ولا تمسه امرأة ذات دم ، وخرج إلى الفلاة من الأرض ، حيث جلس على الرماد وتوجه إلى الله تعالى تائبا ، ورجع بعد ذلك إلى بيته ، وكان إذا دخل الخلاء ترك خاتمه عند وليدة

---

74) أبو اسحاق النيسابوري ، قصص الأنبياء المسمى عرائس المجالس ـ الطبعة الاولى تحقيق أحمد حجازي السقا. (مصر : مكتبة الكليات الازهرية ، 1398هـ ـ 1978م) ص : 322

75) نفس المرجع ، ص : 322

يقال لها أمينة . وكان ملكه في خاتمه ، وعندما تركه عندها ذات مرة أتاها الشيطان صاحب البحر على صورة سليمان، واسمه صخر ، فطلب منها الخاتم فسلمته له .(76)

ويذكر ابن جرير في رواية السدي بأنه أعطى خاتمه إلى زوجته جرادة . ودخل المخرج ، فخرج الشيطان في صورته فطلب منها الخاتم ، فسلمته له فذهب وجلس على كرسي سليمان ، وعندما خرج سليمان وطلب منها خاتمه أخبرته بأنه قد أخذه قبلا ، ومكث الشيطان يحكم مكان سليمان بين الناس أربعين يوما ، ولكن قراء بني إسرائيل وعلماءهم اجتمعوا بعد أن أنكر الناس أحكام هذا الشيطان المتصور في هيئة سليمان ، فأتى القراء والعلماء إلى نساء سليمان يسألوهن عن الذي أصاب سليمان ، فبكى النساء عند ذلك ثم أقبلوا يمشون حتى أتوه ، ونشروا التوراة فقرؤوا ، فطار الشيطان إلى البحر ، فوقع منه الخاتم ، فابتلعه حوت من حيتان البحر ، ثم إن سليمان لما اشتد به الجوع فقصد الصيادين ، وعندما أخبرهم بأنه سليمان قام واحد منهم فضربه فشجه في رأسه ، فقام من عندهم والدم يسيل منه،عند ذلك عاتب الصيادون صاحبهم ، واعطوا لسليمان سمكتين فوجد خاتمه في احداهما ، فلبسه فرد الله عليه بهاء ملكه ، فأرسل إلى الشيطان فجيء به ، وسخر له الريح والشياطين يومئذ (77)

وقد ذكر الالوسي في رواية عن ابن عباس أن الله تعالى لما أراد أن يرد على سليمان سلطانه ، ألقى في قلوب الناس انكار ذلك الشيطان ، فأرسلوا إلي نساء سليمان ليسألوهن : « هل ينكر من سليمان شيا ؟ فكان الجواب بالإيجاب بأن

76) أيوب لسحاق النيسابوري : مسمس الانبياء ص :323
77) جامع البيان ج:23 ص :158

سليمان يأتيهن ومن حيض وما كان يأتيهن قبل ذلك ، فلما رأى الشيطان أنه قد تمكن له ، ظن أن أمره قد انقطع فأصدر أمره إلى الشياطين أن يكتبوا كتبا فيها سحر ومكر ، ويدفنونها تحت كرسي سليمان حتى أثاروها وقرؤوها على الناس ثم قالوا لهم : « بهذا كان يظهر سليمان على الناس ، ويغلبهم ، فأكفر الناس سليمان ، ولم يرح ذلك الشيطان الخاتم في البحر .(78)

والمتأمل في هذه القصة يدرك أنها من خرافات أهل الكتاب : « ونحن لا نشك في أن هذه الخرافات من أكاذيب بني اسرائيل وأباطيلهم وأن ابن عباس وغيره تلقوها عن مسلمة أهل الكتاب ... وأحب أن أؤكد هنا ما ذكرته سابقا من أن قوة السند لا يتنافى كونها مما أخذه ابن عباس وغيره عن كعب الأحبار وأمثاله من مسلمة أهل الكتاب ، وثبتوها في نفسها لا ينافي كونها من إسرائيليات بني اسرائيل ، وخرافاتهم ، وافتراءاتهم على الأنبياء » .(79)

وقال أبو حيان وغيره : « إن هذه المقالة من أوضاع اليهود وزنادقة السوفسطائية ولا ينبغي لعاقل أن يعتقد صحة ما فيها وكيف يجوز تمثل الشيطان بصورة نبي حتى يلبس أمره عن الناس ويعتقدوا أن ذلك المتصور هو النبي ، ولو أمكن وجود هذا لم يوثق بإرسال النبي نسأل الله سلامه ديننا وعقولنا ، ومن أقبح ما فيها زعم تسلط الشيطان على نساء نبيه حتى وطئهن وهن حيض ، الله أكبر هذا بهتان عظيم وخطب جسيم » .(80)

---

78) روح المعاني ج : 23 ، ص 198 ـ 199

79) محمد أبو شهبة ، الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير . (القاهرة : الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية . 1393هـ ـ 1973م) ، ص : 380

80) الآلوسي : روح المعاني ، ج 23 ص 199

وذكر الآلوسي في معنى الجسد الذي ألقى على كرسي سليمان رواية أخرى ، رواها عن الإمامية عن أبي عبد الله ـ رضي الله عنه ـ أنه ولد لسليمان ابن فقالت الجن والشياطين : إن عاش له ولد لنلقين منه ما لقينا من أبيه من البلاء ، فاشفق ـ عليه السلام ـ منهم فجعله وظئره في السحاب من حيث لا يعلمون فلم يشعر إلا وقد ألقى على كرسيه ميتا تنبيها على أن الحذر لا ينجى من القدر وعوتب على تركه التوكل اللائق بالخواص من ترك مباشرة الأسباب » (81)

وقد رد ابن حزم على ما جاء في قصة فتنة سليمان ـ عليه السلام ـ من روايات فقال:« ولو جاء نص صحيح من القرآن وعن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بتفسير هذا الجسد لقلنا به ، فاذا لم يأت بتفسيره ما هو نص ، ولا خبر صحيح ، فلا يحل لأحد القول بالظن الذي هو أكذب الحديث ، فيكون كاذبا على الله عز وجل إلا لا نشك ألبته في بطلان قول من قال إنه كان جنيا تصور بصورة بل نقطع على أنه كذب ، والله تعالى لا يهتك ستر رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ هذا الهتك ، وكذلك نبعد قول من قال إنه كان ولدا أرسله إلى السحاب لتربيه و فسليمان ـ عليه السلام ـ كان أعلم من أن يربي ابنه لغير ما طبع الله عز وجل بنية البشر عليه من اللبن والطعام، وهذه كلها خرفات مكذوبة لم يصح إسنادها قط » (82)

وليس سليمان وحده الذي تعرض إلى فتنة الشيطان بل هناك أيوب كذلك تعرض إلى هذه الفتنة وهذا ما سأبينه فيما يلي .

81) روح المعاني ج :23 : ص 198

82) الفصل في الملل والاهواء والنحل ج: 4 ص 42

2ـ أيوب وفتنة الشيطان :

من الأنبياء الذين ذكرهم القرآن الكريم أيوب ـ عليه السلام ـ :« وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ . ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ . وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ . وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ » (83)

وقد ذكر السيوطي رواية عن أحمد وابن أبي حاتم وابن عساكر عن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ : « ان الشيطان عرج إلى السماء قال : يا رب سلطني على أيوب عليه السلام ـ قال : « قد سلطتك على ماله وولده ، ولم أسلطك على جسده . فنزل فجمع جنوده فقال لهم قد سلطت على أيوب ـ عليه السلام ـ فأروني سلطانكم ، فصارو نيرانا ، ثم صاروا ماء ، فبينما هم بالمشرق إذا هم بالمغرب ، وبينما هم بالمغرب إذا هم بالمشرق ،فأرسل طائفة إلى زرعه ، وطائفة إلى أهله ، وطائفة إلى بقره ، وطائفة إلي غنمه ، وقال إنه لا يعتصم منكم إلا بالمعروف فأتوه بالمصائب بعضها على بعض ، فجاء صاحب الزرع فقال : « يا أيوب ألم تر إلى ربك أرسل على زرعك عدوا ، فذهب به ، وجاء صاحب الإبل فقال : يا أيوب ألم تر إلى ربك أرسل على ايلك عدوا ، فذهب بها ، ثم جاء صاحب البقر فقال : ألم تر إلى ربك أرسل على بقرك عدوا فذهب بها ، وتفرد هو ببنيه جمعهم في بيت أكبرهم ، فبينما هم يأكلون ويشر بون هبت ريح فأخذت بأركان البيت فألقته عليهم » (84)

---

83) ص : 41.42.43.44

84)الدر المنثور في التفسير بالمأثور ج : 23 ، ص 192

وإذا قارنا هذه الفقرات من الرواية التي ذكرها السيوطي ، بما ورد في العهد القديم نجد المشابهة والمماثلة بينهما مما يدل على أنها من المقالات الإسرائيلية ، وقد ورد في العهد القديم : " وَلَكِن ابْسُطْ يَدَكَ الآنَ وَمَسَّ كُلَّ مَالَهُ فَإِنَّهُ فِي وَجْهِكَ يَجْدِفُ عَلَيْكَ فَقَالَ الرَّبُّ لِلشَّيْطَانِ هُوَ ذَا كُلُّ مَالَهُ فِي يَدِكَ وَإِنَّمَا إِلَيْهِ لاَ تَمُدَّ يَدَكَ ثُمَّ خَرَجَ الشَّيْطَانُ مِنْ أَمَامِ وَجْهِ الرَّبِّ وَكَانَ ذَاتَ يَوْمٍ وَأَبْنَاؤُهُ وَبَنَاتُهُ يَأْكُلُونَ وَيَشْرَبُونَ خَمْرًا فِي بَيْتِ أَخِيهِمْ الأَكْبَرِ أَنَّ رَسُولاً جَاءَ إِلَى أَيُّوبَ وَقَالَ : البَقَرُ كَانَتْ تَحْرُثُ وَالأَتُنُ تَرْعَى بِجَانِبِهَا فَسَقَطَ عَلَيْهَا السَّبَائِيُّونَ وَأَخَذُوهَا وَضَرَبُوا الغِلْمَانَ بِحَدِ السَّيْفِ وَنَجَوْتُ أَنَا وَحْدِي لأُخْبِرَكَ . وَبَيْنَمَا هُوَ يَتَكَلَّمُ إِذْ جَاءَ آخَرُ وَقَالَ : نَارُ اللَّهِ سَقَطَتْ مِنَ السَّمَاءِ فَأَحْرَقَتْ الغَنَمَ وَأَكَلَتْهُم وَنَجَوْتُ أَنَا وَحْدِي لأُخْبِرَكَ . وَبَيْنَمَا هُوَ يَتَكَلَّمُ إِذْ جَاءَهُ آخَرُ وَقَالَ :الكِلْدَانِيُّونَ عَيَّنُوا ثَلاَثَ فِرَقٍ فَهَجَمُوا عَلَى الجِمَالِ وَأَخَذُوهَا وَضَرَبُوا الغِلْمَانَ بِحَدِ السَّيْفِ وَنَجَوْتُ أَنَا وَحْدِي لأُخْبِرَكَ ، وَبَيْنَمَا هُوَ يَتَكَلَّمُ إِذْ جَاءَ آخَرُ فَقَالَ : بَنُوكَ وَبَنَاتُكَ كَانُوا يَأْكُلُونَ وَيَشْرَبُونَ خَمْرًا فِي بَيْتِ أَخِيهِم الأَكْبَرِ وَإِذَا رِيحٌ شَدِيدَةٌ جَاءَتْ مِنْ عِبْرِ القَفْرِ وَصَدَمَتْ زَوَايَا البَيْتِ الأَرْبَعِ فَسَقَطَ عَلَى الغِلْمَانِ فَمَاتُوا وَنَجَوْتُ أَنَا وَحْدِي لأُخْبِرَكَ . فَقَامَ أَيُّوبُ وَمَزَّقَ جُبَّتَهُ وَجَزَّ عَلَى الأَرْضِ وَسَجَدَ وَقَالَ : عُرْيَانًا خَرَجْتُ مِنْ بَطْنِ أُمِّي وَعُرْيَانًا أَعُودُ إِلَى هُنَاكَ (85)

وذكر السيوطي في روايته أن الشيطان قدجاء أيوب في صورة غلام وأخبره بما حدث لأبنائه وكيف اختلطت لحومهم بدمائهم فرد عليه أيوب بقوله : أنت شيطان وقال عندها أيوب أنا كيوم ولدتني أمي فقام يصلي بعد أن حلق رأسه فعند ذلك خرج الشيطان إلى السماء فقال : أي ربي أنه قد اعتصم ، فسلطني عليه ، فإني لا أستطيعه إلا بسلطانك قال : قد سلطتك على جسده ولم أسلطك على قلبه فنزل الشيطان فنفخ تحت قدمه نفخة قرح ما بين قدميه إلى قرنه فصار قرحة

85) أيوب : 1 : 11_12_13_ 14_ 15_ 16_ 17_ 18_ 19_ 20_ 21

واحدة وألقي على الرماد وكانت امرأته هي التي تسعى من أجل إطعامه (86)

وهذه نفس الرواية الواردة في العهد القديم فقد طلب الشيطان من الرب أن يسلطه على جلده فأجابه الرب إلى ذلك وسلطه على عظمه ولحمه : " فَقَالَ الرَّبُّ لِلشَّيْطَانِ هَاهُوَ فِي يَدِكَ وَلَكِنْ احْفَظْ نَفْسَهُ فَخَرَجَ الشَّيْطَانُ مِنْ حَضْرَةِ الرَّبِّ وَضَرَبَ أَيُّوبَ بِقُرُحٍ وَرَدِيٍّ مِنْ بَاطِنِ قَدَمِهِ إِلَى هَامَتِهِ فَأَخَذَ لِنَفْسِهِ شَقْفَةً لِيَحْتَكَّ بِهَا وَهُوَ جَالِسٌ فِي وَسَطِ الرَّمَادِ (87)

وقد ذهب ابن جرير بأن أيوب ـ عليه السلام ـ بعد بلاءه طرح في مزبلة . وكانت امرأته هي التي تسعى عليه فحسده الشيطان على ذلك وكان يأتي أصحاب الخبز والشوى الذي كانوا يتصدقون عليها فيقول:اطردوا هذه المرأة التي تغشاكم على ذلك (88)

وذكر ابن كثير عن أبي سلمة رواية جاء فيها : " كان لأيوب ـ عليه السلام ـ أخوان فجاء يوما فلم يستطيعا أن يدنوا منه من ريحه فقام من بعيد ، فقال أحدهما للآخر: لو كان الله علم من أيوب خيرا ما ابتلاه بهذا ، فجزع أيوب من قولهما جزعا لم يجزع من شيء قط فقال : اللهم إن كنت تعلم أني لم أبت ليلة قط شبعان وأنا أعلم مكان جائع فصدقني فصدق من السماء . وهما يسمعان ثم قال : اللهم إن كنت تعلم أني لم يكن لي قميصا قط وأنا أبدا حتى يكشف عني فما رفع رأسه حتى كشف عنه (89)

---

86) الدر المنثور في التفسير بالمأثور ج:23، ص 192

87) أيوب : 2 :6_7_ 8

88) جامع البيان ج : 23 ص : 168

89) تفسير القرآن العظيم ج (1367هـ ـ 1948م) ج :3 ص : 189

ويعلق عبد الوهاب النجار أن الأقوال الواردة في مرض أيوب مرضا مشوها ومنفرا يتنافى مع منصب النبوة . خاصة وأن علماء التوحيد قرروا بأن الأنبياء منزهون عن الأمراض المنفرة (90)

وهكذا يتضح لنا أن أثر الإسرائيليات في عصمة الأنبياء تضمنت نتائجا خطيرة تمثلت في :

1 ـ عدم صلاحية الأنبياء للاقتداء بهم فهم في درجة أدنى من عامة الناس من الناحية الأخلاقية وفي هذا مصادمة لنصوص الشرع قال تعالى : " أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُل لَّا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ " (91)

2 ـ عدم الوثوق بهم فيما يبلغونه لأن الشيطان له سلطان عليهم وهذا مخالف لقوله تعالى : "وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلاً " (92) والأنبياء أولى من غيرهم بهذا الفضل .

---

90) قصص الانبياء : 350

91) الانعام : 89

92) النساء : 83

الفصل الرابع

الإمـامـــة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول
رأي الفرق في الإمامة

شهدت الأمة بعد وفاة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ اختلافا في مسألة الإمامة، حيث اجتمع الانصار في سقيفة بني ساعدة واتفقوا على تولية سعد بن عبادة ، وقد وقع الإستدراك عليهم من قبل أبي بكر وعمر ـ رضي الله عنهما ـ وأعلمهم أبو بكر بأن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ أخبر أن الأئمة من قريش ، وأخيرا اتفقوا على تولية أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ ثم بايعه الناس بعد ذلك في المسجد عن رغبة ومما قاله في خطبته "وايم‌الله ما حرصت عليها ليلا ولا نهارا ولا سألتها الله قط في سر ولا علانية ، ولقد قلدت أمرا عظيما مالي به طاقة ولابد ، ولو وددت أني وجدت أقوى الناس عليه مكاني ، فأطيعوني ما أطعت الله فإن عصيته فلا طاعة لي عليكم ثم بكى " (1)

واستمرت خلافة أبي بكر سنتين وشهورا ثم مرض مرضه الذي توفي فيه وقد عين عمر للخلافة لكن من الناس من قال : " قد وليت علينا فظا غليظا ، وارتفع الخلاف بقول أبي بكر : لو سألني ربي يوم القيامة لقلت وليت عليهم خيرهم لهم "(2)

واشتغل الناس في زمن عمر ـ رضي الله عنه ـ بالفتوحات ، ففي عهده فتح الله على المسلمين ، وكثرت الغنائم ، وانتشرت الدعوة الإسلامية ، وكان الكل يصدر عن

(1) ابن قتيبة الإمامة والسياسة ، تحقيق : محمد طه الزيني (مؤسسة الحلبي وشركاه) ، ص : 22

(2) الشهرستاني ، الملل والنحل ج : 1 ، ص : 25

رأي عمر ودامت خلافة عمر ـ رضي الله عنه ـ عشر سنين ، وقد قتل ـ رضي الله عنه ـ قبيل صلاة الصبح فترك أمر الخلافة في ستة من الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ وهم : عثمان بن عفان ـ علي بن أبي طالب ـ طلحة بن عبيد الله ـ الزبير بن العوام ـ سعد بن أبي وقاص ـ وعبد الرحمان بن عوف وأمر بحضور ابنه عبد الله في تشاورهم الذي يدوم ثلاثة أيام ، وقد ولي عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ بعد ذلك ومضى النصف الأول من خلافته والناس عنه راضون ، فكان ـ رضي الله عنه ـ يمتاز باللين على عكس عمر الذي كان يتصف بالشدة فلم ينالوا بذلك معه شيئا من الدنيا تأسيا به فمن هذا الجانب كان عثمان أحب إليهم من عمر ، لكن في النصف الثاني من خلافته وقع عليه الاختلاف .

وكان عبد بن سبأ هو الذي أدار الفتنة على عثمان ـ رضي الله عنه ـ فقد ادعى بأنه أخذها بغير حق وبث دعاته ، وكاتب من استفسد من الأمصار وكاتبه . وأخفوا وجههم الحقيقي ، وأظهروا للناس بأنهم الآمرون بالمعروف الناهون عن المنكر ، وقد وضعوا كتبا في عيوب ولاتهم وتبادلوها من مصر لآخر ، فيقول كل مصر إنا لفي عافية مما ابتلي به هؤلاء (3)

وكانت النتيجة أن حوصر عثمان ـ رضي الله عنه ـ في داره وقتل بعد ذلك ، فعقدت البيعة من بعده لعلي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ ، وقد خرج عليه طلحة والزبير بعد أن بايعا إلى مكة وحملت أم المؤمنين عائشة ـ رضي الله عنها ـ إلى البصرة ، ورفض معاوية وكان واليا على الشام المبايعة مدعيا بأن علي ـ رضي الله عنه ـ تهاون في أمر قتلة عثمان ، وبعد ذلك حدث القتال أولا بين علي من جهة وطلحة

(3) حمدي عبد العال . السبئيون منهجا وغاية (دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع) ، ص ١٢٠

والزبير وعائشة من جهة ثانية وقد عرفت تلك الموقعة بحرب الجمل ، فأما الزبير فقتله ابن جرموز وقت انصرافه ، وأما طلحة فرماه مروان بن الحكم بسهم وقت الإعراض وحقيقة الأمر بأن طلحة والزبير قد رجعا وتابا

ثم نشب الصراع بعد ذلك بين علي ومعاوية حيث وقع بينهما القتال في صفين وكانت نتائجه وخيمة : " انبثق أول شقاق سياسي خطير من النزاع على زعامة الأمة الإسلامية ، بين مرشحين قويين متنافسين على الخلافة ، هما علي بن أبي طالب الخليفة الرابع وصهر النبي ، ومعاوية والي الشام ومؤسس السلالة الأموية"(4)

رأي الخوارج في الإمامة :

وعندما مال النصر إلى كفة علي ـ رضي الله عنه ـ ، نجد أن معاوية ـ رضي الله عنه ـ قد لجأ إلى حيلة جعلت علي يقبل بوقف القتال ، والقبول بالتحكيم : "وذكروا أن أهل العسكرين باتوا بشدة الألم ، ونادى علي أصحابه فأصبحوا على راياتهم ومصافتهم ، فلما رآهم معاوية وقد برزوا للقتال ، قال لعمرو بن العاص : ياعمرو ، ألم تزعم أنك ما وقعت في أمر قط إلا خرجت منه ؟ قال . بلى . قال : أفلا تخرج مما ترى ؟ قال : والله لأدعونهم إن شئت إلى أمر أفرق به جمعهم ، ويزداد جمعك إليك إجماعا ، إن أعطوك اختلفوا ، وإن منعوكه اختلفوا ، قال معاوية: ما ذاك ، قال عمرو : تأمر بالمصاحف فترفع ثم تدعوهم إلى ما فيها " (5)

وهذا التحكيم أدى اخفاق علي ـ رضي الله عنه ـ ، بأن تمرد عليه فريق من أتباعه عرفوا بعد ذلك باسم الخوارج ، والعجب أنهم كانوا من المتشبثين بقضية

(4) ماجد فخري ، تاريخ الفلسفة الإسلامية ، ص : 71

(5) ابن قتيبة والسياسة ص : 101

التحكيم والداعين إليها . فلما تم لهم ذلك ، كانوا أول المنكرين والخارجين : " وحملوا عليا على قبول التحكيم ، وقبل أن يتيب عنه أبا موسى الأشعري ، ولم يقبلوا التريث حتى تتم لهم الغلبة على أهل الشام ، كما لم يقبلوا أن يختار علي نائبه كما اختار معاوية نائبه ؟ فلما أذعن لهم علي وأصحاب علي وقبلوا كل ما طلبوه إليه ، وتمت مهزلة التحكيم راحوا يعلنون كفر علي وكفر من قبل تحكيم الرجال ، ولم تنجح في هؤلاء القوم حجج المحتجين ولانصيحة الناصحين " (6)

وهكذا نجد أن فرقة الخوارج ظهرت في أواخر حرب صفين ، وهؤلاء كانوا في بداية أمرهم من شيعة علي ـ رضي الله عنه ـ

ويذكر الشهرستاني بأن علي ـ رضي اله عنه ـ قاتلهم مقاتلة شديدة فما انفلت منهم إلا أقل من عشرة وفي مقابل ذلك ما قتل من المسلمين إلا أقل من عشرة ، وهؤلاء الذين انفلتوا من الخوارج إلتجأ اثنان منهم إلى عمان واثنان إلى كرمان واثنان إلى سجستان . واثنان إلى الجزيرة ، وواحد إلى تل موزون . وفي هذه المواضع ظهرت بدع الخوارج . (7)

وذهبت الخوارج إلى تكفير علي ومعاوية والحكمين : " زعمت الخوارج أن تحكيم أبي موسى وعمرو بن العاص كان كفرا من علي ومعاوية وأن الحكمين كفرا بما صنعا " (8)

---

(6) محمد محيي الدين عبد الحميد . مقدمة في نشأة النحل ج : 1 . ص : 13 ، من تقديمه لكتاب الأشعري مقالات الإسلاميين

(7) الملل والنحل . ج : 1 . ص : 171

(8) البغدادي . أصول الدين . ص 292

والخوارج تقر بإمامة أبي بكر وعمر ، وعثمان قبل الأحداث وعلي قبل التحكيم:

" والخوارج بأسرها يثبتون إمامة أبي بكر وعمر وينكرون إمامة عثمان ـ رضوان عليهم ـ في وقت الأحداث التي نقم عليه من أجلها ، ويقولون بإمامة علي قبل أن يحكم ، وينكرون إمامته لما أجاب إلى التحكيم " (9)

وقالت الخوارج بالإمامة في غير قريش :" وزعمت الخوارج أن الإمامة صالحة في كل صنف من الناس وإنما هي للصالح الذي يحسن القيام بها ولهذا بايعوا نافع بن الأزرق ثم لقطري بن الفجاءة ولنجدة وعطية وليس واحد منهم من قريش " (10)

كما أظهرت الخوارج قولها في مرتكب الكبيرة بحيث قالت بتخليده في النار :

"فقالوا : أن الأعمال جزء مكمل للإيمان ، فمن يرتكب ذنبا أي كبيرة من الكبائر يعتبر مرتدا ، بل لقد أوجبت الأزارقة قتله مع أولاده ونسائه ." (11)

رأي الشيعة في الإمامة :

كما ظهرت فئة شايعت الإمام علي ـ رضي الله عنه ـ ، وقال هؤلاء بأن علي هو صاحب الحق الشرعي واطلقوا عليه الإمام وزعموا بأن حق الخلافة ينحصر في ذريته ، وأن الإمام هو المرجع الموثوق به في تأويل الشريعة :" إنه بعد الفشل الذي مني به أتباع علي بن أبي طالب في المعركة السياسية التي وقعت بعد وفاة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ محمد مباشرة ، وخاصة بعد اليأس الذي تسرب إليهم من

(9) الأشعري ، مقالاتالإسلاميين ج : 1 ، ص : 189

(10) البغدادي ، أصول الدين ، ص : 275

(11) محمد أبو ريان ، تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام ، ص : 127 ـ 61

تولي الخلافة كما قلنا ، لم يجدوا في الأفق سوى فكرة الإمامة يطلعون بها ويردون على أعدائهم انتقاما وثأرا وهي أعظم من الخلافة الزمنية وأوسع صلاحية ومقاما(12) وادعت الشيعة أن اختيار الإمام لا يكون بالمبايعة إنما يكون بالنص ،أي أنهم دعوا إلى حكم فردي مطلق ، وعارضوا بذلك الإختيار الذي تم به تولي الخلفاء الثلاثة : أبي بكر ـ عمر ـ وعثمان ـ رضي الله عنهم ـ وقالوا بأن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد نص بالخلافة لعلي بن أبي طالب .

ويذكر الشهرستاني بأن الذين قالوا بالنص في الإمامة اختلفوا بعد علي ـ رضي الله عنه ـ فيمن تكون له الإمامة ، فهناك من ذهب إلى أنه نص على ابنه محمد بن الحفية وهؤلاء يطلق عليهم الكيسانية (13) ، ثم قالوا أن الإمامة بعد محمد بن الحنفية انتقلت إلى إبنه أبي هاشم ، ثم وقع الاختلاف فمنهم من قال أن الإمامة بقيت في عقبه وصية بعد وصية ، وهناك من قال أنها انتقلت إلى غيره ثم اختلفوا في هذا الغير ، أما الفريق الثاني فقد قالوا بالنص على الحسن والحسين ـ رضي الله عنهما ـ ثم انقسموا إلى طائفتين : واحدة تقول أن الإمامة في أولاد حسن ، والأخرى ترى أنها في أولاد الحسين زين العابدين نصا عليه ، ثم اختلفوا بعده فالزيدية قالت بإمامة ابنه زيد ، أما الإمامية فقالوا بإمامة محمد بن علي الباقر نصا عليه ، ثم حدث الاختلاف في أولاده: فالمنصوص عنهم عددهم خمسة وهم : محمد

(12) عارف تامر ، الإمامة في الإسلام (بيروت : دار الكتاب العربي)، ص 16 .

(13) أتباع كيسان مولى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وقيل تلمذ للسيد محمد بن الحنفية ـ رضي الله عنه ـ يعتقدون فيه اعتقادات فوق حده ودرجته ، من إحاطته بالعلوم كلها واقتباسه الأسرار بجملتها من علم التأويل والباطن وعلم الآفاق والأنفس والشهرستاني ، الملل والنحل ج : 1 ، ص : 147

وإسماعيل وعبد الله وموسى وعلي ، فمنهم من قال بإمامة محمد وهم العمارية ، ومنهم من قال بإمامة إسماعيل وهم المباركية ، ومنهم من ساق الإمامة في أولاده نصا بعد نص ، وهم الإسماعيلية ، ومنهم من قال بإمامة عبد الله الأفطح ، والذين توقفوا في موته هم المطمورية ، أما الذين قطعوا بموته فهم القطعية ، وهؤلاء اختلفوا في كل ولد بعده فالإثنا عشرية ساقوا الإمامة إلى الحسن العسكري (14)

وعبد الله بن سبأ الذي أدار الفتنة في عهد عثمان ـ رضي الله عنه ـ كما ذكرت سابقا ، هو الذي أظهر القول بالنص في الإمامة : « زعموا أنه كان يهوديا فأسلم ، وكان في اليهودية يقول في يوشع بن نون وصي موسى ـ عليهما السلام ـ مثل ما قال في علي ، وهو أول من أظهر القول بالنص بإمامة علي ومنه انشعبت أصناف الغلاة». (15)

وكان للمذهب القائل بالنص في إمامة علي ـ رضي الله عنه ـ آثار خطيرة ، فقد زعم بعض الغلاة أن الخلفاء الثلاثة اغتصبوا حق علي وطعنوا في إمامتهم ، وزعموا أن علي ورث العلم النبوي الخاص الذي لم يطلع عليه غيره ، ويذكر علي سامي النشار بأن هناك من الشيعة في الكوفة من آمن بأن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ترك لعلي كتبا خاصة : " آمن الشيعة بأن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ترك لعلي كتبا خاصة ، ثم حددت الشيعة المتأخرة هذه الكتب بالكتب التالية : مصحف فاطمة ، وعلى هامشه علم ما كان وما يكون وما هو كائن ، وقد أملاه النبي على وصيه صاحب الأمر بعده ، وكتاب الجفر الجامع أو الجامعة وفي هذه الجامعة صحف الأنبياء ، ففيه صحيفة آدم أورثها لابنه شيث فأضاف إليها ، ثم إدريس ، ثم صحف

(14) الملل والنحل ، ج : 1 ، ص : 28 ـ 29

(15) نفس المرجع ، ج : 1 ، ص : 174

إبراهيم وموسى وعيسى ، ثم خاتم النبيين محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وصحفه ، وقد أورث محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ هذا إلى علي خاتم الأوصياء ثم كنّا بان آخران هما الجفر الأبيض ، والجفر الأحمر ، أما الجفر الأحمر فهو خاص بالقائم ، كيف يقضي بالسيف على أعدائه ، أما الأبيض ففيه جزءان ، كتب الأنبياء وصحفهم ثم الحلال والحرام ، ثم تفسير الإسم الأعظم وأسراره والصحيفة " (16)

والقول بالنص في الإمامة يعني كذلك القول بأن الإمامة أمر إلاهي يتم بالوصية والتعيين والوحي ، ويعني كذلك تفويضا مطلقا للإمام في رعيته ، في مقابل ذلك سلب الأمة سلطة تعيين الإمام ، وهذا في الحقيقة هو الإنقلاب الذي أحدثه عبد الله بن سبأ بفكرة الإمامة والذي لاتزال الأمة تعاني آثاره حتى الآن ، ومن جهة ثانية فقد استطاع ابن سبأ تحويل فكرة الإمامة من الفرعيات إلى مسألة أصولية عقدية ، فرضت نفسها على التاريخ الديني للإسلام ، وأصبحت من أهم مباحث علم الكلام ، وبحث كل فريق عن الأدلة المؤيدة لمذهبه حتى وصل الحال ببعض الغلاة إلى الوضع في الأحاديث النبوية لنصرة مذاهبهم . (17)

رأي المرجئة في الإمامة :

يذهب محمد علي أبوريان بأن المرجئة نشأت في هذه الفترة التي ظهرت فيها الخوارج والشيعة حيث قال : " وقد نشأت المرجئة في هذه الفترة وأصحابها لا يكفرون أحدا بذنب بل يتركون أمر هؤلاء وأولئك إلى الله سبحانه وتعالى الذي يعلم

(16) نشأة الفكر الفسفي في الإسلام ، ج : 2 ، ص : 43

(17) حمدي عبد العال ، السبئيون منهجا وغاية ص : 43

أسرارهم ويطلع على خفايا صدورهم " .(18)

وقرر المرجئة عدم التبرأ من أصحاب عثمان ، وأصحاب علي : " كثر الجدل في أواخر عهد عثمان بن عفان حول طبيعة حكمه وقميته ، ثم اختصم الناس حول مغزى قتله وشرعيته أو عدم شرعيته فشك المرجئة في موقع الحق وقالوا : نحن لا نتبرأ من أصحاب عثمان ، ولا من أصحاب علي ولا نلعنها ، ولا نشهد بينهما ، ونرجئ أمرهما إلى الله حتى يكون الله تعالى هو الذي يحكم بيننا " (19)

لكن المرجئة لم تتكون كمذهب إلا بعد أن ظهر الخوارج والشيعة وكانوا في بداية الأمر مذهب سياسي ثم حدث وأن بحثوا في أمور عقدية : " وهذه النزعة إلى عدم الدخول في الحروب بين المسلمين بعضهم وبعض هي الأساس الذي بني عليه مذهب الإرجاء ولكنه لم يتكون كمذهب إلا بعد ظهور الخوارج والشيعة .

وبعد أن كان مذهبا سياسيا أصبح بعديبحث في أمور لا هوتية وكانت نتيجة بحثهم تتفق ورأيهم السياسي فأهم ما بحثوا فيه تحديد الإيمان والكفر والمؤمن والكافر وقد دعا إلى هذا البحث أنهم رأوا الخوارج يكفرون من عداهم ،الشيعة كذلك غلا الخوارج فعدوا كل كبيرة كفرا ، وغلت الشيعة فعدوا الإعتقاد بالإمام ركنا أساسيا من أركان الإيمان " (20) واعتقدوا برجعتهم وهذا ما سأبينه في المبحث التالي :

---

(18) تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام : 128

(19) عادل العوا الكلام والفلسفة الطبعة الثانية (مطبعة جامعة دمشق 1384 هـ-1964م) ، ص : 32

(20) أحمد أمين ، فجر الإسلام ، الطبعة العاشرة ، (بيروت لبنان : دار الكتاب العربي ، 1969 م) و ص : 280 ـ 281

المبحث الثاني
رجعة الأئمة

أول من بث قضية الرجعة في الفكر الإسلامي هو عبد الله بن سبأ الذي قال برجعة علي ـ رضي الله عنه ـ : "فلما قتل علي ـ رضي الله عنه ـ زعم ابن سبأ أن المقتول لم يكن عليا وإنما كان شيطانا تصور للناس في صورة علي ، وأن عليا صعد إلى السماء كما صعد إليها عيسى بن مريم ـ عليه السلام ـ وقال : كذبت اليهود والنصارى في دعواهم قتل عيسى كذلك كذبت النواصب والخوارج في دعواها قتل علي ، وإنما رأت اليهود والنصارى شخصا مصلوبا شبهوه بعيسى ، كذلك القائلون بقتل علي رأوا قتيلا يشبه عليا فظنوا أنه علي ، وعلي قد صعد إلى السماء ، وأنه سينزل إلى الدنيا وينتقم من أعدائه " (21)

والقول بالرجعة لبعض الناس بأجسادهم إلى الحياة كان موجودا في الفكر اليهودي : "وعندهم الكاهن عزرا أو عزير كاتب شريعة موسى الذي عاد بعد موته بمائة عام وكذلك هارون أخو موسى فقد آمنوا برجعته واستئنافه الحياة من جديد"(22)

والرجعة عبارة عن تناسخ ترجع فيه الروح إلى نفس الجسم ، لذلك سنوجز في بيان عقيدة التناسخ في الفكر البشري .

---

(21) البغدادي ، الفرق بين الفرق ، ص : 323 ـ 324

(22) رؤوف عبيد ، في العودة للتجسد بين الإعتقاد والفلسفة والعلم ، الطبعة الثالثة (دار الفكر العربي 987 م) ، ص : 76 ـ 77

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تناسخ الأرواح في الفكر البشري :

تعرف هذه العقيدة بعدة أسماء منها سمسارا ، وتجوال الأرواح ويطلق عليها أيضا التناسخ ، وسبب التناسخ هو أن الروح خرجت من الجسم ولم تشبع جميع أعمالها فمتى أدت ما عليها دون أن تترك آثارا إيجابية أو سلبية نجت من تكرار المولد ، فهذه العقيدة تجعل السلبية خيرا من الأعمال الصالحة ، لأن الأعمال الصالحة يجازى عليها في حيوات لاحقة وكذلك بالنسبة للأعمال السيئة ، ونجد أن التناسخ من أهم عقائد الفكر البرهمي الذي يعتقد أن هناك الملايين من الأرواح انتقلت من نوع إلى نوع ، ومن جسم لآخر ، وقد شرح هذه العقيدة "مانوسمرتي" في قوانينه في الباب الثاني عشر ، كما تحدثت عنها أسفار اليوبانيشاد .

والتساؤل الذي يطرح هل أن عقيدة التناسخ نشأت في الهند ، أم أنها من الثقافات الأخرى التي وفدت إلى الهند بمعنى آخر هل كان مصدرها دارفيدي أم كلداني ؟ للإجابة على هذا التساؤل نشير أن بعض الدراسات الأثرية قد كشفت أن هذه العقيدة كانت موجودة في الحضارة المصرية القديمة : " كما تحوي ورقة بردى أنانا التي ترجع إلى سنة 1320 ق . م العبارة الآتية . الإنسان يعود ثانية إلى الحياة عدة مرات لكنه لا يذكر حيواته السابقة ، إلا في الحلم أحيانا أو كفكرة مرتبطة بحادثة سابقة ، ولا يمكنه أن يحدد زمان هذه الحادثة أو مكانها لكنه يعلم فحسب أنها حادثة مألوفة عنده وفي النهاية ستتكشف له كل حيواته المختلفة (23)

وهكذا نجد أن الفكر المصري القديم آمن بعقيدة التناسخ كما وجدت هذه العقيدة عند الإغريق فقد كان فيثاغورس يقول بأنه رجع عدة مرات على الأرض ،

---

(23) رؤوف عبيد ، في العودة للتجسد بين الإعتقاد والفلسفة والعلم ، ص :

وبها قال أشهر فلاسفة الإغريق كسقراط وأفلاطون ، وعن طريق الإغريق أنتشرت هذه العقيدة عند الرومان ، ووجدت كذلك عند اليهود ، فقد أعتقدوا برجعة عزير و هارون :

"وأما جواز الرجعة فقد وقع لهم من أمرين : أحدهما : حديث عزير ـ عليه السلام ـ إذ أماته الله مائة عام ثم بعثه ، والثاني حديث هارون ـ عليه السلام ـ مات في التيه ، وقد نسبوا موسى إلى قتله بألواحه ، قالوا : حسده ، لأن اليهود كانوا أميل إليه منهم إلى موسى ، واختلفوا في حال موته فمنهم من قال إنه مات وسيرجع ومنهم من قال : غاب وسيرجع " (24)

كذلك قال النصارى برجعة عيسى ـ عليه السلام ـ ، فالعهد الجديد يذكر أن المسيح ـ عليه السلام ـ بعد صلبه قام في اليوم الثالث من بين الأموات ، وقد حذر الفريسيون والكهنة الملك الروماني الذي صلب المسيح ، وطلبوا منه حراسة القبر ، فأمرهم بأخذ الحرس والذهاب إلى حراسة القبر : "وَبَعْدَ السَّبْتِ عِنْدَ فَجْرِ أَوَّلِ الأُسْبُوعِ جَاءَتْ مَرْيَمُ الْمَجْدَلِيَّةُ وَمَرْيَمُ الأُخْرَى لِتَنْظُرَ الْقَبْرَ وَ إِذَا زَلْزَلَةٌ عَظِيمَةٌ حَدَثَتْ . لأَنَّ مَلاَكَ الرَّبِّ نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ وَجَاءَ وَدَحْرَجَ الْحَجَرَ عَنِ الْبَابِ وَجَلَسَ عَلَيْهِ . وَكَانَ مَنْظَرُهُ كَالْبَرْقِ وَلِبَاسُهُ أَبْيَضَ كَالثَّلْجِ فَمِنْ خَوْفِهِ ارْتَعَدَ الْحُرَّاسُ وَصَارُوا كَأَمْوَاتٍ فَأَجَابَ الْمَلاَكُ وَقَالَ لِلْمَرْأَتَيْنِ لاَتَخَافَا أَنْتُمَا ، فَإِنِّي أَعْلَمُ أَنَّكُمَا تَطْلُبَانِ يَسُوعَ ، لَيْسَ هُوَ هَاهُنَا لأَنَّهُ قَامَ كَمَا قَالَ " (25)

وأمرهما الملاك أن يهمرعا بإخبار تلاميذه بذلك ، وبينما هما في الطريق ظهر لهم المسيح ـ عليه السلام ـ فسجدتا له ، وأمرهما أن يخبرا تلاميذه أن يذهبوا إلى

(24) الشهرستاني ، الملل والنحل ، ج : 1 ، ص : 212
(25) متى : 38 : 1 ـ 2 ـ 3 ـ 4 ـ 5 ـ 6

الجليل وهناك يرونه : " وَأَمَّا الأَحَدَ عَشَرَ تِلْمِيذًا فَانْطَلَقُوا إِلَى الْجَلِيلِ حَيْثُ أَمَرَهُمْ يَسُوعُ . وَلَمَّا رَأَوْهُ سَجَدُوا لَهُ وَلَكِنْ بَعْضُهُمْ شَكُّوا . فَتَقَدَّمَ يَسُوعُ وَكَلَّمَهُمْ قَائِلاً . دُفِعَ إِلَيَّ كُلُّ سُلْطَانٍ فِي السَّمَاءِ وَعَلَى الأَرْضِ . فَاذْهَبُوا وَتَلْمِذُوا جَمِيعَ الأُمَمِ وَعَمِّدُوهُمْ بِاسْمِ الآبِ وَالإِبْنِ وَالرُّوحِ الْقُدُسِ . وَعَلِّمُوهُمْ أَنْ يَحْفَظُوا جَمِيعَ مَا أَوْصَيْتُكُمْ بِهِ . وَهَا أَنَا مَعَكُمْ كُلَّ الأَيَّامِ إِلَى انْقِضَاءِ الدَّهْرِ " (26)

وفي إنجيل يوحنا نلاحظ إشارة يفهم منها عودة المسيح ـ عليه السلام ـ بعد أن التقى بتلاميذه ، وذلك عندما سأله بطرس : " فَلَمَّا رَأَى بُطْرُسُ هَذَا قَالَ لِيَسُوعَ يَا رَبُّ وَهَذَا مَالَهُ. قَالَ لَهُ يَسُوعُ إِنْ كُنْتُ أَشَاءُ أَنَّهُ يَبْقَى حَتَّى أَجِيءَ فَمَاذَا لَكَ ، اتْبَعْنِي أَنْتَ . فَذَاعَ هَذَا الْقَوْلُ بَيْنَ الإِخْوَةِ إِنَّ ذَلِكَ التِّلْمِيذَ لاَ يَمُوتُ ، وَلَكِنْ لَمْ يَقُلْ لَهُ يَسُوعُ إِنَّهُ لاَ يَمُوتُ بَلْ إِنْ كُنْتُ أَشَاءُ أَنَّهُ يَبْقَى حَتَّى أَجِيءَ فَمَاذَا لَكَ " (27)

والمسيح ـ عليه السلام ـ بعد أن كلم تلاميذه صعد إلى السماء ليجلس عن يمين الله :

"ثُمَّ إِنَّ الرَّبَّ بَعْدَمَا كَلَّمَهُمْ ارْتَفَعَ إِلَى السَّمَاءِ وَجَلَسَ عَنْ يَمِينِ اللَّهِ " (28)

الرجعة في الفكر الإسلامي :

قلنا فيما سبق أن القول بالرجعة في الفكر الإسلامي يرجع إلى رجل يهودي اسمه عبد الله بن سبأ ، وأن هذه العقيدة وجدت كذلك عند النصرانية .

(26) متى : 30 : 16 ـ 17 ـ 18 ـ 19 ـ 20
(27) يوحنا : 21 : 21 ـ 22 ـ 23
(28) مرقس : 16 : 19

إذن فهذه العقيدة سواء دخلت إلى الفكر الإسلامي من مصدر يهودي أو نصراني فمرجعها إلى الإسرائيليات التي حاولت تشويه هذا الفكر الناصع . " وفكرة الرجعة ذاتها ليست من وضع الشيعة أو من عقائدهم التي اختصوا بها ويحتمل أن تكون قد تسربت إلى الإسلام عن طريق المؤثرات اليهودية والمسيحية فعند اليهود والنصارى أن النبي إيليا قد رفع إلى السماء وانه لابد أن يعود إلى الأرض في آخر الزمان لإقامة دعائم الحق والعدل ، ولاشك أن إيليا هو الأنموذج الأول لأئمة الشيعة المختفين الغائبين الذين يحيون لا يراهم أحد ، والذين سيعودون يوما كمهديين منقذين للعالم " (29) ومن الذين قالوا بالرجعة في الفكر الإسلامي أتباع عبد الله بن سبأ ، وهم من غلاة الروافض زعموا أن علي حي لم يمت وسينزل من السماء وهو المهدي المنتظر

وقد ذكر البغدادي بأنهم زعموا أن عليا في السحاب ، وأن الرعد صوته ، والبرق صوته ومن سمع منهم صوت الرعد ، قال عليك السلام يا أمير المؤمنين ، وبين المحققون من أهل السنة بأن ابن السوداء هذا كان على هوى دين اليهود وأتباع ابن سبأ يزعمون كذلك أن المقتول ليس علي - رضي الله عنه - بل هو شيطان تصور للناس في صورته ، فعلى هذا الأساس يستحق ابن ملجم المدح لا الذم لأنه قام بقتل الشيطان ، وهذا من بين المآخذ عليهم ، ثم إذا سلمنا معهم أن علي - رضي الله عنه - كان في السحاب ، وأن الرعد والبرق صوته ، وكما نعلم أن صوت الرعد والبرق كان موجودا قبل زمن علي فكيف نفسر ذلك

وابن سبأ هذا أظهر بدعه في زمن علي - رضي الله عنه - فلما هم علي بقتله نهاه ابن عباس عن ذلك ، وبين له أن قتله يؤدي إلى اختلاف اتباع علي ، وهو عازم

---

(29) أجناس جولدتسيهر ، العقيدة والشريعة في الإسلام - نقله وعلق عليه محمد يوسف موسى ، عبد العزيز عبد الحق ، علي حسن عبد القادر . (بيروت لبنان - : دار الرائد العربي) ص : 192

على العودة لقتال أهل الشام ، فقام علي بنيفه إلى المدائن ، وهناك قام بفتنة العوام من الناس وذلك بعد أن قتل علي -رضي الله عنه- فقال لهم : لينبعن لعلي في مسجد الكوفة عينان تفيض احداهما عسلا والأخرى سمنا . (30)

ونشط ابن سبأ في دعوته بعد قتل علي - رضي الله عنه - ، وقد أحاط دعوته بالسرية التامة وربما يكن ذلك من الأسباب التي أدت إلى اختفاء تاريخ ميلاده عند المؤرخين ، وفي حقيقة الأمر هذا هو منهج الفكر اليهودي في الكيد وبث السموم ، والتاريخ الطويل يقدم لنا الأدلة الدامغة والشواهد البينة على هذا المنهج ، وما فعله بولس الرسول من تحريف للنصرانية التي جاء بها عيسى - عليه السلام - شاهد على ذلك ، بحيث كان هذا الرجل متعصبا ليهوديته ، كما كان من ألد أعداء المسيح - عليه السلام - في حياته لكن بعد وفاة عيسى - عليه السلام - تظاهر بالدخول في النصرانية واستطاع أن يغير جوهرها وهو صاحب دعوة نبوة المسيح - عليه السلام - لله عز وجل ، وذلك بعد ادعاءه بأن نورا من السماء أبرق له حينما اقترب من دمشق وكلمه المسيح ، وبعد حديث دار بينهما دخل في هذا الدين ورفع لواءه : " وَلِلْوَقْتِ جَعَلَ يَكْرِزُ فِي الْمَجَامِعِ بِالْمَسِيحِ أَنَّ هَذَا هُوَ ابْنُ اللهِ " . (31)

فهذا المنهج نفسه هو الذي سار عليه ابن سبأ لكن هناك قلة من الباحثين شككت في وجود شخصية ابن سبأ أصلا ومن بين هؤلاء طه حسين الذي يذهب على فرض وجوده أنه لم يكن له دخل في صنع الأحداث ويمكن أن يكون قد استثمرها ، إنما الصانع الحقيقي لها فيرجع إلى عودة العصبية القبلية بين المسلمين . (32)

---

(30) الفرق بين الفرق ، ص : 225 - 226

(31) لوقا : أعمال الرسل : 9 : 30

(32) حمدي عبد العال ، السبئيون منهجا وغاية ، ص : 15

ويذكر علي ساسي النشار بعد أن ناقش ما قيل حول شخصية ابن سبأ : "ولا يهمنا أبدا إذا كانت هذه الشخصية قد ظهرت أم لم تظهر وإنما ما يهمنا أن نقرره أن المجامع اليهودية من ناحية ، والغنوصية من ناحية أخرى وجدت في انقسام المسلمين إبان ذلك الوقت فرصة لا تعوض لإلقاء بذور الفتنة بينهم فألقت في مجمع الكوفة والمدائن بآراء يمكننا أن نطلق عليها الآراء السبأية سواء أكان صاحب الإسم حقيقة أم أكذوبة " (33)

ومن الذين قالوا بالرجعة أيضا الكيسانية الذين انتظروا رجعة محمد بن الحنفية ، وزعموا أنه حي محبوس بجبل رضوى إلى أن يؤذن له بالخروج ، وافترقوا في السبب الذي من أجله حبس ، ففريق منهم فوض علم ذلك لله تعالى فهو وحده سبحانه الذي يعرف السبب ، أما الفريق الآخر فيرى أن سبب ذلك يتمثل في العقاب له على خروجه بعد مقتل الحسين بن علي إلى يزيد بن معاوية حيث طلب منه الأمان وأخذ عطاءه وعدم مقاتلته لابن الزبير وهروبه منه ، والتجاءه إلى عبد الملك بن مروان فهذه الأمور تعد في نظرهم معصية استحق عليها العقاب ونجد أنه قد رجع في طريقه إلى عبد الملك بن مروان إلى الطائف ، ثم قصد إلى الذر فلما وصل إلى جبل رضوى زعم المنتظرون له أن الله تعالى حبسه ، ويبقى هناك مغيب عن أعين الناس حتى يؤذن له بالخروج وهو في اعتقادهم المهدي المنتظر . (34)

وهكذا يتضح لنا أن السبأية والكيسانية يتفقان على القول بالرجعة : "وتتفق الطائفتان في القول بالرجعة ، أي رجعة الإمام ، إلا أن السبأية يقولون بعودة الإمام من مقره السماوي ، على حين ترى الكيسانية أن الإمام لا يعلم حتى ساعة

(33) نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام ، ص : 39

(34) البغدادي ، الفرق بين الفرق ، ص 37 ـ 38

ظهوره"(35)

ومن الذين قالوا بالرجعة المحمدية وهم من الإمامية ، وهؤلاء ينتظرون محمد بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، ويزعمون أنه لم يمت ، وهو حي في جبل حاجز من ناحية نجد ، وإنه يقيم هناك إلى أن يؤذن له في الخروج . (36)

وزعم المغيرة بن سعيد العجلي (37) بأن محمد بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب هو المهدي المنتظر ، واستدل بأن اسمه محمد كإسم رسول الله ـ صلى الله عليه سلم ـ ، واسم أبيه كإسم أبي رسول الله عليه السلام . وقد وقع الاختلاف بين المغيرية بعد مقتل محمد بن عبد الله بن الحسن بن علي ، فأقر فريق بموته وبذلك تبرؤوا من المغيرة بن سعيد العجلي الذي ادعى بأنه المهدي الذي يملك الأرض ، وفريق ثاني قال بأنه غاب وهو في جبل حاجز وسيرجع حين يؤمر بالخروج ، وعندما يخرج يملك الأرض ، وتعقد له البيعة في مكة بين الركن والمقام . (38)

ونجد هؤلاء قالوا بأن الذي قتل ليس هو محمد بن عبد الله بن الحسن بن علي إنما هو شيطان تصور في صورته ، بناء على هذا فلماذا لا يسلمون فيما ذهبت إليه السبأية بأن ابن ملجم لم يقتل علي إنما قتل شيطانا تصور في صورته وبذلك ينتظرون رجعة علي ، ومن فرق الإمامية المعتقدة بالرجعة كذلك الباقرية الذين قرروا بأن الإمامة كانت في أولاد علي إلى أن انتهى الأمر إلى محمد بن علي بن الحسين

---

(35) فان فلوتن ، السيادة العربية والشيعة والإسرائيليات في عهد بني أمية ، الطبعة الثانية ، ترجمة عن الفرنسية وعلق عليه حسن إبراهيم حسن ، (مكتبة النهضة المصرية) ، ص : 82

(36) الإسرافيني : التبصير في الدين ، ص : 21

(37) وكان المغيرة مولى لخالد بن عبد الله القسري رادعى الإمامة لنفسه بعد الإمام محمد وبعد ذلك إدعى النبوة لنفسه واستحل المحارم وغلا في حق علي ـ رضي الله عنه ـ غلوا لا يعتقده عاقل ، وزاد على ذلك قوله بالتشبيه . الشهرستاني الملل والنحل ، ج : 1 ، ص : 177

(38) البغدادي ، الفرق بين الفرق ، ص : 42 ـ 44

الباقر ، وزعموا أنه لم يمت وهم ينتظرون رجعته ، أما النوبختية فقد ساقوا الإمامة في أولاد علي إلى جعفر بن محمد الصادق وادعوا بأنه المهدي المنتظر ، وذهبت الشمطية أن الإمامة صارت من جعفر إلى ابنه محمد وهي تدور في أولاده والمنتظر واحد منهم ، وخالفتهم الموسوية بأن قالت بانتقال الإمامة من جعفر إلى ابنه موسى ، وإنه حي لم يمت وزعموا أنه دخل دار الرشيد ولم يخرج منها ، أما القطعية فذهبت إلى القول بموت موسى بن جعفر ، وأن المهدي المنتظر هو محمد بن عبد الله بن الحسن بن علي بن محمد بن علي الرضا بن موسى الكاظم وهؤلاء يطلق عليهم الإثني عشرية لأنهم ادعوا أن الإمام المنتظر هو الثاني عشر من أولاد علي بن أبي طالب . (39)

والإثنا عشرية زعموا أن الثاني عشر من أئمتهم دخل في سرداب بدارهم في الحلة ، وتغيب حين تم اعتقاله مع أمه ، وهم يعتقدون بغيبته هناك وأنه سيخرج في آخر الزمان فيملأ الأرض عدلا ، وقد استشهدوا على رجعته بما ورد في القرآن من قصة أصحاب الكهف ، والذي مر على قرية وقتيل بني إسرائيل حين ضرب بعظام البقرة التي أمروا بذبحها ومثل ذلك من الخوارق التي وقعت على طريق المعجزة.(40)

وهناك من ذهب من الغلاة إلى جانب القول برجعة الأئمة إلى القول بحلول الجزء الإلاهي في هؤلاء الأئمة : « وهو قول يوافق مذهب النصارى في عيسى - صلوات الله عليه - ولقد حرق علي - رضي الله عنه - بالنار من ذهب فيه إلى ذلك ، وسخط محمد بن الحنفية المختار بن أبي عبيد لما بلغه مثل ذلك عنه، فصرح بلعنته

(39) الإسرايني ، التبصير في الدين ، ص : 22 - 23

(40) عبد الرحمان بن خلدون ، المقدمة الطبعة الخامسة (بيروت لبنان - :دار الرائد العربي ، 1402 هـ 1982م) ، ص : 119

والبراءة منه ،وكذلك فعل جعفر الصادق رضي الله تعالى عنه بمن بلغه مثل هذا عنه » . (41)

فيذهب هؤلاء الغلاة مذهب النصارى الذين زعموا أن المسيح ـ عليه السلام ـ له طبيعتان احداهما لا هوتية والأخرى ناسوتية ، وقد قام الخلاف في ذلك بين أساقفتهم حيث ذهب نسطور إلى إنكار ألوهية المسيح ـ عليه السلام ـ وهذه المقالة أثارت الأساقفة في روما وبيت المقدس وانطاكية والأسكندرية فقرروا عقد مجمع يطلبون فيه من نسطور أن يتبرأ من قوله هذا فعقد من أجل ذلك مجمع افسس الأول . لكن لم يحضره نسطور مما اضطرهم إلى الإعلان بأن المسيح له طبيعتان في أقنوم واحد فرفض نسطور الخضوع لهذا القرار ، وازداد أمره خطرا عندما كثر اتباعه وبالتالي انتشار مذهبه مما دفع بالأساقفة إلى عقد مجمع خليكدونية للفصل النهائي في هذه المسألة ، وخرج أخيرا بأن في المسيح ـ عليه السلام ـ طبيعتين لا طبيعة واحدة وأن الألوهية طبيعة وحدها والناسوت طبيعة وحده التقتا في المسيح.(42)

وعبد الله بن سبأ هو الذي أحدث في الفكر الإسلامي القول بألوهية الأئمة ، حيث ادعى بأن علي ـ رضي الله عنه ـ قد حل فيه الجزء الإلهي وعن ابن سبأ هذا تشعب القول بحلول الجزء الإلاهي في الأئمة بعد ذلك .

وقد ذكر البغدادي أصنافا من الحلولية منهم أتباع عبد الله بن سبأ قالوا بحلول الجزء الإلاهي في علي ـ رضي الله عنه ـ والبيانية ادعوا أن روح الإله دارت في الأنبياء والأئمة حتى انتهت إلى علي ثم دارت إلى محمد بن الحنفية ثم صارت إلى ابنه أبي هاشم ثم حلت بعده في بيان بن سمعان ، وبذلك زعموا إلاهيته ،

(41) ابنخلدون ، المقدمة ، ص : 198

(42) محمد أبو زهرة محاضرات في النصرانية ، ص : 154 ـ 155 ـ 156 ـ 157

والجناحية الذين زعموا بأن روح الإله حلت في عبد اله بن سعاوية بن عبد الله بن جعفر بعد علي وأولاده ، والخطابية الذين ذهبوا إلى حلول روح الإلاه في جعفر الصادق ، وبعده في أبي الخطاب الأسدي ، وادعت النميرية أن روح الإله حلت في خمسة أشخاص النبي وعلي وفاطمة والحسن والحسين ، ثم هناك من زعموا أن روح الإلاه حلت في أبي مسلم فصار إلاها ، فهو عندهم خير من جبريل وميكائيل وسائر الملائكة . (43)

وهكذا ندرك كيف تطور الأمر حتى وصل إلى هذه الدرجة الخطيرة حيث ادعى هؤلاء إلاهية الأئمة ، وقد كفروا بذلك وأشركوا بربهم : "فكيف بإمام مفوض من الله له علم مثل علم الله ، وهو يملك رقاب جميع الناس ، وبيدي جده مفاتيح الجنات ، ومفاتيح كل أبواب جهنم ؟! وهل يستبعد بعد كل هذه الدعاوي أن تنبت في عالم الإسلام نبات الكماة ثوابت أغمار تؤله الأئمة ؟ أو يقوم مكار من الأشرار يدعوا الناس إلى تأليه إمام من أئمة الأمة . (44)

وأخيرا كان لأثر الإسرائيليات في الإمامة نتائج عميقة في الفكر العقدي الإسلامي ، نوجزها في :

1 ـ إنتقال مسألة الإمامة من الفرعيات إلى الأصول أدى إلى ظهور مباحث عقدية كمرتكب الكبيرة ، وحقيقة الإيمان .

2 ـ القول بالنص في الإمامة سلب حق المعتقدين به في اختيار الإمام والقول في مقابل ذلك أنه يحكم بتفويض إلهي .

3 ـ اعتقاد فريق من المسليمن برجعة الأئمة ، عطلهم عن إصلاح واقعهم والزعم بأن ذلك وظيفة الإمام .

---

(43) الفرق بين الفرق . ص : 241 ـ 242 ـ 243

(44) موسى جار الله ، الوشيعة في نقد عقائد الشيعة (مكتبة الكليات الأزهرية) ، ص : 175

الفصل الخامس

دراسات إسرائيلية معاصرة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تمهيد :

لقد غير اليهود والنصارى في هذا العصر منهجهم في مواجهة الفكر الإسلامي ، فلم يعد أسلوبهم يعتمد على بث المقالات الإسرائيلية إنما انتقلوا إلى دراسات يوظفون من خلالها تلك المقالات التي بثت قديما للوصول إلى نتيجة مفادها أن الإسلام في جوهره إنما وجد كأثر للثقافات السابقة له ، خاصة الثقافة اليهودية والنصرانية ، يقول جولد تسيهر : " فتبشير العربي ليس إلا مزيجا منتخبا من معارف وآراء دينية ، عرفها أو استقاها بسبب اتصاله بالعناصر اليهودية والمسيحية وغيرها التي تأثر بها تأثرا عميقا والتي رآها جديرة بأن توقظ عاطفة دينية حقيقية عند بني وطنه ، وهذه التعاليم التي أخذها عن تلك العناصر الأجنبية كانت في رأيه ضرورية لتثبيت ضرب من الحياظي الإتجاه الذي تريد الإرادة الإلهية " (1) .

وقد رد محمد الغزالي هذا الإدعاء بقوله : " وهذا كلام باطل فإن محمدا ـ بلغة عصره ـ قبض على الفكر اليهودي والنصراني وقدمه إلى الضمير العالمي متهما بالتزوير على أوسع نطاق في ميداني الإعتقاد والتشريع " (2) .

وأطلقت لفظ الدراسات الإسرائيلية المعاصرة على الدراسات اليهودية النصرانية المعاصرة من باب التغليب للجانب اليهودي ، كما أطلق علماؤنا القدامى مصطلح الإسرائيليات على كل ما تطرق إلى العلوم الإسلامية من قصص وأساطير منسوبة

1) جولد تسيهر : العقيدة والشريعة في الإسلام : 5 ـ 6

2) دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين : 27

في أصل روايتها إلى مصدر يهودي . أو نصرانيا وأهم محور في الفكر الإسلامي تركزت حوله الدراسات الإسرائيلية المعاصرة هو القرآن الكريم ثم العقيدة في الدرجة الثانية .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول

القرآن الكريم

تركزت الدراسات الإسرائيلية حول القرآن ، والهدف من وراء ذلك الوصول إلى نتيجة كلية تتلخص في أن محمدا ـ صلى الله عليه وسلم ـ استقى معارفه وعلومه فيما يخص القرآن من الكتاب المقدس بمعنى أن القرآن أثر لليهودية والنصرانية .

فذهب رودلف إلى أن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ لم يقرأ الكتب المقدسة لليهود والنصارى بنفسه ، إنما حصل على تلك المعلومات بطريق السماع ، ثم يدعي بعد ذلك أن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان يقرأ ويكتب حيث قال : " أما السؤال عن معرفته بالقراءة والكتابة ففي استطاعاتنا أن نجيب عنه بالإيجاب ، وليس من السهل أن نفرض فيه الأمية ، وقد كان يقيم ببلد كمكة يضطرب بالتجارة ، ويعج بالحياة المالية ، ويدلي فيه بالمحاضرات والبحوث العلمية كما يؤخذ من الآية السابعة والثلاثين من سورة النور ، وكان هو نفسه تاجرا ، على أنه كان ذا إلمام بقرائة العربية فإن ذلك لايمكن أن يكون قد أجدى عليه كثيرا في الإطلاع على الكتب اليهودية والمسيحية فإن تلك الكتب في أغلب الظن لم تكن قد ترجمت بعد إلى العربية " (3)

إن هذا الادعاء لايقوم على دليل علمي ، فهو مجرد إلقاء الكلام على عواهنه فالتاريخ يثبت لنا عدم إتصال الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ بأهل الكتاب وأنه لم يسمع شيئا منهم .

---

(3) صلة القرآن باليهودية والمسيحية الطبعة الأولى ترجمة عن الألمانية : عصام حفني ناصف ـ (دار الطليعة للطباعة والنشر والتوزيع . 1974م) ، 14 ـ 15

وهؤلاء المستشرقون يستندون في محاولة إثبات السماع والتعلم من أهل الكتاب بحادثة تاريخية :"قال ابن إسحاق : فلما فرغ أقبل على عمه أبي طالب ، فقال له : ما هذا الغلام منك ؟ قال : ابني قال له بحيرى : ما هو بابنك وما ينبغي لهذا الغلام أن يكون أبوه حيا ، قال : فإنه ابن أخي ، قال : فما فعل أبوه ؟ قال : مات وأمه حبلى به ، قال : صدقت ، فارجع بابن أخيك إلى بلده ، واحذر عليه يهود فوالله لئن رأوه ، وعرفوا ما عرفته ليبغنه شرا ، فإنه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم ، فأسرع به إلى بلاده " (4)

وقد ركز رشيد رضا في رده على مؤلاء على الروايات التاريخية وبيان ضعفها سواء كانت في السيرة أو الحديث ، فبين محتوى الحادثة عند رواة السيرة النبوية ، ثم أشار إلى إن هناك روايات سندها ضعيف بمعنى هذه الرواية واستثنى من ذلك رواية الترمذي وبين انعدامها لذكر اسم بحيرى وفيها غلط في المتن ، مع عدم ذكرها بأن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ سمع شيئا من عقيدة بحيرى أو دينه" . (5)

وإذا تأملنا حادثة بحيرى ، خرجنا باحتمالين :

الإحتمال الأول : وقوع هذه الحادثة فعندئذ نقول : أن بحيرى من أهل الكتاب وأنه حذر عمه من اليهود عليه ماذا يعني هذا ؟ أولا أن بحيرى على علم بالكتاب ، والبشارة برسول الله ـ صلى الله عليه وسلم موجودة في التوراة والإنجيل ، واليهود ينتظرون أن يكون منهم ، وثانيا تأكد بحيرى من أن الرسول الخاتم هو محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ من العرب ، مع علمه أن ذلك يصادم الأحلام اليهودية ، فهم الضرورة إن رأوه سيسعون في قتله ، فحذر عمه منهم .

(4) السهيلي ، الروض الانف ـ 4ج ـ (دارالفكر) ، ج :1 . ص : 206

(5) الوحي المحمدي . ص : 96

وبناء على هذا الاحتمال فبحيرى يثبت نبوة الرسول - صلى الله عليه وسلم - وبذلك يبطل ادعاء أولئك زيادة على ذلك نقول هل يمكن أن يتعلم المرء من معلمه في جلسة واحدة ، بل في لحظات سريعة ، فإن ذلك لايقول به عاقل .

الإحتمال الثاني : هو عدم الالتقاء بالراهب بحيرى ، ونحن نعلم أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - عندما جاءه جبريل لأول مرة وهو في إحدى خلواته فوجئ معنى ذلك أن النبي - صلى الله عليه وسلم - ما انتظر النبوة ولاتشوف لها ، من جانب ثاني لو حدث ذلك لشاع بين الناس وتكلموا به ، غير أن التاريخ يثبت لنا عكس ذلك .

ولايهمنا في هذا الموضوع وقوعها أم لا ، إنما الذي يهمنا هي أنها لم تخلف أثرا بعدها

: " وسواء صحت قصة بحيري هذه أم بطلت فمن المقطوع به أنها لم تخلف بعدها أثرا ، فلا محمد - عليه الصلاة والسلام - تشوف للنبوة ولا استعد لها - لكلام الراهب - ولا أصحاب القافلة تذاكروا هذا الحديث أو أشاعوه ، لقد طويت كأن لم تحدث مما يرجح استبعادها " (6)

أما زعم ردلوف بأن الرسول - صلى الله عليه وسلم - كان يقرأ فهذا مصادمة للحقيقة التاريخية فقد كان أميا ، وحتى يثبت رودلف الأثر الذي ادعاه ، حاول أن يقرر بأن هناك اقتباسات من العهدين القديم والجديد بعد مقابلة بعض الآيات القرآنية بفقرات من الكتاب المقدس ، ونحن نذكر بعضها .

(6) محمد الغزالي ، فقه السيرة . (الجزائر : دار الشهاب) ، ص : 68

القرآن المكي والعهد القديم :

قابل رودلوف بين الآيات التالية وفقرات العهد القديم :

1) قوله تعالى : " اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ . خَلَقَ الإِنْسَانَ مِن عَلَقٍ . اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ " (7) وما ورد في العهد القديم : " صَوْتُ قَائِلٌ نَادٍ . فَقَالَ بِمَاذَا أُنَادِي " (8)

2) " فَكُّ رَقَبَةٍ . أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ . يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ . أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ " (9)

وماورد في العهد القديم " فَكَّ عُقَدِ الشِّرِّ وَإِطْلاَقَ الْمُسْحُوقِينَ أَحْرَارًا وَقَطْعَ كُلِّ نِيرٍ . أَلَيْسَ أَنْ تُكَسِّرَ لِلْجَائِعِ خُبْزَكَ وَأَشْبَعْتَ النَّفْسَ الذَّلِيلَةَ " (10)

3) " وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ " (11)

وما ورد في العهد القديم " الصِّدِّيقُونَ يَرِثُونَ الأَرْضَ " (12)

4) " تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِنْ مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ "(13) ، وما ورد في العهد القديم :"السَّمَاوَاتُ تُحَدِّثُ بِمَجْدِ اللهِ، وَالفَلَكُ يُخْبِرُ

---

7) العلق : 1 ـ 2 ـ 3

8) إشعياء : 40 : 6

9) البلد : 13 ـ 14 ـ 15 ـ 16

10) إشعياء : 58 : 6 ـ 7 ـ 10

11) الأنبياء : 105

12) مزامير : 37 : 11 ، لكن العبارة الصحيحة كما وردت في المزامير " أما الودعاء فيرثون الأرض "

13) الإسراء : 44

بِعَمَلِ يَدَيْهِ يَوْمٍ إِلَى يَوْمٍ يَذِيعَ كَلاَمًا وَلَيْلٌ إِلَى لَيْلٍ يُبْدِي عِلمًا ... فِي كُلِّ الأَرْضِ خَرَجَ مَنْطِقُهُمْ وَإِلَى أَقْصَى المَسْكُونَةِ كَلِمَاتِهِمْ " (14)

ثم يحاول بعد ذلك اثبات وجود تشابه في الرنين بين بعض سور القران والمزامير ، وقد قام بالمقابلات التالية :

1)- يونس بمزامير :13 2) سورة هود بمزامير . 4

3)- سورة يوسف بمزامير :19 4)- سورة ابراهيم بمزامير 25

5)- سورة الحجر بمزامير : 5 6)- سورة الكهف بمزامير 24 (15)

القرآن المدني والعهد القديم :

1) قابل بين قوله تعالى : " اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ... " (16) ، وما ورد في العهد القديم : " الرَّبُّ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ " (17)

2) " وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ " (18) ، وما ورد في العهد القديم :"لأَنَّ أَلْفَ سَنَةٍ فِي عَيْنَيْكَ مِثْلُ يَوْمٍ أَمْسِ بَعْدَمَا عَبَرَ " (19)

3) "وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالعَيْنَ بِالعَيْنِ وَالأَنْفَ بِالأَنْفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالجُرُوحَ قِصَاصٌ " (20) ، وما ورد في العهد القديم :"وَإِنْ

---

14) مزامير : 19 : 1 ـ 2 ـ 4

15) صلة القرآن بالهيودية والمسيحية ص : 15 ـ 16 ـ 17

16) البقرة : 15

17) مزامير : 2 : 4

18) الحج : 47

19) مزامير . 90 4

20) المائدة . 45

خضلت أذية تعطي نفسا بنفس وعينا بعين وسنا بسن ويد بيد ورجلا برجل وكيا بكي وجرحا بجرح ورضا برض " (21) .

ثم انتقل رودلف بعد ذلك إلى مقابلات بين القرآن والعهد الجديد ليست الاقتباس أيضا في زعمه .

القرآن المكي والعهد الجديد :

1) ـ قابل بين قوله تعالى " فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ . الَّذِينَ هُمْ عَن صَلاَتِهِمْ سَاهُونَ . وَالَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ "(22) ، وما ورد في العهد الجديد : " وَمَتَى صَلَّيْتَ فَلاَ تَكُنْ كَالمُرَائِينَ فَإِنَّهُم يُحِبُّونَ أَنْ يُصَلُّوا قَائِمِينَ فِي المَجَامِعِ وَفِي زَوَايَا الشَّوَارِعِ لِكَيْ يَظْهَرُوا لِلنَّاسِ . الحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ إِنَّهُمْ قَدِ اسْتَوْفَوا أَجْرَهُمْ " (23)

2) ـ " لاَيَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلاَزَمْهَرِيرًا " (24) ، وما ورد في العهد الجديد " وَلاَتَقَعُ عَلَيْهِمَ الشَّمْسُ وَلاَشَيْءٌ مِنَ الحَرِّ " (25)

3) ـ " كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ المَوْتِ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ " (26) ، وما ورد في العهد الجديد : "وَأَنْتَ تَقُولُ إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَحْفَظُ كَلاَمِي فَلَنْ يَذُوقَ المَوْتَ إِلَى الأَبَدِ " (27)

---

21) خروج : 21 ، 23 ـ 24 ـ 25

22) الماعون : 4 ـ 5 ـ 6

23) متى : 6 : 5

24) الإنسان : 13

25) رؤيا يوحنا اللاهوتية : 7 : 16

26) الأنبياء : 35

27) يوحنا 8 ـ 52

4 ـ "أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ" (28)

وما ورد في العهد الجديد "أَلَيْسَ عُصْفُورَانِ يُبَاعَانِ بِفَلْسٍ وَوَاحِدٌ مِنْهُمَا لَا يَسْقُطُ عَلَى الأَرْضِ بِدُونِ أَبِيكُمْ" (29)

القرآن المدني والعهد الجديد :

1 ـ قابل بين قوله تعالى "وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ" (30) وما ورد في العهد الجديد "فَأَقُولُ لَكُمْ لَا تَحْلِفُوا الْبَتَّةَ" (31)

2 ـ "وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ" (32) . وما ورد في العهد الجديد "أَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُ ... وَالْكَلِمَةُ الَّذِي تَسْمَعُونَهُ لَيْسَ لِي بَلْ لِلآبِ الَّذِي أَرْسَلَنِي بِهَذَا كَلَّمْتُكُمْ وَأَنَا عِنْدَكُمْ وَأَمَّا الْمُعَزِّي الرُّوحُ الْقُدُسُ الَّذِي سَيُرْسِلُهُ الآبُ بِاسْمِي فَهُوَ يُعَلِّمُكُمْ كُلَّ شَيْءٍ وَيُذَكِّرُكُمْ بِكُلِّ مَا قُلْتُهُ لَكُمْ" (33)

3 ـ "إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا" (34) ، وما ورد في العهد الجديد "وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا الْكَتَبَةُ وَالْفَرِّيسِيُّونَ الْمُرَاؤُونَ لأَنَّكُمْ تَأْكُلُونَ بُيُوتَ الأَرَامِلِ" (35)

---

28) النحل ـ 79

29) متى ـ 10 : 29

30) البقرة : 224

31) متى 5 34

32) الصف ـ 6

33) يوحنا ـ 14 23 ـ 24 ـ 25 ـ 26

34) النساء ـ 10

35) متى 23 ـ 14

ثم قرر قلهلهم رودلف بناء على هذه المقابلات بأن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ لم يقرأ الكتاب المقدس بنفسه ، إنما وصلت إليه هذه العبارات عن طريق السماع(36)

ثم حاول بعد ذلك أن يثبت أن القصص القرآني قد أخذ ه الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ من الكتاب المقدس ، وعرض نماذج يرى أن الرسول أخطأ فيها أثناء الإقتباس ، من ذلك جعله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مريم أم عيسى أختا لهارون : يَاأُخْتَ هَارُونَ مَاكَانَ أَبُوكِ امرَأَ سَوْءٍ وَمَاكَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا (37) وغيره من الأخطاء المزعومة . (38)

وإذا حاولنا الرد على هذه الافتراءات وجدنا أنفسنا أمام أمرين .

الأمر الأول : التسليم مع رودلوف بأن الآيات المقابلة بالفقرات من العهدين مأخوذة فعلا من الكتاب المقدس وهنا يلزم رودلف أن يقدم الأدلة على صحة فرضه بأن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد تعلم من أهل الكتاب ، ولا شك إن حاول ذلك خرج خائبا لأنه يصادم الحقيقة التاريخية ، وبناء على ذلك ستكون النتيجة التي حاول هذا المستشرق الخروج بها عكسية بمعنى أن تلك الفقرات التي استشهد بهاهي إشارات من بقايا الوحي الإلهي في الكتاب المقدس ، ويثبت هو نفسه بذلك نبوة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولعله وقع في ذلك دون أن يشعر عندما قابل في مسألة البشارة بين آية من سورة الصف وفقرة من إنجيل يوحنا التي ذكرتها سابقا في المقابلة بين سور القرآن والعهد الجديد .

---

36) صلة القرآن باليهودية والمسيحية : ص 20 ـ 22 ـ 23 ـ 24 ـ 28 ـ 30 ـ 31 ـ 32

37) مريم : 28

38) صلة القرآن باليهودية والمسيحية : ص : 34 ـ 35

الأمر الثاني : المنهج المستخدم في المقابلات غير سليم . فكان عليه أن يذكر الآيات والفقرات في سياقها العام ، أو على الأقل عندما يستشهد بفقرة من الكتاب المقدس يأتي بشيء قبلها وبعدها ، وحينئذ سيتضح للقارئ المراد بها

والتساؤل الذي يطرح : كيف كان موقف الفكر الإسلامي المعاصر من هذه الافتراءات اليهودية النصرانية ؟

ولمعرفة ذلك سنبين موقف مالك بن نبي من هذه الأطروحات .

فبعد أن قام مالك بن نبي بمقابلة بين قصة يوسف - عليه السلام - في القرآن والكتاب المقدس ، وإجراء المقارنات بينهما . ذكر بأن هناك صلة بينهما على الرغم من الاختلافات الموجودة . وهي التي أوحت الاعتراضات التي ذكرها بقوله : " هذه الاعتراضات يمكن أن تتلخص في فرضين : الأول : أن النبي - دون علم - بالفكرة التوحيدية التي ربما تمثلها لاشعوريا في عبقريته الخاصة . كيما يفيضها بعد ذلك في آيات القرآن . الثاني : أن النبي قد تعلم الكتب المقدسة اليهودية المسيحية تعلما مباشرا وشعوريا ، لكي يستخدم ذلك فيما بعد في بناء القرآن " (39)

ثم ناقش بعد ذلك هذين الفرضين فبدأ بالفرض الأول ويوضح مايلي :

1) - نذرة الوثائق والمخطوطات عن العصر الجاهلي حيث كان أدبه ينقل عن طريق المشافهة .

2) - يعتبر القرآن حجة مخطوطة عن العصر الجاهلي فهذه المخطوطة أكدت عدم وجود تأثير ديني في العصر الجاهلي .

3) - عدم وجود مركز ديني يقوم بنشر فكرة الكتاب المقدس في مكة وضواحيها

(39) مالك بن نبي الظاهر القرآنية ترجمة عبد الصبور شاهين(دار الفكر) ص 244

ويقدم لنا دليلا عن عدم تغلغل الفكرة اليهودية والنصرانية في البيئة الجاهلية وذلك بعدم وجود ترجمة عربية للكتاب المقدس ، ففيما يخص العهد الجديد فترجمته حتى القرن الرابع الهجري لم تكن قد وضعت ، وهذا ما دفع الغزالي أن يلجأ إلى مخطوط قبطي ، ثم يعلق على ذلك إذا لم تكن توجد ترجمة ترجمة عربية للإنجيل في عهد الغزالي فمن باب أولى لم يكن يوجد مثل هذه الترجمة في العصر الجاهلي .

أما دليله على عدم وجود ترجمة للعهد القديم فهو قوله تعالى : " قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ " (40) فهو يدل أنه لم يكن من يقرأ العبرية من العرب وعلى أنه لم تكن توجد ترجمة عربية للتوراة من ناحية أخرى . وما دامت المصادر اليهودية المسيحية منعدمة فإن تأثيرها التوحيدي في البيئة العربية غير موجود كذلك . (41)

ثم ينتقل إلى مناقشة الغرض الثاني الذي يعني تعلمه ـ صلى الله عليه وسلم ـ من الكتب السابقة ، وبين بأن في هذا الغرض إحتمالين : يتمثل الأول في تعلمه بطريقة منهجية لكي يستطيع أن يؤلف القرآن بعلمه ، والثاني في أنه ربما تعلم أو علم ، وقام باستخدام المادة التي تحصل عليها لاشعوريا ، فيقوم برد الاحتمال الأول بناء على دراسة حول الذات المحمدية ، وهي إخلاص الذات ، واقتناعها الشخصي ، ثم يناقش الاحتمال الثاني ، فيذهب إلى أن هذا الافتراض يجعل اعتبار تعلم النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ الشخصي المباشر كأنه حالة إدراك منسية لدى المتعلم نفسه ، لكن ذاكرة الرسول الخارقة تفند هذا الاحتمال ، فالذاكرة الخارقة لايمكن بحال أن تتفق مع مرض الذاكرة بالنسيان .

(40) آل عمران : 93

(41) الظاهرة القرآنية . ص . 244 ـ 245 ـ 246 ـ 247

ومن جانب آخر فالقرآن الكريم ليس صورة طبق الأصل للتوراة وهذا يقتضي من الرسول - صلى الله عليه وسلم - أن يقوم بعملية تعديلية لما تعلمه ، وهذا التعديل لا يحدث تلقائيا دون أن تشترك فيه القدرات الشعورية لدى النبي - صلى الله عليه وسلم - وهكذا نجد أنفسنا أمام حالة نسيان مرضي ، وحالة لاشعور جزئي لا يشرحها علم النفس .

وأخيرا أكد على استقلالية القرآن الكريم حتى في مسألة الوحدانية التي تتوثق القرابة فيها بين القرآن والكتاب المقدس ، ومن بين الإستشهادات التي ذكرها : النجاة البدنية لفرعون وهذا ما أكده علماء الدراسات المصرية على خلاف الرواية الكتابية ، وكذلك مسألة الصلب ، حيث نفتها الرواية القرآنية ، فتعلن بذلك إستقلالها عن الفكرة اليهودية والنصرانية التي ترى في الصلب حقيقة تاريخية (42)

(42) مالك بن نبي ، الظاهرة القرآنية . ص : 248 - 249 - 250 - 253

المبحث الثاني

العقيدة

ادعى جولد تسيهر عدم وجود مذهب عقيدي متجانس في القرآن . حيث قال : " ومن العسير أن نستخلص من القرآن نفسه مذهبا عقيديا موحدا متجانسا وخاليا من التناقضات ولم يصلنا من المعارف الدينية ، الأكثر أهمية وخطرا إلا آثارا عامة نجد فيها إذا بحثنا في تفاصيلها أحيانا تعاليم متناقضة.ورسالة النبي الدينية تنعكس في روحه بألوان مختلفة باختلاف الاستعدادات السائدة في نفسه ،إذا كان لزاما على علم الكلام المنسق أن يتولى منذ أول الأمر حل الصعوبات النظرية الناشئة عن مثل هذه التناقضات " (43)

وإذا تأملنا هذه العبارات وجدنا صاحبها يلقي الكلام على عواهنه . ولا يقدم ولو دليلا واحدا على فرضه هذا ، بل كلامه يمتاز بطابعه الظني الذي يرفض في المنهج العلمي ، والقاعدة عندنا " إن كنت ناقلا فالصحة ، وإن كنت مدعيا فالدليل "، ثم يحاول هذا المستشرق إثبات التناقض الموجود بذهاب النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى الاعتراف في الوحي المدني بأن القرآن : " مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ " (44)

43) العقيدة والشريعة في الإسلام . ص . 68

44) آل عمران . 7

ثم يقرر ذلك بقوله :"مثل هذا النقد للقرآن كان صوابا خلال الجيل الأول لظهوره إلى درجة أن لم يكتف بأن يهتم خصوم الإسلام بكشف الضعف فيه فقط ، بل ذهب الأمر إلى درجة أن البحث في التناقضات الظاهرة في القرآن أصبح موضح حديث بين المؤمنين أنفسهم " (45)

ولاشك أنه وقع له الخلط في حقيقة التشابه في الأمر والتناقض فيه فالتشابه ليس مرده إلى التناقض كما فهم ، إنما مرده إلى أن ذلك الأمر فوق قدرة العقل البشري ، وأن العقل لايكون فيه واصلا إلى نتيجة بل إن فعل ذلك وقع في متاهات كبرى فهي أمور تؤخذ عن طريق الوحي وموقف المؤمن التسليم بما ورد .

ثم يقر "جولد تسيهر " بأن أول رجة في الإيمان الساذج في الإسلام نشأت من جراء التعمق في التصور الديني فقال : إن فكرة الخضوع المطلق لله كانت قد أنتجت أفهاما غليظة عن الألوهية فالله حاكم غير محدد الإرادة :"لَايُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ ... " (46) والناس جميعا لا إرادة لهم بين يديه ، ويجب أن نكون على يقين من أن إرادته لايمكن أن تقاس بالإرادة الإنسانية المحدودة بحدود متنوعة ، والقدرة الإنسانية تصبح لاشيء أمام الإرادة الإلاهية المطلقة وقدرته التي لاعنان لها حتى إن هذه تتسع إلى درجة تحديد إرادة الإنسان فالإنسان لايستطيع أن يريد شيئا إلافي الإتجاه الذي يعينه الله لإرادته حتى في سلوكه الأخلاقي فإرادته في هذه الناحية محددة بالقدر الأزلي " (47)

45) جولد تسيهر العقيدة والشريعة في الإسلام . ص : 69

46) الأنبياء : 23

47) العقيدة والشريعة في الإسلام . ص : 78

واستشهد بآيات قرآنية على عدم ظلم الله للناس شيئا ثم قال : "لكن النفس الورعة التقية لها أن تتسائل : هل يمكن أن يتصور المرء ظلم أفدح من الجزاء على أعمال تتم بإرادة محددة وليست تحت القدرة الإنسانية ! وهل يصح أن يحرم الله الناس من كل حرية واستقلال في أعمالهم وأن يحدد سلوكهم حتى في أدنى التفاصيل ! وأن يحرم الخاطئ أو الآثم من إمكان فعل الخير " (48)

وواضح بأن هذا المستشرق قد وقع في خطأ أيضا بين الآيات التي تتحدث عن هداية البيان ، والآيات التي تتحدث عن هداية التوفيق وإن كان حاول بعض الشيء إيجاد العلاقة بينهما ، لكن الفكرة الغالبة على ذهنه هو إثبات التناقض الموجود

وقدصور القدرية بأنهم أصحاب المذهب التحرري ، بعد أن قرر تأثير علم اللاهوت المسيحي في هذه المسألة : " والحركة القدرية ذات أهمية كبيرة في تاريخ الإسلام بسبب أنها الخطوة الأولى والعمل الأقدم في سبيل التحرر في الأفهام التقليدية السائدة ، هذه الخطوة كات حقا حادثا في الناحية التي تتطلبها التقوى لافي ناحية التفكير الحر إنه من فم القدرية لم نسمع صوت إحتجاج العقل ضد العقيدة ، الجامدة ولكن ارتفع صوت الضمير أو الشعور الديني ضد تمثيل أوتصور غير جدير بالكائن الإلاهي في ذاته وفي علاقاته بالإستحثاث الديني لعباده " (49)

فجولد تسيهر أراد أن يصل إلى نتيجة كلية تتمثل في أن العقيدة الإسلامية تطورت .

وعند حديثه عن مسألة التشبيه والتجسيم ، نسبها مباشرة إلى القرآن الكريم . والفهم الحرفي له فقال عن توحيد المعتزلة :

---

48) العقيدة والشريعة في الإسلام . ص : 78

49) نفس المرجع ص : 85

"كان واجبا عليهم أولا أن يستأصلوا ما لا يتفق وسموالله من الافهام أو التصورات التجسيمية التي توجد في المذهب السني التقليدي ، هذا المذهب كان لايقبل شيئا آخر غير التصديق الحرفي للتعابير المجسمة المشبة التي جاءت في القرآن والحديث والنصوص المتواترة ، فالله البصير السميع الغضوب الضاحك والذي يجلس ويقف كذلك يداه وقدماه وأذناه مما كان غالبا جدا موضع حديث في القرآن والحديث والنصوص الأخرى ،كل ذلك يجب في رأي أهل السنة أن يفسر حرفيا ، وأن يؤخذ على ظاهره والمدرسة الحنبلية بصفة خاصة قاتلت انتصارا لهذا الفهم أو التصور الخشن لله (50)

والتساؤل الذي يطرح : كيف كان موقف الفكر الإسلامي تجاه هذه المزاعم والافتراءات اليهودية النصرانية ؟

لمعرفة ذلك نحاول بيان رد محمد الغزالي في كتابه "دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين " : فقد رد " على ادعاء جولد تسيهر بعدم وجود مذهب عقيدي متجانس في القرآن ، بأن العقائد والعبادات في الإسلام غير خاضعة للتطور فهي مقررة من قبل الوحي ، ولم تصب خلال مسيرتها التاريخية بأدنى تغير لأن مصدرها القرآن الكريم الذي يمتاز أسلوبه بالوضوح المطلق ، مع موافقته لبداهة العقل واستعصائه على المناقضات والمتشابهات (51)

ثم قدم استشهادات من القرآن في التوحيد ، والجزاء ، والعلم الإلهي والإيجاد والخلق ونفي الشرك :

---

50) جولد تسيهر ، العقيدة والشريعة في الإسلام ص : 96

51) دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين الطبعة الثالثة . (دار الكتب الحديثة 1384هـ . 1964م) ص 126

1) - في توحيد الله تعالى : "وَإِلَاهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَاهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَانُ الرَّحِيمُ "(52)

2) - في عقيدة الجزاء :"اللَّهُ لَا إِلَاهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا" (53)

3) - في إحاطة العلم الإلهي بشؤون الخليقة جمعاء :"وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ " (54)

4) - في إنفراده بالإيجاد والتدبير : " اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ، لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ " (55)

5) - في نفي الشركاء والأولاد : " مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِن إِلَاهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَاهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ " (56)

ثم أوضح بأن التناقض موجود في العقيدة المسيحية حيث قام بنقل فقرات من إنجيل يوحنا تبين ذلك :

1) - " فِي الْبَدْءِ كَانَ الْكَلِمَةُ وَالْكَلِمَةُ كَانَ عِنْدَ اللهِ . وَكَانَ الْكَلِمَةُ اللهَ . هَذَا كَانَ

52) البقرة : 163
53) النساء : 87
54) الأنعام : 59
55) الزمر : 62 ـ 63
56) المؤمنون : 91 ـ 92

فِي البَدْءِ عِنْدَ اللهِ . كُلَّ شَيْءٍ بِهِ كَانَ وَبِغَيْرِهِ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِمَّا كَانَ " (57)

2) ـ " كَانَ النُورَ الحَقِيقِي الَّذِي كَانَ يَنِيرُ كُلَّ إِنْسَانٍ آتِيًا إِلَى العَالَمِ . كَانَ فِي العَالَمِ وَكَوَّنَ العَالَمَ بِهِ وَلَمْ يَعْرِفْهُ العَالَمُ " (58)

3) ـ " وَالكَلِمَةُ صَارَ جَسَدًا وَحَلَّ بَيْنَنَا وَرَأَيْنَا مَجْدَهُ كَمَا لِوَحِيدٍ مِنَ الآبِ مَمْلُوءًا نِعْمَةً وَحَقًّا " (59)

واستخلص من هذا أن " جولد تسيهر " ربما كان هدفه التسوية بين الإسلام والمسيحية في تطور العقيدة ، فالثالوث المقدس لم يظهر في شكله النهائي إلا بعد عدة مجامع قرروا فيها ألوهية عيسى ـ عليه السلام ـ وفي آخر ألوهية روح القدس ، ثم أخيرا الإعتقاد الذي أصدره " بيوس " بابا روما باعتبار " مريم " في مصاف الألهة (60)

أما فيما يخص ادعاء " جولد تسيهر " بأن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ اعترف بالتناقض في القرآن واستشهاده بالآية السابعة من سورة آل عمران فيرد عليه مستندا إلى كلام الدكتور " هنري لنك " حيث أوضح بأن الكون تسيره قوة ، غير أن العقل البشري لايعرف ما هي هذه القوة ؟ وضرب مثالا بالكهرباء الذي تضاء به المنازل، وتسير به القاطرات ، وتدار به المدافئ ، والإنسان يعرف أثره ولايدرك كنهه

57) يوحنا : 1: 1 ـ 2 ـ 3

58) يوحنا : 1 : 9 ـ 10

60) محمد الغزالي ، دفاع العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين ص . 127 ـ 158 ـ 129

ثم قرر بأن الإنسان يجيد تخصصه ولا يتعدى إلى سواه ، فالطبيب والمهندس كلاهما في أفقه لا يتجاوزه مهما ألم الإنسان بالكل في فنه ، فهذا الكل جزء من الكل الأصلي الجامع لأسرار هذا الكون ، ويستخلص بأننا إذا سلمنا بالعقل الجبار المثقف العارف بكل شيء فإن ذلك يفرض وجود هذا الشخص الذي يجهل حتما جزءا من أسرار الكون فكيف يمكن لهذا الجاهل بجزء من أسرار الكون ، أن يعرف خالق الكون ثم يقول بأننا لا نفهم طبيعة الحياة ، فكيف يمكننا تصور كنه الله ؟ ويعلق محمد الغزالي على كلام " هنري لنك " بأن ذلك هو مجال المتشابهات التي أرادنا القرآن أن نقف عندها ، لأن البحث في الذات عبث من الخيرة الكف عنه . ثم طرح التساؤل التالي : هل يوصف القرآن بالتناقض لهذا ؟ (61)

وأجاب على الزعم بأن البحث في التناقضات القرآنية أصبح موضع حديث بين المؤمنين بقوله :"وطبعا هذا الحديث وصل إلى مسامعه وحده ، فنحن المسلمين لم نسمع ببحث في تناقضات القرآن ، لا لشيء إلا لأنها غير موجودة " (62)

وفي مسألة القضاء والقدر فالإنسان مجبر من ناحية ، ومختار من ناحية أخرى ، ولاتناقض بين آيات القرآن الكريم كما زعم جولد تسيهر ، وقد فند محمد الغزالي افتراءاته بقوله :" والقرآن تناول الإرادة الإنسانية على ضوء من الحقائق التي قدمنا بعضها هنا فحكم بأنها حرة ، ومسؤولة في مجال الحرية والمسؤولية الذي لا شك فيه وحكم بأنها مقهورة في المجال الآخر ، ووزع نسبة الأعمال طورا إلى خالقها ، الحقيقي وطورا إلى السبب في خلقها وهو في هذا التوزيع لا تنقصه ذرة من الصدق

61) دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين . ص : 146 ـ 147ـ 148
62) نفس المرجع . ص : 131

: " وَبِالحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالحَقِّ نَزَلَ " (63)

ولامكان لتناقض بين شتى الآيات إلا إذا كان قولنا : الإنسان أبيض الجلد أسود الشعر متناقضا ... لأننا نجمع بين البياض والسواد في وقت واحد !! " (64)

أما ما ذهب إليه "جولد تسيهر " بأن القرآن المكي يتجه نحو تقرير حرية الإرادة ، على عكس القرآن المدني فيرد عليه بنماذج من القرآن الكريم نورد بعضها :

1) ـ ما ورد في احدى السور المكية : " كَذَلِكَ يَضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ " (65)

2) ـ ما ورد في سورة مدنية : " يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ " (66)

ثم أوضح بأن كلام جولد تسيهر في هذا المجال فارغ (67)

63) الإسراء : 105

64) محمد الغزالي ، دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين : 133 . ص : 133

65) المدثر : 31

66) البقرة : 26

67) محمد الغزالي ، دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين . ص : 144 ـ 145 ـ 146

وقرر بعد ذلك :" والقرآن في نظمه ومعناه ، وفي أسلوبه ومرماه ، لايختلف مكيه عن مدنيه في شيء فآخره يصدق أوله وأوله يمهد لآخره ، وهذا التفريق من سخافات المستشرقين والمفتونين بهم " (68)

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

68) محمد الغزالي ، دفاع العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين . ص :146

الخـــاتـــمـــة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الخلاصة التي يمكن الخروج بها من البحث تتمثل في أن للإسرائيليات أثرا عميقا في الفكر العقدي الإسلامي ، بما أدخلته من تشبيه وتجسيم في الذات والصفات ، وما وصفت به الأنبياء من معاص ، ثم ما أحدثته من تصورات خطيرة حول الأئمة كالرجعة ويمكنني إيجاز النتائج التي توصلت إليها فيما يلي :

1 ـ الأصل في أسفار العهد القديم في الذات وصفاتها هو التشبيه والتجسيم ، وليس هناك فقرات محكمة وأخرى متشابهة كما ذهب إلى ذلك بعض الباحثين .

2 ـ التحول من التصور البسيط للألوهية إلى مباحث معقدة في الذات والصفات ، ساهمت بقسط وافر في ضعف العقيدة عند بعض المسلمين

3 ـ شغل الفكر العقدي الإسلامي بقضايا مستجدة هو في غنى عنها ، بذلت فيها جهود كبيرة ، ونجم عنها اختلفات كثيرة كفتنة خلق القرآن .

4 ـ بروز قضية التأويل في الآيات المتشابهة ، واستعمال العقل بناء على ذلك في مباحث خارجة عن نطاقه[1].

5 ـ جعلت أسفار العهد القديم الأنبياء في منزلة أدنى من عامة الناس ، فنسبت لهم ارتكاب الفراحش والاثام .

6 ـ أثيرت مسألة عصمة الأنبياء ، وأدى ذلك إلى الطعن في صلاحيتهم للاقتداء بهم ، والتشكيك في أمانتهم في التبليغ ، وفي هذا معارضة لنصوص القرآن الكريم .

7 ـ انتقال مسألة الإمامة من الفرعيات إلى الأصول ، وتفرع عن ذلك مباحث عقدية كمرتكب الكبيرة ، واختلاف الفرق حول حقيقة الإيمان .

8 ـ الاختلافات في الإمامة أدت إلى نشأة الفرق وأولها الخوارج ، ثم الشيعة والمرجئة بعد ذلك وأدى ذلك إلى تصدع بنيان الأمة ولاتزال تعاني بعض آثاره إلى اليوم .

9 ـ القول بالنص في الإمامة نتج عنه أولا : الطعن في خلفاء الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وثانيا : الاعتقاد بعصمة الإمام وأنه يحكم بتفويض إلاهي وثالثا : سلب حقهم في اختياره .

10 ـ اعتقاد فريق من المسلمين برجعة الأئمة عطلهم عن اصلاح واقعهم ، وأدى إلى الزعم بأن ذلك وظيفة الإمام المنتظر .

11 ـ هدف الدراسات الإسرائيلية المعاصرة إثبات أن الإسلام بجملته ظهر كأثر لليهودية والنصرانية .

وأخيرا لا يزال اليهود والنصارى يبذلون الجهد لإفساد عقائد المسلمين ولتشكيكهم في قدسية القرآن الكريم ، قال تعالى : " وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَالَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ " (1) ويقتضي بناء على ذلك من علماء المسلمين بذل كل الجهد لكشف مؤامرتهم والتصدي لكيدهم ، وعندها يصدق فينا قوله تعالى : " لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلاَّ أَذًى وَ إِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الأَدْبَارَ ثُمَّ لاَ يُنْصَرُونَ " (2)

1) البقرة : 120

2) آل عمران : 111

الفهارس

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

قائمة المصادر والمراجع

أ ـ القرآن الكريم

ب ـ الكتاب المقدس

دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط

ـ أ ـ

ـ الإسفراييني ، أبو المظفر

1 ـ التبصر في الدين.

الطبعة الأولى : "1359هـ " مكتب نشر الثقافة الإسلامية من أقدم عصورها إلى الآن.

ـ الألوسي . شهاب الدين السيد محمود

2 ـ روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني .

الطبعة الرابعة "1405هـ ـ 1985م"

دار إحياء التراث العربي بيروت ـ لبنان

الأشعري ، علي بن إسماعيل

3 ـ مقالات الإسلاميين .

تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد .

الطبعة الثانية :"1405هـ ـ 1985م"

دار الحداثة .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- أمين ، أحمد

4 - فجر الإسلام
الطبعة العاشرة : "1969م"
دار الكتاب العربي بيروت - لبنان

5 - ضحى الإسلام
الطبعة السابعة
مكتبة النهضة المصرية

-ب-

- بن الباقلاني بن محمد الطيب

6 - التمهيد
المكتبة الشرقية بيروت "1957م"

- البخاري ، محمد بن اسماعيل

7 - خلق أفعال العباد
شركة الشهاب الجزائر

- بدوي ، عبد الرحمن

8 - فلسفة العصور الوسطى
الطبعة الثالثة "1979م"
دار القلم بيروت - لبنان وكاله المطبوعات
الكويت

- البغدادي ، عبد القاهر بن الطاهر

9 - الفرق بني الفرق
الطبعة الرابعة "1400هظ - 1980م"
منشورات دار الآفاق الجديدة ، بيروت

10 - أصول الدين
الطبعة الثالثة "1401هـ - 1981م"
دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- البهي ، محمد

11 - الجانب الإلهي من التفكير الإسلامي.
دار الفكر بيروت "1391هـ - 1972م"

- ت -

- تامر ، عارف

12 - الإمامة في الإسلام
دار الكتاب العربي بيروت

- تسيهر ، أجناس جولد

13 - العقيدة والشريعة في الإسلام
نقله إلى العربية وعلق عليه محمد يسف موسي ، عبد العزيز عبد الحق ، على حسن عبد القار .
دار الرائد العربي بيروت - لبنان

- بن تيمية . أحمد

14 - الرسالة التدمرية
شركة الشهاب

- ث -

- الثعلبي ، أحمد بن محمد بن إبراهيم

15- قصص الأنبياء المسمي عرائس المجالس
الطبعة الرابعة
دار الرائد العربي بيروت - لبنان

- جار الله ، موسى.

16 - الوشيعة في نقد عقائد الشيعة مكتبة الكليات الأزهرية .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ـ الجليند ، محمد السيد .

17 ـ الإمام ابن تيمية وقضية التأويل .
الطبعة الثالثة "1403هـ ـ 1983م"
شركة عكاظ

ـ الجويني ، عد الملك بن الله بن يوسف

18 ـ شفاء الغليل في بيان ما وقع في التوراة والإنجيل من التبديل .
تحقيق : أحمد حجازي السقا
الطبعة الأولى "1398هـ ـ 1978م"
مكتبة الكليات الأزهرية بمصر .

ـ د ـ

ـ ابن حزم ـ علي بن احمد

19 ـ الفصل في الملل والأهواء والنخل .
تحقيق :محمد إبراهيم نصر ،عبد الرحمن عميرة
الطبعة الأولى :"1402هـ ـ 1982م"
شركة مكتبات عكاظ النشر والتوزيع .

ـ حسن أحمد ، محمد خليفة

20 ـ علاقة الإسلام باليهودية
دار الثقافة القاهرة "1988م"

ـ حسنين عل ، فؤاد

21 ـ التوراة الهيروغليفية
دار الكتاب العربي للطباعة والنشرة القاهرة .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ـ خ ـ

ـ الخازن ، علاء الدين بن محمد بن ابراهيم
22 ـ تفسير الخازن المسمى لباب التقول في معاني التنزيل دار الفكر .

ـ خان ظفر الإسلام
23 ـ التلمود تاريخه تعاليمه
الطبعة السادسة "1405هـ ـ 1985م"
دار النفائس بيروت

ـ الخطيب ، عبد الكريم
24 ـ الله ذات وموضعا
الطبعة الثالثة :"1983م"
دار الفكر العربي
25 ـ المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل
الطبعة الأولى :"1385هـ ـ 1965م"
دار الكتب الحديثة .

ـ ابن خلدون ، عبدالرحمن
26 ـ المقدمة
الطبعة الخامسة "1402هـ ـ 1982م"
دار الرائد

ـ ابن خلكان، شمس الدين أحمد بن محمد
27 ـ وفيات الأعيان
مكتبة النهضة :"1367هـ ـ 1948"

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- د -

- دروزة ، محمد عزة

28 ـ تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم
المكتبة العصرية بيروت
صيدا "1389هـ ـ 1969م"

- دي بور ، ت ـ ج

29 ـ الفلسفة في الإسلام
نقله إلى العربية وعلق عليه عبد الوهاب أبو
ريدة الطبعة الخامسة .
دار النهضة العربية بيروت

- ذ -

- الذهبي ، محمد السيد حسين

30 ـ التفسير والمفسرون
الطبعة الرابعة "1409هـ ـ 1988م"
مكتبة وهبة .
31 ـ الإسرائيليات في التفسير والحديث .
مجمع البحوث الأزهرية "1391هـ ـ
1971م"

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- ر -

الرازي ، فخر الدين بن محمد

32 ـ تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير بالتفسير الكبير مفاتيح الغيب .
الطبعة الثانية "1403هـ ـ 1983م"
دار الفكر

33 ـ اعتقادات فرق المسلمين والمشركين
مكتبة الكليات الأزهرية "1398ـ 1978م"

34 ـ محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين
مكتبة الكليات الأزهرية

35 ـ عصمة الأنبياء
الطبعة الأولى "1401هـ ـ 1981م"
دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان .

ـ رضا ، محمد رشيد

36 ـ تفسير القرآن الحكيم الشهير بالمنار
دار المعرفة للطباعة والنشر
بيروت ـ لبنان .

37 ـ الوحي المحمدي
دار الكتب الجزائري .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- رودلف ، ڤلهلهم
38 ـ صلة القرآن باليهودية والمسيحية
ترجمة عن الألمانية حفني ناصف
الطبعة الأولى
دار الطليعة للطباعة والنشر والتوزيع

أبو ريان ، محمد
39 ـ تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام
لاطبعة الثانية "1973م"
دار النهضة العربية بيروت

-ز-

ـ الزركلي خير الدين
40 ـ الأعلام
الطبعة الخامسة "1980م"
دار الملايين بيروت

ـ زغلول ، الشعات السيد
41 ـ المناهج الفكرية في التفسير
الطبعة الثانية "1397هـ ـ 1977م"
الهيئة المصرية العامة للكتاب فرع الإسكندرية .

ـ أبو زهرة ، محمد
42 ـ محاضرات في النصرانية
الطبعة الرابعة "1392هـ ـ 1972م"
دار الفكر العربي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- زيعور ، علي

43 - أغسطينوس مع مقدمات في العقيدة المسيحية والفلسفية الوسيطة
الطبعة الأولى "1403هـ - 1983م"
دار إقرأ

- س -

- السقا ، أحمد حجازي

44 - نقد التوراة
مكتبة الكليات الأزهرية

- السهيلي ، أبو القاسم بن عبد الله

45 - الروض الأنف
دار الفكر

- السيوطي ، عبد الرحمن بن الكمال

46 - الدر المنثور في التفسير بالمأثور
الطبعة الثانية "1403هـ - 1983م"
دار الفكر لبنان - بيروت

- ش -

- الشرقاوي ، محمد عبد الله

47 - في مقارنة الأديان
بحوث ودراسات
الطبعة الأولى "1406هـ - 1986م
دار الهداية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- ابن الشريف ، محمود
48 - الأديان في القرآن
الطبعة الخامسة 1404هـ - 1984م

- الشكعة ، مصطفي
49 - المطالعات الإسلامية في العقيدة والفكر
دار الكتب الإسلامية

- شلبي ، أحمد
50 - اليهودية
الطبعة الثامنة 1988م
مكتبة النهضة المصرية
51 - المسيحية
الطبعة الثالثة 1967م
مكتبة النهضة المصرية

- أبو شهبة ، محمد بن محمد
52 - الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير
الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية
القاهرة 1393هـ - 1973م

- الشهرستاني ، محمد بن عبد الكريم
53 - الملل والنحل
تحقيق : محمد سيدي كيلاني
الطبعة الثالثة 1395هـ - 1974 م
دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت - لبنان

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- ص -

- الصابوني ، محمد علي
54 - النبوة والأنبياء
دار الهدى الجزائر

- ط -

- الطبري ، محمد بن جرير
55 - جامع البيان عن تأويل أي القرآن
دار الفكر "1405هـ - 1984م"

- ع -

- عبد الرحمن ، خليل
56 - إظهر الحق
مكتبة الثقافة الدينية

- عبد العال ، حمدي
57 - السببنيون منهاجا وغاية دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع

- عبد الله آل جعفر مساعد مسلم
58 - أثر التطور الفكري في التفسير والأحاديث في العصر العباسي .
الطبعة الأولى :"1405هـ - 1984م"
مؤسسة الرسالة بيروت

- عبيد ، عبد الرؤوف
59 - في العودة للتجسيد بين الإعتقاد والفلسفة والعلم .
الطبعة الثالثة :"1987م"
دار الفكر العربي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- عطار ، أحمد عبد الغفور

60 - الديانات والعقائد
الطبعة الأولى :"1401هـ - 1981م"
مكة المكرمة

- العوا ، عادل

61 - الكلام والفلسفة
الطبعة الثانية "1384هـ - 1964م"
مطبعة جامعة دمشق

- غ -

- الغزالي ، محمد

62 - دفاع عن العقيدة الشريعة ضد مطاعن المستشرقين
الطبعة الثالثة "1384هـ - 1964م"
دار الكتب الحديثة

63 - فقه السيرة
دار الشهاب الجزائر

- ف -

- فخري ماجد

64 - تاريخ الفلسفة الإسلامية نقله إلى العربية : كمال اليزجي الدار المتحدة للنشر 1974م"

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- فلوتن ، فان

65 - السيادة العربية والشيعة والإسرائيليات في عهد بني أمية
ترجمة عن الفرنسية وعلق عليه حسن إبراهيم حسن الطبعة الثانية
مكتبة النهضة المصرية .

- ق -

- ابن قتيبة ، محمد عبد الله بن مسلم

66 - الإمامة والسياسة
تحقيق : طه محمد الزيني
مؤسسة الحلبي وشركاه

- القصيمي ، عبد الله

67 - الصراع بين الإسلام والوثنية
الطبعة الثانية "1402هـ - 1982م"

- ك -

- كامل ، مراد

68 - الكتب التاريخية في العهد القديم
جامعة الدول العربية معهد البحوث والدراسات

- ابن كثير ، إسماعيل

69 - تفسير القرآن العظيم
الطبعة :"1367هـ - 1948م"

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- م -

- مذكور ، إبراهيم
70 ـ في الفلسفة الإسلامية
دار المعارف

- المقريزي ، أحمد بن علي
71 ـ كتاب المواعظ والإعتبار بذكر الخطط والآثار
الطبعة الثانية : "1987م"

- ن -

- النجار ، عبد الوهاب
70 ـ قصص الأنبياء
دار الفكر بيروت

- ابن النديم
73 ـ الفهرست
المطبعة الرحمانية بمصر

- النشار ، علي سامي
74 ـ نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام
الطبعة السابعة : "1977م"
دار المعارف
75 ـ الفكر اليهودي وتأثيره بالفلسفة الإسلامية
الطبعة الأولى : "1392هـ ـ 1972م"
منشأة المعارف بالإسكندرية .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- بن نبي ، مالك

76 ـ الظاهرة القرآنية

ترجمة عبد الصبور شاهين

دار الفكر

- و -

- وافي ، علي عبد الواحد

77 ـ الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام .

ـ الطبعة الأولى : 1384هـ ـ 1964م"

- ي -

- يوسف موسى ، محمد

78 ـ القرآن والفلسفة

دار المعارف : مصر "1966م"

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفهارس

- فهرس الآيات
- فهرس فقرات العهد القديم
- فهرس فقرات العهد الجديد
- فهرس الأعلام

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الآيات

السورة	الرقم	الصفحة
(2) البقرة		
ـ « الله يستهزئ بهم ... »	15	181
ـ « يضل به كثيرا ... »	26	195
ـ « ولن ترضى عنك اليهود ولا النصرى ... »	120	199
ـ « وإلهكم إله واحد ... »	163	192
ـ « ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم ... »	244	183
ـ « وقال لهم نبيهم ... »	247	134
ـ « فلما فصل طالوت بالجنود ... »	249-250-251	134
ـ « واتقوا يوما ترجعون فيه ... »	281	131
(3) آل عمران		
ـ « منه ءايات محكمات ... »	7	188
ـ « فاتبعوني »	31	114
ـ « إن الله اصطفى ءادم ونوحا ... »	33	117
ـ « ماكان لبشر أن يؤتيه الكتاب ... »	79-80	111
ـ « كل الطعام كان حلا لبني إسرائيل... »	93	8
ـ « قال فاتوا بالتوراة ... »	93	186
ـ « لن يضروكم إلا أذى ... »	111	199
(4) النساء		
ـ « إن الذين يأكلون أموال اليتامى... »	10	183
ـ ولولا فضل الله عليكم ورحمته ... »	83	127
ـ « الله لا إله هو ... »	87	192

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(5) المائدة		
- « يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر ... »	41	16
- « وكيف يحكمونك وعندهم التوراة ..»	43-44	15
- « وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس. »	45	181
- « وأنزلنا إليك الكتاب بالحق ... »	44	53
(6) الأنعام		
- « وعنده مفاتح الغيب ... »	59	192
- « أولئك الذين هدى الله ... »	90	116
- « ذلكم الله ربكم »	102-103	68
(7) الأعراف		
- « ولوطا إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة..»	80-81	117
(9) التوبة		
- « عزير ابن الله »	30	72
(11) هود		
- « ولقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى .»	69-70	61

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(12) يوسف		
- « وراودته التي هو في بيتها ... »	23-24	119
- « كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء.. »	24	126
- « فلما رءا قميصه قد من دبر ... »	28 - 29	119
(13) الرعد		
- «أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت»	33	130
(16) النحل		
- « ألم يروا إلى الطير مسخرات ... »	79	183
- « إنما قولنا لشيء إذا أردناه .... »	40	100
(17) الإسراء		
- « ذرية من حملنا مع نوح ... »	3	117
- « ولا تقربوا الزنى ... »	32	129
- « تسبح له السموات ... »	44	180
- « وبالحق أنزلناه ... »	105	195
(19) مريم		
- « يا أخت هارون ... »	28	184
- « أولئك الذين أنعم الله عليهم ... »	58	8
(20) طـه		
- « الرحمن على العرش استوى »	5	76

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(21)		
- « لا يسأل عما يفعل »	23	189
- « كل نفس ذائقة الموت ... »	35	182
- « وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا ... »	73	116
- « ولقد كتبنا في الزبور ... »	105	180
(22) الحج		
- « وإن يوما عند ربك ... »	47	
«الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس»	75	181
		110
(23) المؤمنون		
- « ماتخذ الله من ولد ... »	92-91	
		192
(26) الشعراء		
- « وما رب العالمين »	23	
- « رب السموات والأرض وما بينهما »	24	102
		102
(27) النمل		
- « ولقد ءاتينا داود وسليمان علما ... »	15-16-17	
		144
(33) الأحزاب		
- « إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس ... »	33	
- « إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله »	57	132
- « يانساء النبي من يأت منكن بفاحشة .. »	30	113
		113

جمعية الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(38) ص		
- « اصبر على ما يقولون .... »	17	138
- « وهل أتاك نبؤ الخصم ... »	21-22-23-24-25	135
- « يا داود إنا جعلناك خليفة »	26	143
- « ولقد فتنا سليمان ... »	34	144
- « واذكر عبدنا أيوب ... »	41-42-43-44-45	149
(39) الزمر		
- « الله خالق كل شيء ... »	62-63	192
(40) غافر		
- « وهمت كل أمت برسولهم ليأخذوه »	5	128
(42) الشورى		
- «ليس كمثله شيء وهو السميع البصير»	11	68
- « ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان »	49	114
(49) الحجرات		
- « إن جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا »	6	113
(50) ق		
- « ولقد خلقنا السموات والأرض .... »	38	58

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(61) الصف		
- « يأيها الذين آمنوا لما تقولون ... »	2 - 3	132
- وإذ قال عيسى بن مريم ... »	6	183
(69) الحاقة		
- ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية »	17	78
(74) المدثر		
- « كذلك يضل الله من يشاء ... »	31	195
(76) الإنسان		
- « لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا »	13	182
(82) الإنفطار		
- « إذا السماء إنفطرت »	1	96
- « وإن عليكم لحافظين كراما كاتبين »	10 - 11	130
(90) البلد		
- « فك رقبة ... »	13 - 14 - 15 - 16	180
(93) الضحى		
- « ووجدك ضالا فهدى »	7	114
(96) العلق		
- « اقرأ باسم برك ... »	1 - 2 - 3	180

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(107) الماعون		
- « فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون ... »	6.5.4	182
(112) الإخلاص		
- « قل هو الله أحد ... »	4.3.2.1	102

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس فقرات العهد القديم

	الرقم	الصفحة
(1) التكوين		
- « في البدء خلق الله السموات والأرض	1:1	16
- « وكانت الأرض خربة وخالية ... »	5-4-3-2:1	16
- « فأكملت السموات والأرض ... »	3-2-1:2	58
- « وأخذ الرب الإله آدم ... »	17-16-15:2	59
- « من جميع شجر الجنة تأكل أكلا... »	17-16:2	17
- « بل الله عالم ... »	5:3	17
- « بل الله عالم..فأخذت من ثمرها... »	7-6-5:3	59
- « أين أنت ..فقال من أعلمك أنك عريان...	12-11-10-9:3	17
- « وكلم قايين هابيل أخاه ... »	11-10-9-8:4	19
- « فقال الله نهاية كل بشر قد أتت... »	15-14-13:6	117
- « وشرب من الخمر فسكر ... »	25-24 23-22-21:9	36
- « وقال الرب لابرام ... »	3-2-1:12	20
- « يا سيد إن كنت قد وجدت ... »	5-4-3:18	60
- « فأجاب إبراهيم ... »	28-27:18	62
- « وقالت البكر للصغيرة ... »	36- 33-32-31:19	117
	35-34	
- « فالآن رد إمرأة الرجل ... »	7:20	36
- « فقال يعقوب بعني اليوم بكوريتك ... »	34-33-32-31:25	20
- « فحلبت ليئة وولدت ... »	35-34-33-32:29	10

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- « فأعطته بلهة جاريتها زوجة ...»	8-7-6-5-4:30	10
- « فولدت زلفة جارية ليئة ...»	12-11-10:30	10
- « وذكر الله راحيل وسمع لها ...»	24-23-22:30	11
- « فقال لا يدعى اسمك ... »	30-29-28:32	9
- « وهؤلاء الملوك ... »	31:36	33
- « وأما يوسف فأنزل إلى مصر ..»	2-1:39	20
- « ثم حدث نحو هذا الوقت ... »	12-11:39	121
- « فقال فرعون لعبيده ... »	40-39-38:41	36
- « وسكن إسرائيل في أرض مصر..»	31-30-29-28:47	9

(2) الخروج

- « وهذه أسماء بني إسرائيل ... »	5-4-3-2-1:1	21
- « وذهب رجل من بيت لاوي ... »	4-3-2-1:2	21
- « فالتفت إلى هنا وهناك ... »	15-14-13-12:2	22
- « بل وتطلب كل امرأة من جارتها»	22:3	22
- « لأني هذه المرة أرسل ... »	14:9	66
- « فإنه الآن لو كنت أمد يدي ... »	16-15:9	67
- « وأعطى الرب نعمة للشعب ...»	3:11	33
- « وقال الرب لموسى لا يسمع لكما فرعون ..»	10-9:11	23
- « فقال الرب لموسى مد يدك ...»	28-27-26:14 31-30-29	23
- « أنا الرب إلهك الذي أخرجك ...»	5-4-3-2-1:20	24
- « وإن حصلت أذية ... »	25-24-23:21	182
- « ثم صعد موسى وهارون ..»	11-10-9:24	63
- « وحل مجد الرب على جبل سيناء ..»	20-18-17-16:24	63

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- « فالآن أتركني ليحمي غضبي عليكم.»	12-11-10:32	65
- « وكان جميع الشعب ... »	11-10-9-8-7:33	64
- « وقال لاتقدر أن تري وجهي ... »	23-22-21-20:33	64
(3) لاويين		
- « ودعا الرب موسى ... »	5-4-3-2-1:1	25
- « وهذا هو النجس لكم ...»	32-31-30-29:11	26
- « هذه هي الوصايا ...»	34:27	26
(4) العدد		
- « وكلم الرب موسى في برية سيناء...»	4-3-2-1:1	27
- « وكلم الرب موسى قائلا هذا للاويين ...»	26-25-24-23:8	28
- « وفي يوم إقامة المسكن ... »	17-16-15:9	29
- « وأما الرجل موسى فكان حليما جدا..»	3:12	33
- « وكلم الرب موسى قائلا بني إسرائيل ...	12-11-10-9:35	29
- « هذه هي الوصايا والأحكام..»	13-36	29
(5) التثنية		
- « هذا هو الكلام الذي كلم به موسى»	2-1:1	30
- « في اليوم الذي وقفت فيه ... »	12 - 11 - 10 :4	66
- « وغضب الرب علي بسببكم ... »	22 _ 21 :4	30
- « إذا وجد قتيل في الأرض ... »	5-4-3-2-1:21	31
	9-8-7-6	
- « الرب إلهك هو عابر قدامك...»	3:31	31
- « جاء الرب من سيناء ... »	2:33	32

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(9) صموئيل الأول

- « وكبر صموئيل وكان الرب معه »	21-20-19:3	39
- « وعرف جميع بني إسرائيل ... »	20:3	
- « والرب كشف اذن صموئيل ... »	17-16-15:9	39
- « وفي الغد لما جاء الفلسطينيون »	10-9-8:31	40
- « فحارب الفلسطينيون وانكسر إسرائيل ..»	11-10:4	133

(10) صموئيل الثاني

- « وكان داود ابن ثلاثين سنة ... »	5-4:5	134
- « وفي تلك الليلة كان كلام الرب»	7-6-5-4:7	65
- « وأما داود فاقام في أورشليم..»	5-4-3-2-1:11	136
- « فقال أوريا لداود ...»	12-11:11	137
- « وفي الصباح كتب داود ...»	17-16-115-14 :11	138
- « فأرسل الرب ناثان ...»	7-6 -5-4-3-2-1:1	139

(11) ملوك الأول

- «ولما قرب أيام وفاة داود ...»	3-2-1:2	41
- « وكان لما خرج الكهنة ...»	15-14-13:8	46
- « وكانت الأيام التي ملك سليمان.»	43-42:11	41

(12) ملوك الثاني

- « وفي السنة الثامنة عشرة للملك يوشيا..»	4-3:22	30
- « فقال حلقيا الكاهن العظيم ...»	8:22	30

(15) عزرا

- « فقام رؤوس آباء يهوذا ... »	6-5:1	42
- « عزرا هذا صعد من بابل ...»	12-11- 9-8-7-6:7	34

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(16) نحميا		
- « فقال لي الملك .. »	5-4-3-2:2	42
(17) أستير		
- « فأجب الملك أستير ... »	17:2	43
- فضرب اليهود جميع أعدائهم.. »	6-5:9	43
(18) أيوب		
- « ولكن ابسط يدك الآن ...»	15-14-13-1211:1 -20-19-18-17-16- 21	150
- « فقال الرب للشيطان ها هو في يدك ... »	8-7-6:2	151
(19) مزامير		
- « الرب يستهزئ بهم »	4:2	181
- « السموات تحدث بمجد الله ... »	4-2-1:19	181
- « الصديقون يرثون الأرض »	11:37	180
- « لان ألف سنة في عينك ... »	4 :90	181
(23) إشعياء		
- « صوت قائل ناد ... »	6 :40	180
- « فك عقد النير ... »	10,7-6:58	180

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس فقرات العهد الجديد

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(1) متي

- « ولما اعتمد يسوع ... »	17-16:3	48
- « وقيل من طلق امرأته ... »	32-31:5	48
- « فأقول لكم لا تحلفوا البتة ... »	34:5	182
- « سمعتم أنه قيل عين بعين ... »	39-38:5	48
- « ومتي صليت فلا تكن كالمرائين ... »	5:6	182
- « وفيما يسوع مجتاز ... »	10-9:9	49
- « أليس عصفوران يباعان ... »	29:10	182
- « ويل لكم زيبها الكتبة ... »	14:23	182
- « وأما الأحد عشر تلميذا فانطلقوا.. »	18-17-16:30 20-19	166
- « وبعد السبت عند فجر أول الأسبوع.. »	4-3-2-1:38 6-5	165

(2) مرقس

- « وبدء إنجيل يسوع المسيح ... »	3-2-1:1	193 ,50
- « ثم إن الرب بعدما كلمهم ... »	19:16	166
- « ثم إن الرب .والرب يعمل معهم.. »	20-19:16	50

(3) لوقا

- « فقالت مريم للملاك ... »	35 - 34:1	51

(4) يوحنا

- « في البدء كان الكلمة ... »	3-2-1:1	
- « في البدء كان الكلمة ..والنور يضيء .. »	5-4-3-2-1:1	92،52
- « كان النور الحقيقي ... »	10-9:1	193
- « والكلمة صار جسدا ... »	14:1	193
- قال له تلاميذه ... »	30-29:16	52
- « فلما رأي بطرس هذا ... »	23-22-21:21	166
- « وأنت تقول إن كان ... »	52:8	182

لوقا : أعمال الرسل

- « وللوقت جعل يكرز ... »	30:9	168

رؤيا يوحنا

- « ولا تقع عليهم الشمس ... »	16:7	182

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الأعلام

الصفحة

- أ -

- آدم (عليه السلام) 8-16-18-37-59-60-117-161
- آصف بن أرخيا 146
- ابرام 20
- إبراهيم (عليه السلام) 20-26-37-60-61-62-64-65-161
- إبراهيم مدكور 73-89
- ابشالوم 40
- أبيا 133
- أبينادا 39
- أبيهو 63
- أجناس جو لد تسيهر 188
- أحمد - صلى الله عليه وسلم - 183
- أحمد بن حنبل 104-149
- أحمد حجازي السقا 34-67
- احشويروش 42
- ادريس 161
- ارتحشستا ..... 34 - 42
- ارفكشاد 19
- اسباط 119
- استروك 35
- استير 43
- اسحاق 64-65-122
- ابن اسحاق 20-178

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

اسحاق بن راهوية 104
- أبو إسحاق بن سيار 86
- إسرائيل 8-9-64-65-129
- الإسفرايني 71
- إسماعيل 20-160
- إشبوشت 40
- الأشعري 38-74-86-100-105-106-107
- أشير 10-21
- الأعمش 123-125
- أفلاطون 165
- الألوسي 136-140-141-146-148
- أليعام 136
- أنوش 18
- أوريا 135-136-137-138-140-142-143
- أوغسطينوس 89
- إيليا 167
- أيوب 148-149-150-151-199

- ب -

- باراباس 49
- الباقلاني 80-87-100
- بتشبع 136
- بحيرى 178-179
- برنايا 49
- أبو بزة 123-125
- بطرس 49-50-53-166
- البغدادي 71-72-73-74-85-97-112-173
- أبو بكر 71-154-158-159

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- بلهة 10
- بنيامين 21-11
- بوطر 92
- بولس 168-53-51-49
- بيان بن سمعان 173
- بيوس 193

« ت »

- تارح 20
- تيموثاوس 51
- ابن تميمة 103

- ث -

- ثاوفيلوس 51
- ثيوفيلوس 51

- ج -

- جابر 125-124
- جاد 21-10
- جالوت 134
- جبريل 179-140-51
- جرادة ..... 145 -146
- ابن جرموز 156
- ابن جريج 129-126-125-123
- ابن جرير 127-125-124-122-120-119
140-135-130-128
- جرير بن حازم 129

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- جعفر 171
- جعفر بن محمد الصادق 171
- جعفر الصادق 173-172
- جليات 39
- الجليند 104
- جولد تسهير 195-193-191-189
- الجويني 33-19

- ح -

- حام 116-19-18
- أبو حاتم 149
- حجاج بن محمد 123
- أبو حذيفة 123
- ابن حزم ..... 60 - 61 - 62 - 79 - 80 - 87 - 112 - 126 - 128 - 142 - 148
- الحسن ..... 169 - 173
- الحسن بن على 169
- الحسن العسكري 160
- الحسن بن محمد 123-129
- الحسن بن يحي 124
- الحسين 159-173
- أبو حصين 129
- حلقيا 30
- الحماني 123
- بن حميد 128
- حنوك 18
- حواء 17-59
- أبو حيان 147

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- خ -

- الخازن 142
- أبو الخطاب الأسدي 173
- حفني 133
- خليل الرحمن 28-27

- د -

- دان 21-10
- داود (عليه السلام) ..... 37 - 39 - 40 - 41 - 65 - 66 - 133
- 134 - 137 - 138 - 139 - 140 -
141 - 142 - 144 - 199
- دي بور 94

- ذ -

- الذهبي 126

- ر -

- راحيل 11-10
- الرازي 71-104-113-132-143
- رأوبين 21
- ربيعة 103
- رحبعام 41
- الرشيد 171
- رشيد رضا 178
- رضا بن موسى الكاظم 171
- رعمسيس الثاني 9
- رعو 19

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- روبير 10
- رودلف 182-179-177

- ز -

- زبولون 21-10
- الزبير 156-155
- ابن الزبير 169
- الزبير بن العوام 155
- زكرياء 51
- زلفة 10
- أبو زهرة 92
- زياد بن عبد الله 123
- زيد 71
- بن أبي زيد 125
- زيد بن علي 71

- س -

- سارة 60
- سام 116-19-18
- ابن سبأ 172-168-167
- السدى 146-119
- سروج 19
سعد بن أبي وقاص 155
- سعد بن عبادة 154
- سعيد بن جبير 129-125-123
- سفيان 129-122
- سفيان بن علي بن بذيمة 123

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- سفيان بن عينية 123
- سقراط 165
- سلمة 135-128
- سليمان (عليه السلام) ..... 41 - 65 - 144 - 146 - 147 - 148 - 199
- بن أبي سليمان 125
- سهل بن موسى 122
- سيمون دينوف 35
- السيوطي 121-130-139-149-150

- ش -

- شافان بن أصليا 30
- شالح 19
- شاؤول 33-39-133
- شبل 123
- شريك 124
- شمعون ..... 10 - 20
- الشهرستاني 157-159
- شيت 18-161
- أبو الشيخ 130

- ص -

- صخر 146
- صموئيل 39-133
- صيدون 145

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- ط -

- أبو طالب 173
- أبو طاهر الطوسي 132
- طلحة 156-155-128
- طلحة بن عبيد الله 155
- طالوت 134-133
- طه حسين 168

- ع -

- عائشة 155
- عابر 19
- عالى 133
- ابن عباس 167-149-147-130-126-125-123
- عبد الرحمان بن حميد 139
- عبد الرزاق 124
- عبد الغفور عطار 62
- عبد الله 160-155
- أبو عبد الله 148
- عبد الله بن أبي عدى 123
- عبد الله بن أبي مليكة 129-123
- عبد الله بن سبأ ..... 173 - 172 - 167-166-163-161-160-155
- عبد الله بن كرام 75
- عب الله بن معاوية 173
- عبد الله القصيمي 82
- عبد قيس 85
- عبد الملك 126
- عبد الملك بن مروان 169

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- عبد الوهاب النجار 152
- عبيد بن أبي زيد 122
- عثمان 155-158-160-162
- عثمان بن أبي سليمان 122-124
- عزرا 33-34-163
- عزير 72-75-163
- ابن عساكر 149
- عكرمة 123-125
- علي ..... 71 - 121 - 155 - 156 - 157 - 159 - 160 - 161 - 162 - 163 - 167 - 168 - 171 - 172 - 173
- علي أبو ريان 100
- أبو علي الجبائي 112
- علي بن الحسين زين العابدين ... 159
- علي سامي النشار 160-169
- عمر 71-125-154-155-158-159
- ابن عمر 123
- عمرو الحضرمي 128
- عمرو بن العاص 156-157
- عمرو بن علي 123
- عمرو بن محمد العنقزي 124-129
- عياض 142
- عيسى (عليه السلام) ..... 32 - 52 - 53 - 138 - 161 - 163 - 165 - 168 - 172 - 184 - 193
- عيسو 20
- ابن عيينة 122-124

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- ف -

- فاطمة 160
- فالج 19
- فرعون 20-21-23-33-36-102-187
- فوطيفار 20
- فيثاغورس 165
- فيليمون 51
- فينحاس 133

- ق -

- القاسم 123
- قابيل 17
- قبيصة 122
- قلهلهم رودلف 184
- قيتان 18

- ك -

- ابن كثير 151
- كعب 139
- ابن كلاب 103
- الكندي 90
- ابن كرام 76
- أبو كريب 123
- لابان 62
- لاوى 10-21-24
- لوط ..... 20 - 37 - 61 - 117
- لوقا 50-51-53
- لينة 10

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- م -

- ماجد فخري 93
- مالك 103
- مالك بن سعير 123
- مالك بن نبي 185
- الأمون 98
- متى 49
- المثنى 129-123-122
- مجاهد 125-123
- محمد - صلى الله عليه وسلم - 179-178-161-32
- محمد (بن جعفر) 171
- محمد (عبد الله) 170
- محمد(بن محمد علي الباقر) 160
- محمد أبو الريان 161
- محمد بن اسحاق 145-135
- محمد البهى 69
- محمد بن الحنفية 173-172-169-159
- محمد بن ثور 123
- محمد بن الهذيل 85
- محمد بن سعد 129
- محمد السيد حسين الذهبي 12
- محمد بن علي الباقر 159
- محمد بن عبد الأعلى 123
- محمد بن عبد اله بن الحسن 171-170
- محمد بن الحسن بن علي 170
- محمد بن عزة دروزة 9
- محمد بن علي بن الحسين الباقر 171

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- محمد بن وكيع 129
- محمد الغزالي 12-175-191
- محمد يوسف موسى 91-191
- محمود بن الشريف 59
- المختار بن أبي عبيد 172
- مردخاي 43
- مساعد مسلم عبد الله آل جعفر 11
- المقريزي 56
- مرقس 49-50-53
- مرنبتاح 9
- مروان بن الحكم 156
- المريسى 99
- مريم 20-51-165-184
- مريم المجدلية 165
- المسيح (عليه السلام) ..... 34-47-49-50-51-53-92 - 93 - 95 - 165 - 166 - 168 - - 172
- معاوية 155-157
- معمر 123
- ابن ملجم 167-171
- المغيرة بن سعيد 77-170
- ملكيشوع 39
- بن أبي مليكة 122-123-124-125-128
- مهلئيل 18
- أبو مودود 129

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- موسى (عليه السلام) ..... 4-9-15-21-22-23-24-25-26 -
27 - 28 - 29 - 30 - 31 - 32 - 33 -
34 - 35 - 36 - 37 - 38 - 41 - 43 -
44 - 48 - 63 - 64 - 65 - 94 - 99 -
102 - 118 - 131 - 134 - 160 - 161
163 - 165 - 171 - 198 -
- أبو موسى الأشعري 157
- موسى بن جعفر 171
- أبو مسلم 173
- ابن المنذر 130

- ن -

- ناثان 65-139
- ناداب 63
- ناحور 19-37
- نافع 123
- بن أبي نجيح 123
- نبوخذ ناصر 33
- نحميا 42
- نسطور 172
- النظام 86-87-96-112
- نفتالي 10-21
- نوح (عليه السلام) 8-18-19-37-116-117
- أبونعيم 121
- أبو نجيح 125
- هابيل 17-18
- هاجر 20

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- هارون ..... 22 - 23 - 24 - 27 - 43 - 63 - 134 - 163 - 164 - 165
- أبو هاشم 159-173
- هامان 43
- أبو الهذيل 73-86-97
- هشام بن عبد الملك 71
- هشام بن الحكم 72-73
- هشام بن سالم 74
- هنري لانك 193
- هيرنوس 48
- هنوخ 37

- و -

- وكيع 99-123
- ابن وكيع 119-123-124-129
- وهب بن منبه 130-131-135-137-138-140

- ي -

- يارد 18
- يافث 18-19
- يحيي بن سعيد 122
- يحيي بن عباد 129
- يحيي بن معين 104
- يحيي بن اليمان 122-123
- يربعام 41
- يزيد بن معاوية 169

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- يزيد بن هارون 99
- يساكر 10
- يسوع 183-166-165-52-51-49
- يشرح بن نون ..... 64 - 32
- يعقوب (عليه السلام) ..... 53 - 28 - 24 - 21 - 20 - 10 9 - 8
- 130 - 129 - 119 - 87 - 82 -
- يهوذا ..... 53 - 49 - 21 - 20 - 10
- يوآب 138
- يونا 53-50-49-48
- يوسف (عليه السلام) ..... 120 - 119 - 118 - 36 - 21-20-11
- 128 - 127 - 126 - 123 - 121 -
- 199 - 132 - 131 - 130 - 129
- يوسف النجار 48
- يوشع بن نون 160
- يوشيا 30
- يوناس 44
- يوناثان 39
- يونس بن عبد الرحمان 78
- يوئيل 133

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الموضوعات

	الصفحة
المقدمة	6-1
الفصل الأول :مفهوم الإسرائيليات ومصادرها	54-7
المبحث الأول : مفهوم الإسرائيليات	12-8
المبحث الثاني : المصادر اليهودية	46-13
ا) العهد القديم	32-15
ـ التوراة	16
1ـ سفر التكوين	21
2ـ سفر الخروج	24
3ـ سفر اللاويين	27
4ـ سفر التثنية	30
ـ مؤلف التوراة	38-32
اولا : المصدر الالوهيمى	36
ثانيا : المصدر اليهودي	37
ثالثا : المصدر الكهنوتي	37
رابعا : المصدر التثنوى	38
ـ اسفار صموئيل والملوك	38
ـعزرا ونحميا	41
ـ استير	42
ـ الأسفار الشعرية	43
ـ اسفار الأنبياء	43

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

٣) التلمود 46-44

المبحث الثالث : المصادر النصرانية 54-47

ـ إنجيل متى 47

ـ إنجيل مرقس 49

ـ إنجيل لوقا 50

ـ إنجيل يوحنا 52

ـ الرسائل ورؤيا يوحنا 53

الفصل الثاني:الألوهية "الذات والصفات " 107-55

ـ تمهيد 56

المبحث الأول :التشبيه و التجسيم في العهد القديم 67-58

المبحث الثاني : المشبهة والمجسمة في الفكر العقدي الإسلامي 81-68

تمهيد 68

ـ المشبهة والمجسمة 81-71

1 ـ الهشامية 72

2 ـ الكرامية 75

3 ـ المغيرية 77

4 ـ اليونسية 78

المبحث الثالث: المعطلة في الفكر العقدي الإسلامي 90-82

1 ـ الهذيلية 85

2 ـ النظامية 86

المبحث الرابع : كلام الله تعالى 101-91
1 ـ المتكلمة في الفكر النصراني 92
2 ـ موقف المعتزلة والمرجئة 94
3 ـ موقف أهل السنة 99

المبحث الخامس : آراء أهل السنة والجماعة في الذات والصفات 107-102
اولا : مذهب السلف 103
ثانيا : الأشعرية 105

الفصل الثالث: النبوة "عصمة الأنبياء " 152-108
تمهيد 109
المبحث الأول : مفهوم العصمة في الفكر العقدي الإسلامي 115-111
المبحث الثاني : عصمة الأنبياء من المعاصي 143-116

1 ـ عصمة يوسف ـ عليه السلام ـ 118
2 ـ عصمة داود ـ عليه السلام ـ 133
المبحث الثالث : عصمة الأنبياء من الشيطان 152-144
1 ـ سليمان وفتنة الشيطان 144
2 ـ ايوب و فتنة الشيطان 149

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الرابع : الإمامة	173-153
المبحث الأول : رأي الفرق في الإمامة	162-154
ـ رأي الخوارج في الإمامة	156
ـ رأي الشيعة في الإمامة	158
ـ رأي المرجئة في الإمامة	161
المبحث الثاني : الأئمة	173-163
ـ تناسخ الأرواح في الفكر البشري	164
ـ المرجئة في الفكر العقدي الإسلامي	166
الفصل الخامس: دراسات إسرائيلية معاصرة	196-174
تمهيد	175
المبث الأول : القرآن الكريم	187-177
المبحث الثاني : العقيدة	188 ـ 196
الخاتمة	197 ـ 199
الفهارس :	200 ـ 245
ـ قائمة المصادر والمراجع	201 ـ 215
ـ فهرس الآيات	217-223
ـ فهرس فقرات العهد القديم	224-228
ـ فهرس فقرات العهد الجديد	229-230
ـ فهرس الأعلام	231-245

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية